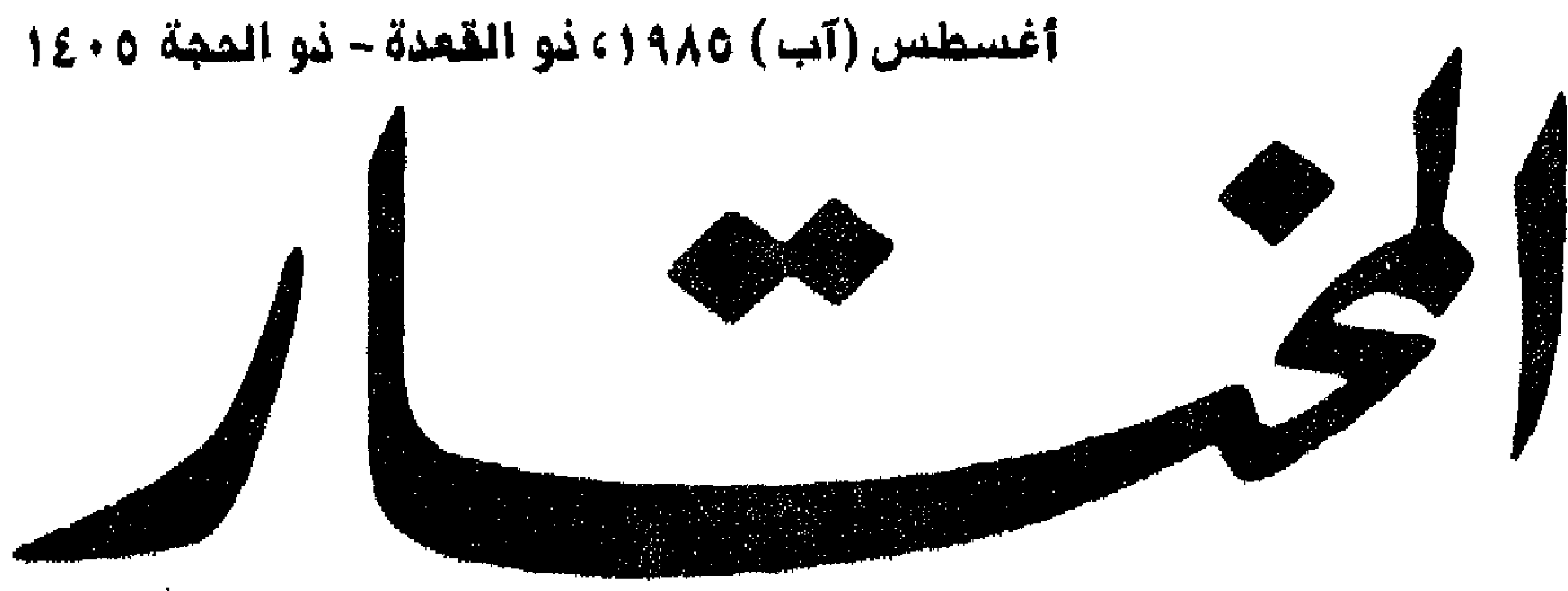
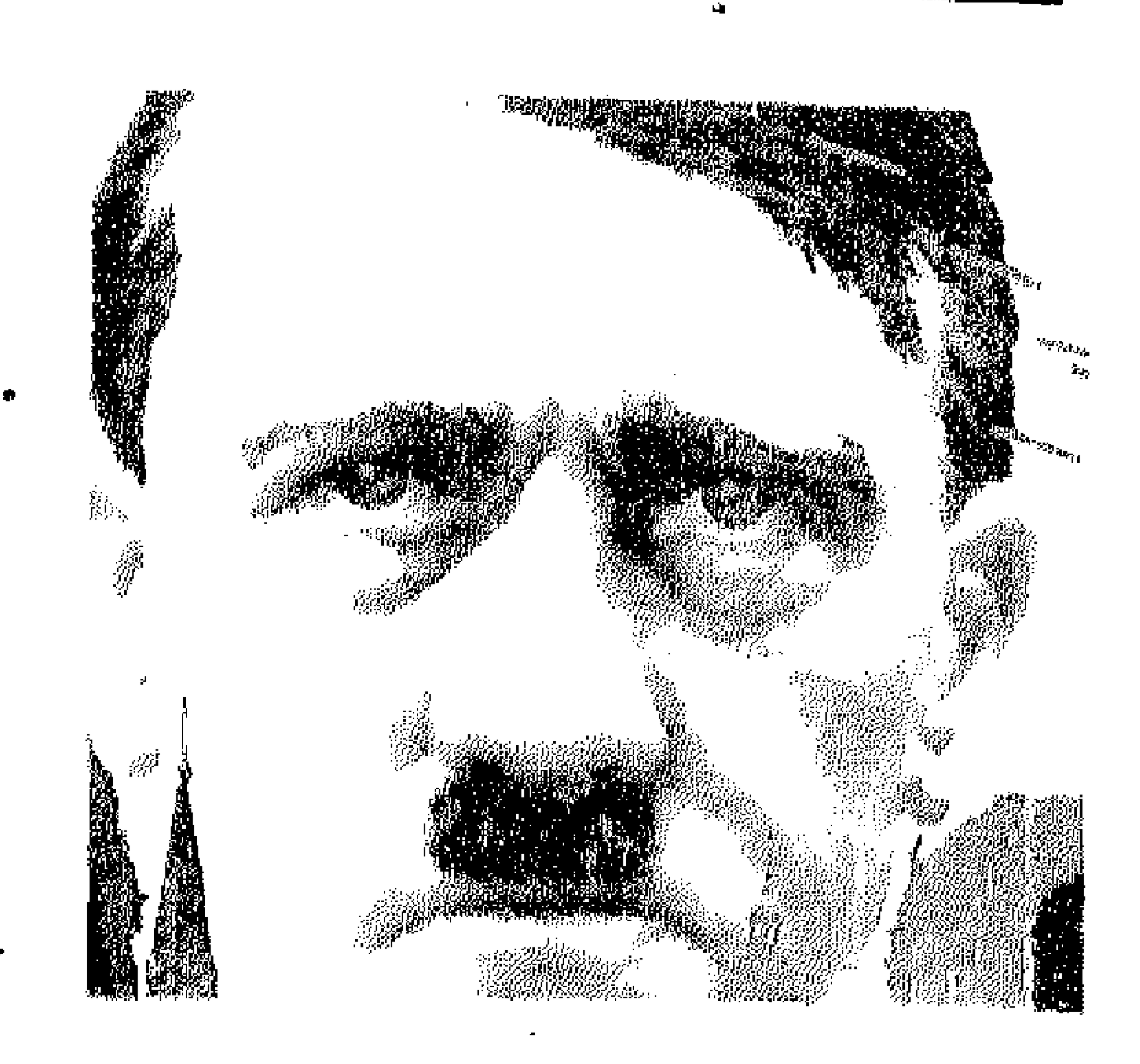
أغسطس (آب) ١٩٨٥، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٠٥





من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest August 85 N° 81



هتلر في ايامه الاخيرة

(ص ١١٤)

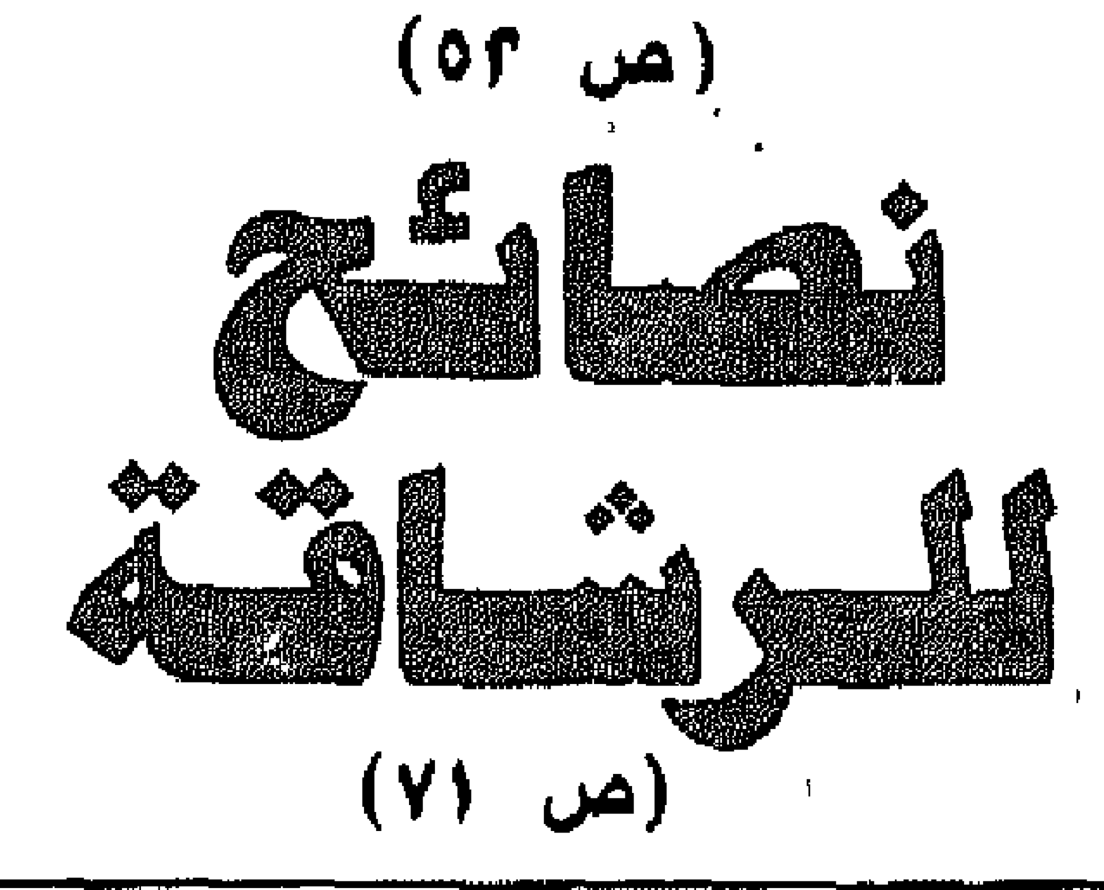
اعترافات مدخن سابق ٩
قمر أوروبا ١٤
أحبّوا الحياة ٢٠
عمالقة العالم الثالث ٢٥
المحامي والبحر (قصة قصيرة) ٣٠
أنا وأمي و"سمعان" ٣٤
الرجاء أفضل دواء ٣٨
تاجر ناجح ٤٢
سياحة الدراويش ٤٨
فرنسا: القاضي الأول امرأة ٥٨
شهر الحر والضجر ٦٣
خنجر ماليزيا ٦٦
الحب الأعظم (مأساة واقعية) ٧٨
الوطواط رادار طائر ٨٦
ابن الجزار ٩١

هيروشيما: نهر الموت كان مجنوناً

(ص ٥٢)

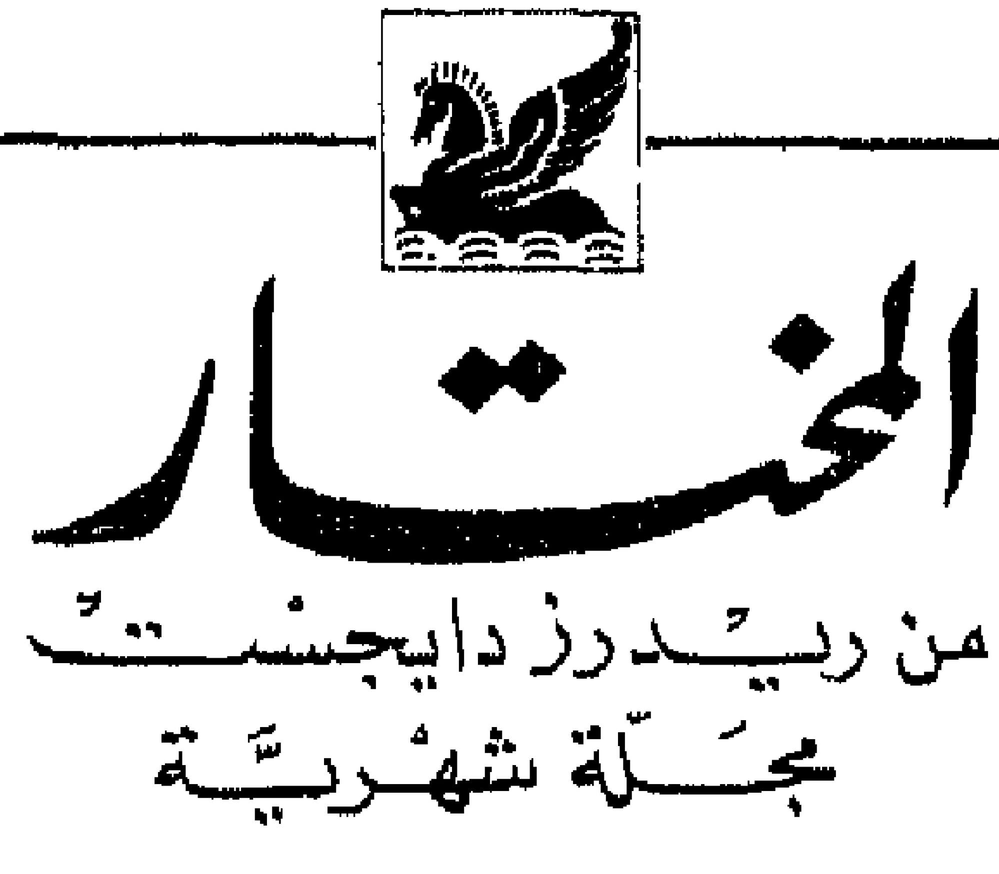
البحارة الشجاعة ٩٤
قم للمعلم ١٠٠
الزلابية شمس على المائدة ١٠٥
خواطر محتال صغير ١١١

أكتب واربح ٥ - حديقة أفكار ٧ - تأملات ٢٩ - طب ٤٦
ضحك ٦٥ - صور من الحياة ٨٥ - دائرة المعارف ١٠٩



(ص ٧١)

لبنان ١٠ل - سورية ١٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف
السعودية ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - الجمهورية العربية اليمنية ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف
تونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا واميركا الشمالية ٢،٥د



من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: دالي دحداح - باز.

الاشتراكات: فريال علاف.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠

ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MEM 22288 LE .

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 - 491630

P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

August 85 N° 81 (New Series) Vol. 7

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية:

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: آلان دولبرو. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية، الى العربية.

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة.



آمِـنْ تنجَـح!

تروي أسطورة فارسية قديمة حكاية أمير أحدب صمّم على تصحيح عاهته الجسدية فأمر بأن يصنع تمثال له في شكل شاب طويل القامة مكتمل القوام. وكان الامير كل يوم يقف أمام التمثال ويؤمن في قرارة نفسه بأنه سيكون مثله تماماً.

وأخيراً تحقق له ما أراد.

قد تكون هذه القصة خرافة من مخيلة التاريخ. بيد أنها تصوّر صفة كامنة في صميم كل منا، الا وهي المقدرة على تغيير ما نحن عليه اذا توافرت لدينا الارادة الكافية والايمان الكافي.

كلمتان تلخصان الفلسفة التي أنارت حياتي. وهاأنذا أزفهما الى الناس: آمن تنجح. ولا أعني بذلك النجاح المادي فحسب، بل أعني أنك تستطيع كسب الثقة والقدرة والخُلق اذا أنت آمنت.

كنت في شبابي خجولا ومتهيباً وخائفاً في مواجهة الناس. وتلك لعمري معوقات خطيرة بالنسبة الى محاضر. ولكن حين آمنت بأني أستطيع التغلّب على هذه المعوقات وآمنت بالله وبعونه، اكتسبت الثقة وبدأت أتغيّر.

شهادة

وتؤكد القرائن العلمية صحة حدسنا: أن موقفنا في مواجهة الصعاب يؤدي دوراً مهماً - وربما حاسماً - في نجاحنا أو اخفاقنا. وتظهر الابحاث كذلك أن الذين يحبّون عملهم لا يتاح لهم بلوغ المراكز العليا فحسب، بل يكونون أيضاً أوفر صحة من أولئك الذين يشعرون أن عملهم عبء عليهم.

وفي ترحالي ألتقي ألوف المتفائلين من الناس، صغاراً وكباراً. ويسرني أن أرى الكثيرين منهم يقرأون الـ"ريدرز دايجست"، و"المختار" هي احدى اللغات السبع عشرة التي تنشر فيها. يسرني هذا لكنه لا يدهشني، لأن مقالات "المختار" تشدّد على أهمية الحماسة والالتزام والاهتمام في رفع نهج حياتنا فوق المستوى العادي. تقول هذه المجلة التي تُقرأ أكثر من أي مجلة أخرى في العالم بأسره: يجب أن تكون الحياة متعة. والذين ينالون أعظم متعة فيها هم أولئك الذين يهتمون بسواهم.

تشدّد الـ"ريدرز دايجست" و"المختار" باستمرار على الموضوع الذي أعتبره ذا أهمية قصوى: بين كل المخلوقات على الارض، الانسان وحده يستطيع أن يغيّر مصيره بتغيير نظرته الى الحياة.

■ نورمان فنسنت بيل، محاضر ومؤلف

HAVE IT BOTH WAYS!

Streamlined Video Versatility.

الأصغر ما نصنعه ، الأعظم مزايا إحتوى عليها

مزايا كبيرة ، أداء كبير ، قيمة كبيرة .

■ توصيل المسجل ـــ بالمنغم مباشر وبدون كبل .
■ منغم متطور بمقياس تردد معياري ذو نظام فهرسه فلطيه أتوماتيكي .
■ آتش آر ـــ آس ١٠ اي ، مسجل ڤيديو نقالي يشتغل بشريط الڤيديو العادي ، قادر على التسجيل المتواصل لغاية أربع ساعات ، خفيف الوزن ، ٣٫٤ كيلوجرام

■ مؤقت زمني قابل للبرمجة المقدمة لـ ٨ أحداث خلال ١٤ يوما .
■ ريموت كنترول بالأشعة دون الحمراء بنظام إنتقاء القناة ذو منفذ عشو
■ الأبعاد : المسجل آتش آر ـــ آس ١٠ اي : ٢٠٤ مللي متر (عرض) × ٨٠ مللي متر (ارتفاع) × ٢٢٥ مللي متر (عمق) . المنغم تي يو ـــ آس ١٠ آي : ٢٢٣ مللي متر (عمق) × ٧٦٫٥ مللي متر (ارتفاع) × ٢٥٦ مللي متر (عمق) .



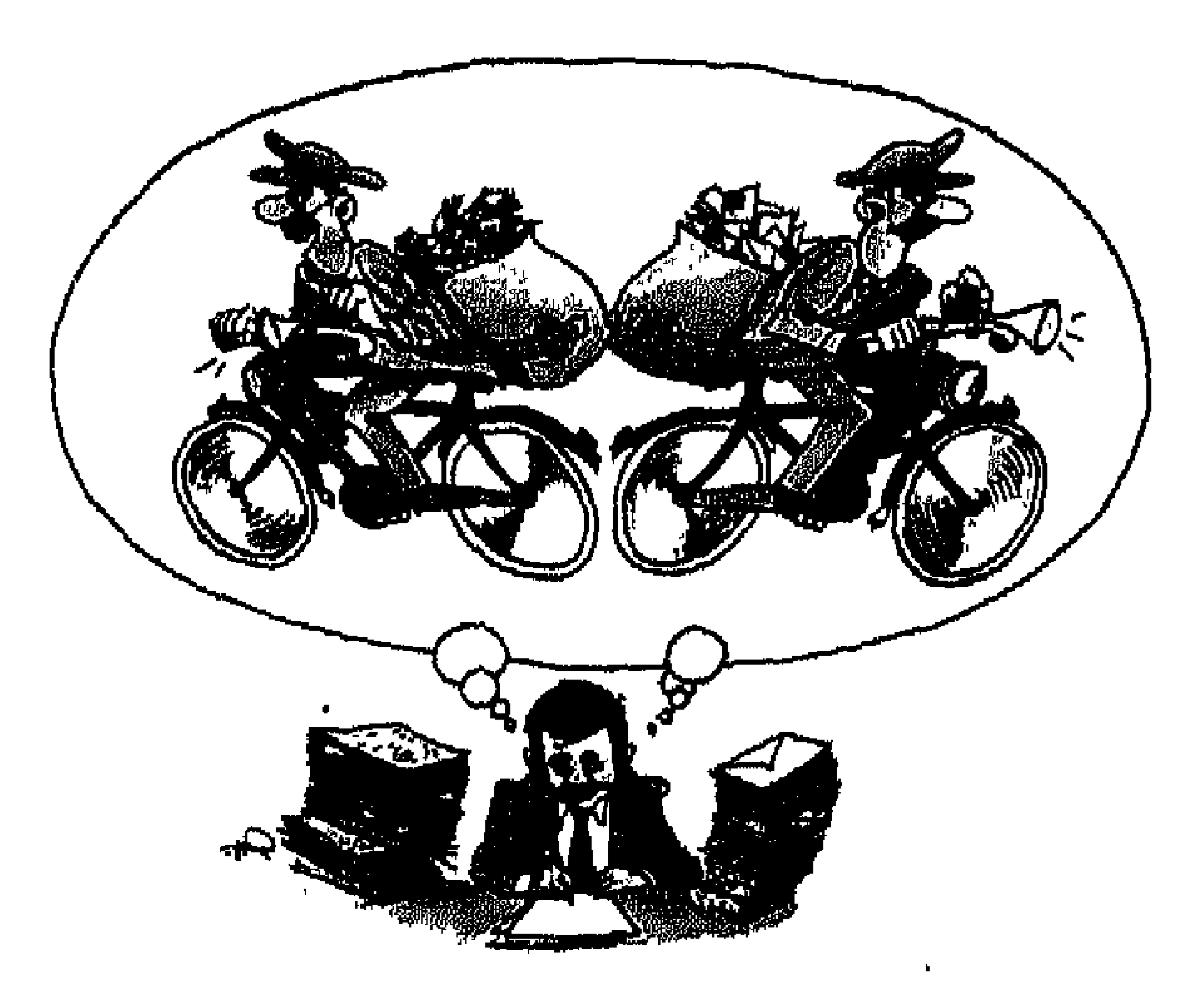
HR-S10E/TU-S10A



JVC

مجموعة أجزاء ڤيديو

بال / ميسيكام



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان نشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فلدفع لك المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب و اربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين: على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

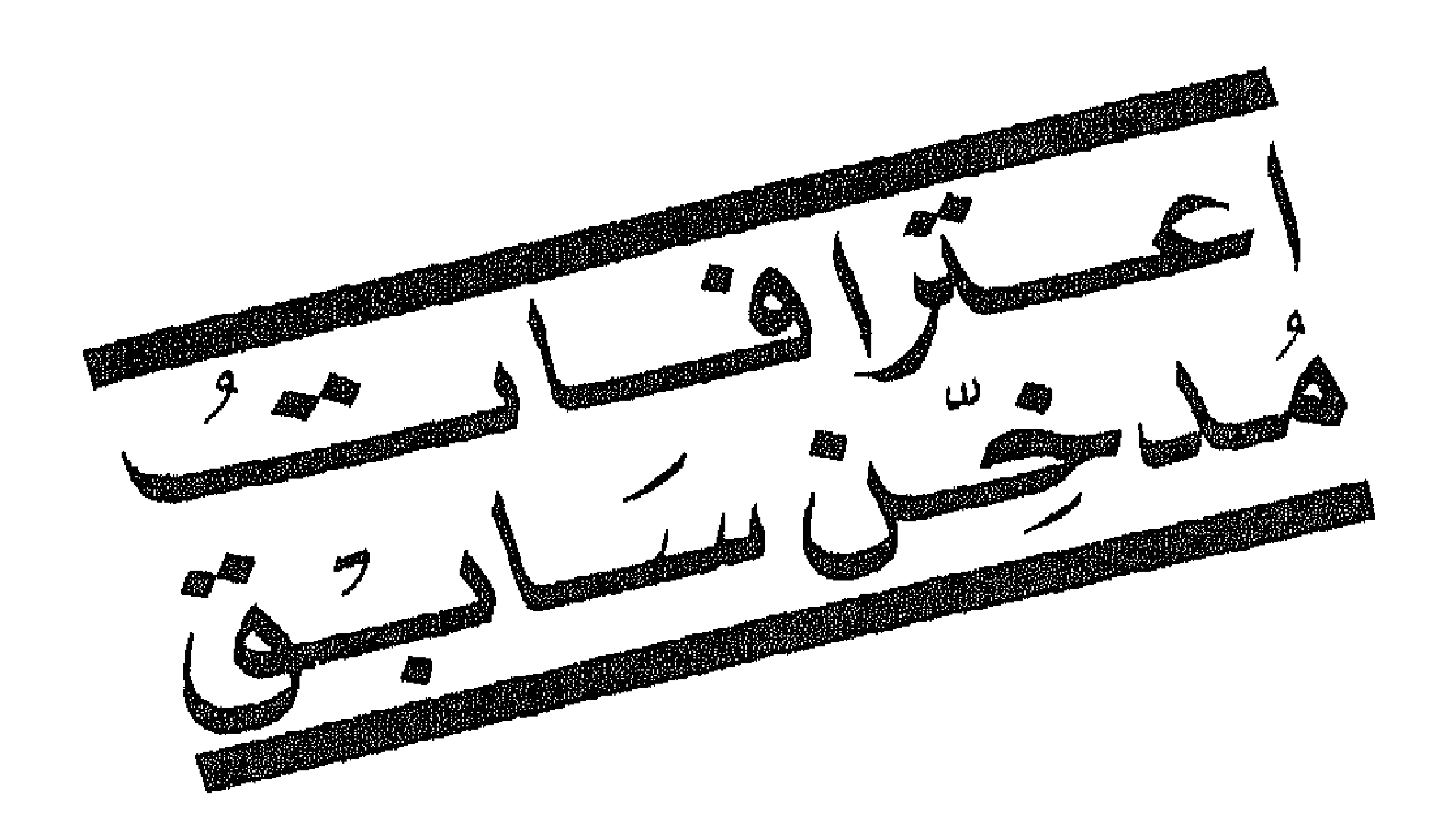
السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الأسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.



فقدت حيويتي وغدا صوتي أجش وأخذت صحتي تنهار. ورددت السبب الى كل شيء ما عدا التدخين.
لكني ذات صباح وجدت العلة في السجائر

"اسمي موريس زولوتوف وأنا مدخّن سابق. لكني لم أدخن سيجارة واحدة منذ ٤ يوليو (تموز) ١٩٨٣."

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ تفوهت بهذه الكلمات أمام ٣٢ عضواً من جمعية المدخنين السابقين التي تلتئم أسبوعياً في روكسبوري بارك من أعمال ولاية كاليفورنيا الأمريكية. وكرئيس لجلسة ذلك المساء، دعوت كلا من الحاضرين الى التحدث عن الدوافع التي حدته على التدخين وتلك التي حملته على الانقطاع. وهكذا يساعد أحدنا الآخر خلال الأزمات النفسية التي تلازم قطع النيكوتين بعد إدمان.

ولا يخطئنَّ أحد في الأمر. فالتدخين إدمان. وهذا واقع يجب أن يدركه المدخنون المنقطعون. ولولا حسنات التدخين لما ظهرت سيئاته من انتفاخ الرئة الى السرطان الى النوبات القلبية والدماغية.

الكثير منا خجول وعصبي، وهو لجأ الى التدخين ليضع حجاباً بينه وبين الآخرين. وطالما احتاج الواحد منا الى المفعول المسكن للسجائر خلال لقاءات الأعمال

الضاغطة أو المناوشات الشخصية، ثم اكتشف بعد الانقطاع أنه استعاد عصبية مزاجه.

أجل، هذه المسائل وما شابهها هي التي نتداولها خلال لقاءاتنا نحن المدخنين السابقين.

العادة القاتلة – بعد أربعين سنة من تدخين أربعين الى ستين سيجارة يومياً، وبعدما حذّرني أحد الجرّاحين من أن التدخين يُتلف حنجرتي وأنذرني أطباء آخرون بأني مهدد بخطر السرطان وانتفاخ الرئة، فضلا عن معاناتي نوبة قلبية خفيفة، وجدت أني لا أزال مرغماً على التدخين. كان ثمة قسر في المسألة. واستسلمت للتدخين بمساوئه جميعاً، على معرفتي أنه يقودني نحو الهلاك.

والعمل الشاق ليس الانقطاع في ذاته. وقد قال مارك توين مرة: "من السهل وقف التدخين. فأنا أوقفته ألف مرة حتى اليوم." العسير هو كيف يعيش المرء بعد الانقطاع وكيف يثابر عليه.

لذلك جئت أقول لكم، ولاسيما لاولئك الذين لا يزالون يمارسون الانتحار بالنيكوتين، إن المواظبة على قطع التدخين ممكنة لهم كما برهنت عن إمكانها لي ولكثيرين. ونحن لا نفعل ذلك بقوة الارادة، بل بنقيض ذلك تماماً، أي بالاستسلام.

لقد سلّمنا جميعاً بضعفنا امام تلك اللفافات البيضاء المحشوة عشبا يابساً. والبعض منا يكتفي بالايمان فيما يتكل آخرون على القوة المستمدة من الجماعة. ولكن كلنا يعتقد أن أهم ما في الأمر مساعدة المدخنين الذين ما برحوا في طور الادمان. وعلى هذا الأساس تقوم الحملة الجديدة ضد السجائر.

ونحن نعقد ثلاثة اجتماعات شهرية في أمسيات الاثنين، فيتحدث كل منا بضع دقائق واصفاً المباهج الجديدة المستمدة من رائحة الطعام ومذاقه ومن قيادة سيارة نظيفة ومن شمّ أنفاس الآخرين التي لا تشوبها ريح السجائر. كما نتحدث عن تحرر أمزجتنا من قسوتها وكآبتها وعن شعورنا بالشباب وممارستنا الرياضة بنشاط أكبر. ويتطرق بعضنا، وإن بخفر، الى الحيوية التي طرأت على حياته العاطفية.

وفي أمسية الاثنين الرابع من كل شهر



يتكلم أحدنا ثلاثين دقيقة سارداً بعض جوانب سيرته كمدخن. وكان ذلك سهلا بالنسبة الي لأن تلك الصفحات من حياتي

Illustration: Bill Cleaver

ما برحت حية في ذاكرتي، لا بل اني أذكر حياتي كمدخن منذ السيجارة الاولى. وكنت آنذاك فتى خجولا في السادسة عشرة، أتأتىء إذ أتكلم. وكان صديقي الأحم ادي ناضجاً وعصرياً في أسلوب حياته. وهو كان يكبرني بسنة وقد باشر التدخين. وكان يختال في مشيئته معتمراً قبعة ويبدو مثل نجوم هوليوود. وشئت أن أدلي أنا أيضاً سيجارة من طرف شفتيّ وأشد قبعتي الى الوراء وأكبّ على الآلة الكاتبة.

مراقبة الموت - أجل، ظننت أن التدخين يجعل مني نجماً لامعاً على غرار همفري بوغارت أو كلارك غيبل. وهكذا كنت كمن يبتاع حلماً عندما اشتريت علبة سجائري الاولى بثمن ١٥ سنتاً. ومنحتني السيجارة الاولى دافعاً قوياً الى الكلام والضحك.

وكان التدخين فعل ثورة على والديّ اللذين حظّرا التبغ. وخلال إقامتي معهما كنت أدخن سراً وأخفي علب السجائر وراء كتبي وأصرف أوقات فراغي مع سواي من "المجرمين" المدخنين.

ولدى تخرجي في الجامعة وبدئي العمل الصحافي كان التدخين غدا عادة متحكمة بي. وفي غياب حصتي اليومية من السجائر، لم أقوَ على الكتابة والأكل والنوم والغرام، ولا حتى على اللعب مع أطفالي. والأدهى من هذا كله أني في غياب السجائر لم أستطع التحدث الى الناس - ليس الى غير العاديين منهم فحسب أو الغرباء الذين أصادفهم في المناسبات العامة، ولكن مع أي كان، بمن فيهم أفراد عائلتي وأصدقائي. وغدا أصغر نشاط في حياتي داخلا حيّز التدخين.

وهذا يفسر الصعوبة التي يعانيها ملايين الناس في قطع التدخين، على رغم التحذيرات المطبوعة على علب السجائر واشارة الأطباء الى مغبة التدخين. وكان بين خيرة أصدقائي محام قدير كثير الأعمال اسمه جو أوكوبن، وهو بحري سابق ورياضي رفيع القدر. وللتكيف مع ضغوط الحياة بات جو يدخن ثلاث علب سجائر يومياً. وكان طبيعياً أن تتدهور صحته الى حد اضطر معه الى التقاعد قبل الأوان. وأشتد عليه الانتفاخ الرئوي بحيث لم يبق في إمكانه أن يقطع غرفة من ناحية الى أخرى. غير أنه أصر على الاستمرار في التدخين. وفي الحادية والستين تولّد لديه سرطان في الرئة.

وفي الاسابيع الأخيرة من حياته كنت أعوده يوماً بعد يوم. وكل ما أمكنني فعله خلال تلك الزيارات كان النظر الى عينيه الزرقاوين الحزينتين والتأسّي على الطريقة التي سلب بها عافيته، بل حياته، بواسطة السجائر. وبعد انتهاء الزيارة كنت أنزل بالمصعد. وما ان تطأ قدماي أرض الشارع حتى أشعل سيجارة وأنتشق دخانها عميقاً، فأشرق وأسعل كالعادة. وهكذا لم تحملني مراقبة موت صديقي على قطع التدخين. وشعرت أن هذا أمر مكتوب لي.

سعياً الى النظافة - ما الذي حدث يوم الرابع من يوليو (تموز) ١٩٨٢ ليجعلني أوقف تلك العادة القاتلة أخيرا؟

في تقديري أن ما حدث لا يقلّ عن تجربة روحية أدركت خلالها اليأس الذي أقود نفسي اليه. وكنت طوال سنتين عانيت احتقاناً رئوياً حاداً وزكاماً مستديماً. وظللت أشهراً أختبر هبوطاً في طاقتي النفسية والجسدية. وعزوت الأمر الى الضباب المخيم على مدينة لوس انجلس والى الكف عن الرياضة والى العمل الزائد. أجل، عزوت الأمر الى كل شيء ممكن ما عدا السجائر.

وفي صبيحة ذلك الرابع من يوليو (تموز) عزوت العلة كلها الى التدخين.

وركبت سيارتي لحضور حفلة. لكني لم أستطع المتابعة، فعدت الى المرأب وأطفأت محرك السيارة. وخُيِّل الي أني على وشك الوفاة او الاصابة بعطل دائم، أي ما هو أسوأ من الوفاة. ولم تبقَ لديّ قوة إرادة. وأغمضت عينيّ وتمتمت: "يا إلهي! اذا كان من فائدة لبقائي، فأرجو أن تعينني."

وكما لو كنت في غيبوبة، صعدت الى شقتي ورميت أعقاب السجائر من المنافض. ورميت علبة سجائر كنت أتيت على نصفها. وحملت العلب التي لم أدخنها الى المحل المجاور واسترجعت ثمنها. وهكذا قطعت التدخين من غير قرارات سابقة أو إطالة تفكير. كل ما عرفته أن الاستمرار في التدخين يعني موتي. وأنا لم أشأ أن أموت قبل أواني.

وانقضى اليوم الاول على نحو أسهل مما توقعت. وتحدثت الى أصدقاء لي على الهاتف وجلست أمام التلفزيون وطالعت الكتب. وفي اليوم التالي كنت أشرب رشفة قهوة كلما أحسست حاجة الى التدخين. واتصلت بصديق انقطع هو أيضاً عن التدخين وطلبت منه أن يساعدني في المواظبة على الانقطاع. وسرّه طلبي نصيحته واقترح عليّ بعض التدابير.

ومع اليوم الرابع كان جوعي الى النيكوتين يستيقظ كل ثلاثين دقيقة. لكني عزمت على إبقاء جسمي نظيفاً. ويوماً بعد يوم هدأت أعصابي أكثر. وبعد أسابيع حدثت تبدلات أشبه بالمعجزات. وغاب السعال الذي كان يوقظني مراراً كل ليلة، ومعه اختفت نزلتي الصدرية المزمنة والتهاب الحنجرة والزكام الذي بدا أزلياً. وارتفعت الغمامة عن صدري فيما لازمت سماء لوس انجلس.

وراء الخطر — ما برحت أقاوم الدافع الى إشعال سيجارة. وفي تلك الأثناء سمعت عن رودجر ف. الذي استهل سلسلة لقاءات لاولئك الذين شاؤوا الانقطاع عن التدخين. واتصلت به ودعاني الى منزله. وللمرة الاولى استطعت أن اشارك الآخرين في الهموم والأعراض الملازمة للتدخين والانقطاع عنه.

وكان رودجر في الرابعة والثلاثين. وهو متعهد مبيعات من ولاية داكوتا الشمالية غدا مدخناً ثقيلا في الخامسة عشرة. ويقول انه كان مارس العيش بين السيجارة والاخرى. وفي الثلاثين وقف أمام الموت. لكن محاولاته قطع التدخين أخفقت.

ثم نُصحت صديقة له تنتمي الى جمعية لوقف التبغ بالانقطاع عن التدخين لأنها على وشك الاصابة بالتهاب قوي في الرئتين ومضاعفات قلبية. ورافقها رودجر

الى لقاءات الجمعية، واستطاع هو أيضاً التوقف عن التدخين. واقتناعاً منه بأن انقطاعه جاء تشجيعاً لصديقته على الانقطاع، قرر أن يفعل للآخرين كل ما من شأنه إعانتهم على الكف عن تلك العادة.

وبعد أسابيع من تعرفي الى رودجر وأصدقائه من المدخنين السابقين طرت الى سان فرنسيسكو لمقابلة لينا هورن. ولكن هل سأقوى على التحدث اليها من غير تدخين؟

كان يكفي أن أفتح احدى النوافذ وأتنشق الهواء النقي لادرك أن مخاوفي إن هي الا "بعبع" لا وجود له في الواقع.

ولكن هل تحررت نهائياً من عادة التدخين؟ اني لا أملك الجواب عن ذلك، لكني أداوم لقاءات الجمعية. ولا أزال أحتاج الى التذكّر ان سيجارة واحدة أو نفَساً واحداً من سيجارة يعني العودة الى التدخين. وإذ أركب سيارتي بعد لقائنا في احدى أمسيات الصيف هذا، أجلس في المقعد لأتنشق رائحة الليل والياسمين.

أوَليس هذا من حسنات عدم التدخين؟

■ موريس زولوتوف



لعب الاطفال المعاقين

وجدت امرأة من ولاية نيويورك صعوبة في العثور على ألعاب لابنتها المتخلفة البالغة السنتين. ولم تستطع الفتاة التصرف حتى بأبسط الالعاب والدمى. وما لبثت الأم ان عرفت بوجود مهندس "بيوطبي" يُدعى ستيفن كانور يهتم في اوقات فراغه بتصميم الالعاب للاولاد الذين يعانون عاهات جسدية. ويقول كانور: "مهما تكن علة الطفل ففي امكاني صنع لعبة تلائمه، ويمكن ان يشغلها بنظرة او لمسة أو همسة أو نفخة هواء. والمؤسف أن السوق شبه خالية من اللعب المصممة للاطفال المتخلفين، في حين أنهم يحتاجون الى الالعاب مثلهم مثل سواهم."

صحيفة "لوس آنجلس تايمس"

حمام الصباح

الحمام الذي آخذه صباحاً هو أبهج طريقة لبدء يومي. فهو تأكيد على الدفء والنظافة، وعلى أهمية الحضارة التي أوصلت الماء الساخن الى بيتي.

المُثُل كالنجوم لا نبلغها البتة، لكننا نهتدي بها كما يهتدي بالنجوم الملاّح في البحر.

كارل شورز

الصاروخ الاوروبي "آريان" يتحدى المكوك الأمريكي في مجال اطلاق الاقمار الاصطناعية. ومعظم البلدان يطلب خدماته، خصوصاً البلدان العربية



كان الجو ساكناً ومتوتراً في غابات غيانا الفرنسية الرطبة بنباتاتها الكثيفة وحرارتها الاستوائية اللاهبة. وفجأة ارتفع صوت في المكبرات يقول: "ثلاثة، اثنان، واحد." وثار ضجيج هادر من المحركات. وفرت الطيور مذعورة حين ارتفع في الجو صاروخ أبيض لامع.


هذا المسرح الاستوائي في أمريكا الجنوبية لاطلاق قمرين اصطناعيين للاتصالات في ٨ فبراير (شباط) ١٩٨٥ يختلف كثيراً عن محيط التقنية العالية في مركز إطلاق المكوك الامريكي بمحطة كينيدي الفضائية في فلوريدا. بيد أن "آريان" المصنوع في أوروبا وهو صاروخ بسيط نسبياً وغير مأهول، والمكوك الامريكي وهو مركبة فضائية مأهولة ومتطورة، هما الآن متنافسان في نوع جديد من السباق الفضائي. كلاهما يحاول السيطرة على سوق الاقمار الاصطناعية المستخدمة في الاتصالات والرصد الجوي والاستكشاف العلمي.

والسوق تنمو بسرعة. ففي القطاع العام، كل حكومة تريد أن يكون لها قمر اصطناعي ينقل البث التلفزيوني والمكالمات الهاتفية مباشرة الى أقصى أنحاء بلادها ويقدم تقارير جوية دقيقة

المكوك الأمريكي: ١. (٢٤٥ كيلومتراً) قمر اصطناعي مع صاروخ دافع ينطلق من كبسولة الحمولة في المكوك. ٢. (٤٨٣ كيلومتراً) المدار الطبيعي للمكوك. ٣. (٣٦ ألف كيلومتر) طرح الصاروخ الدافع لدى وصول القمر الاصطناعي مداره وانفتاحه.

"آريان": أ. (٤٥٥ كيلومترات) طرح أجهزة الدفع. ب. (٥٨ كيلومتراً) انفصال الجزءين الأول والثاني من الصاروخ. ج. (١١١ كيلومتراً) طرح الأجزاء الواقية للقمر الاصطناعي. د. (١٥٣ كيلومتراً) انفصال الجزءين الثاني والثالث. هـ. (٢١٠ كيلومترات) انفصال القمر الاصطناعي عن الجزء الثالث من الصاروخ. و. (٣٦ ألف كيلومتر) القمر الاصطناعي يبلغ مداره.

Map: Vahe Kirishjian



قمر الأحوال الجوية
قمر الاتصالات
و
هـ
د
ج
ب
أ
آريان ٣
٣
٢
١
المكوك

وسوى ذلك من المعلومات العلمية. وفي السنوات الاخيرة تجاوزت طلبات الاقمار الاصطناعية كل التقديرات. وثمة الآن ما يزيد على ١٠٠ منها تدور حول الارض، ويحتمل أن يكون هناك ٣٠٠ قمر آخر في مدارات حول الارض بحلول السنة ١٩٩٤. ولدى الجامعة العربية واسكنديناڤيا وافريقيا وأمريكا الجنوبية أقمار في طور التصميم أو رهن الطلب. كذلك فرنسا وألمانيا الغربية وبريطانيا. ودخلت السوق الآن كوريا الجنوبية والهند وباكستان والصين وسواها. وثمة عدد متنام من الاقمار تملكه شركات خاصة.

منافسة الأمريكيين - عندما أطلق المكوك الفضائي الامريكي للمرة الاولى في ابريل (نيسان) ١٩٨١ كان أول مركبة مأهولة لحمل الاقمار الاصطناعية الى الفضاء الخارجي. لكن برنامج المكوك جاء متأخراً سنتين عن موعده بسبب مشاكل تقنية زادت تكاليفه. واضطرت وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا) الى خفض عدد الرحلات المقررة في الثمانينات. وبدا أن مالكي الاقمار الاصطناعية سيرغمون على الانتظار سنوات للافادة من خدماتها.

وفي يوليو (تموز) ١٩٧٣ قررت وكالة الفضاء الاوروبية التي كانت حينئذ تضم عشرة أعضاء (*) أن تصنع صاروخاً خاصاً بها. وبما أن معظم الاقمار الاصطناعية المصممة اليوم تعمل على ارتفاع مستقر عن الارض يناهز ٣٦ ألف كيلومتر فوق خط الاستواء، وتدور مع دوران الارض وهي بالتالي "مستقرة" فوق نقطة محددة، فان صاروخ وكالة الفضاء الاوروبية صمم منذ البداية ليصل الى هذا الارتفاع. وهو صاروخ تقليدي يستخدم مرة واحدة، وينفصل كل جزء منه ويسقط حالما تستهلك شحنته من الوقود. وفي اللحظة المناسبة يتحرر الجزء الذي يحمل القمر ويبدأ تصحيح وضعه في مداره.

وأنشأ الاوروبيون مركزاً فضائياً في الغابات الاستوائية الكثيفة في كورو في غيانا الفرنسية. ولما كانت أقمار الاتصالات تركز عادة فوق خط الاستواء، فان وجود هذا الموقع على بعد درجات قليلة من هذا الخط يعني أن آريان يمكن أن يكون أصغر حجماً وأقل كلفة من الصواريخ الاخرى التي أطلقت من مسافات أبعد الى الشمال. ولا غرو في أن الاوروبيين سارعوا الى توقيع عقود بـ٧٥٠ مليون دولار كرسوم، مع خطط ليطلق آريان ٣٠ قمراً اصطناعياً لعشرة بلدان بحلول ١٩٨٨.

وبعد اطلاق آريان الأول بنجاح في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٩ أنشأ المجلس الاداري لوكالة الفضاء الاوروبية "مؤسسة آريان الفضائية"، وهي ائتلاف شبه خاص لمجموعات فضائية ومصارف أوروبية تتخذ مركزاً لها خارج باريس في إفري. وتمول المؤسسة بناء الصاروخ واطلاقه وتسويقه في أنحاء العالم والمساعدة في ادارة المركز الفضائي في كورو. كما أن المركز الوطني للدراسات الخاصة ووكالة الفضاء الوطنية الفرنسية

(*) ألمانيا الغربية وفرنسا وبلجيكا والدانمرك وبريطانيا واسبانيا وهولندا وايطاليا وأسوج وسويسرا. وقد انضمت ايرلندا عام ١٩٧٨.

والمصارف المؤممة والشركات الفرنسية تملك ٦٠ في المئة من أسهم المؤسسة. وأثار هذا الواقع شكاوى الولايات المتحدة التي قالت إن المساهمات الحكومية وحدها تجعل آريان قادراً على منافسة المكوك الامريكي. وتغطي وكالة الفضاء الامريكية أقل من نصف مبلغ الـ ٢٠٠ مليون دولار الذي تتطلبه كل رحلة فضائية للمكوك، وان يكن يحمل شحنة كاملة من أربعة أقمار. ويتحمل دافعو الضرائب الامريكيون المبلغ الباقي.

الخسائر بالملايين – كيف يستطيع صاروخ غير متطور نسبياً ويستخدم مرة واحدة فقط أن ينافس المركبة الفضائية المتطورة جداً والمأهولة التي صنعتها وكالة الفضاء الامريكية؟

المرونة في التمويل هي السبب. فوكالة الفضاء الامريكية ومؤسسة آريان كلتاهما تستخدمان صيغاً معقدة في تحديد الرسوم المطلوبة، آخذتين في الاعتبار عوامل عدة مثل التضخم ووزن الشحنة المأجورة. ولكن يتاح للاوروبيين مجال أوسع للمفاوضة، لأن عدداً كبيراً من المصارف التي تملك أسهماً في مؤسسة آريان ترغب في تقديم جداول تسليف مناسبة الى مالكي الأقمار الاصطناعية الذين يفيدون من خدمات آريان. كما أن هنالك سبباً تقنياً. فالاقمار التي يطلقها آريان تبلغ مسافة أقرب الى موقع مدارها النهائي من تلك التي يطلقها المكوك، لذلك فانها تخدم مدة أطول وتوفر على أصحابها ملايين الدولارات.

ومؤسسة آريان، على نقيض وكالة الفضاء الامريكية، لا تخضع لاي اشراف حكومي، لذلك تتمتع بحرية ادخال أساليب جريئة الى السباق الفضائي. وكان منحى المؤسسة لاجتذاب الزبائن منفتحاً وجديداً، بينما ظلت وكالة الفضاء الامريكية التي لا توظف اختصاصيين بالترويج، مقيدة بموازنة تسويق متواضعة حددها الكونغرس (البرلمان) الامريكي.

بيد أن نقطة التحول بالنسبة الى مؤسسة آريان كانت في العامين ١٩٨٠ و١٩٨١ حين وجد الآملون باطلاق أقمار اصطناعية في ١٩٨٣ و١٩٨٤ أن رحلات المكوك الامريكي محجوزة حتى أواخر ١٩٨٥. وهكذا تحولوا الى آريان. وبين هؤلاء مؤسسة "انتلسات" وهي ائتلاف دولي للاتصالات، وكانت من الزبائن الاوائل ووقعت عقداً لثلاث رحلات. كما تعاقدت الجامعة العربية بمؤسستها "عربسات" مع آريان. وتبعتهما وكالات أوروبية أخرى. وجاءت الصدمة العنيفة لوكالة الفضاء الامريكية حين حذت ثلاث شركات أمريكية للاتصالات حذو هذه وتقدمت بطلبات اضافية لاطلاق اقمار اصطناعية بصاروخ آريان.

وأضفت فورة العقود هذه صدقية فورية على مؤسسة آريان، فسارعت الى ايفاد ممثلين لاقامة اتصال شخصي مع مالكي الاقمار الحاليين والمقبلين. وابتهج الزبائن لوجود بديل من المكوك الامريكي، وذلك لسبب وجيه. فكلفة اطلاق قمر اصطناعي تبلغ ٣٠ مليون دولار، وقد تساوي كلفة صنعه. ويستطيع آريان تقصير مدة الانتظار وتقليل التأجيلات

غير المتوقعة. وهو أمر حيوي لأن مالكي الاقمار الاصطناعية يركزون عملياتهم على أساس جداول تمتد خمس سنوات، وتأجيل الاطلاق قد يعني نفقات اضافية أو خسارة في العائدات. ان مالك القمر الاصطناعي الذي يوظف هذه الملايين قد لا يرغب في وضع كل ما لديه من بيض في سلة واحدة.

لوحت مؤسسة آريان بمخاوف أخرى: ترى هل تتخلى وكالة الفضاء الامريكية عن قمر اصطناعي تجاري لمصلحة مهمة عسكرية؟ يقول دوغلاس هايدون الذي يرئس الفرع الامريكي لمؤسسة آريان في العاصمة واشنطن: "لا بد أن يكون هذا مصدر قلق لحاجزي رحلات المكوك. فللمؤسسة العسكرية أولوية على الزبائن التجاريين." وماذا يحدث اذا وقع طارىء في المكوك يهدد حياة روّاد الفضاء فيه؟ أتراهم يلقون بالقمر الاصطناعي في الفضاء ليضيع أم يعودون به الى الارض؟ لا يمكن احداً أن يجزم بذلك. لكن احتمال خسارة الملايين من عائدات القمر الاصطناعي يبقى مصدر قلق يجعل من آريان البديل المغري.

كارثة مزدوجة – بيع خدمات آريان لم يكن دائماً سهلا. فبعد كارثة مبكرة وقعت في رحلته الثانية بدا أن آريان يعمل على نحو جيد. ثم انطلق الصاروخ الخامس هادراً من الغابة الاستوائية في صيف ١٩٨٢. وأعلن الفنيون في مركز المراقبة في كورو أن الطبقة الثانية سقطت تماماً كما خطط لها. وبعد لحظات وقعت الكارثة. فما ان وصل الصاروخ الى الاعالي فوق الاطلسي حتى فقد قوته فجأة. وسقط قمران اصطناعيان أوروبيان في المحيط وسط الحطام المشتعل. وللحال أخذ كل زبون عتيد يعيد النظر في البنود الخاصة بألغاء العقد.

ومنذ بدء التحقيق في الكارثة أخذت مؤسسة آريان تعقد اجتماعات مع زبائنها وسمحت لهم بدراسة التقارير والتدقيق في نتائج الفحوص. وليس ثمة مجال للسرية. فحين طرحوا الاسئلة قدمت اليهم الاجوبة. وفي النهاية اكتشف المهندسون العلة وهي مضخة عنفية (توربينية) تفتقر الى التزييت الكافي.

وانطلق آريان السادس من الغابة الاستوائية في غيانا في شهر يونيو (حزيران) ١٩٨٣ حاملا قمرين اصطناعيين. وخلال ساعات تلقى الزبائن في أنحاء العالم اتصالات هاتفية وبرقيات مطمئنة من إفري تزف اليهم خبر النجاح. وفي غضون أسابيع وقعت مؤسسة آريان عقوداً لاطلاق أربعة أقمار اصطناعية أخرى. ان انفتاح الشركة غير المألوف حقق لها النجاح.

لكن التأخيرات أفقدت مؤسسة آريان زبوناً هو شركة الاتصالات الامريكية "وسترن يونيون" التي ألغت حجزها على آريان لشهر مارس (آذار) ١٩٨٤ واغتنمت فرصة أتيحت لها على المكوك. واضطرت الشركة الى التخلي عن ملايين الدولارات التي دفعتها رسوماً الى مؤسسة آريان، لكنها أملت أن تفيد من الاطلاق المبكر. وبعد أقل من ساعة من انطلاق القمر الاصطناعي "وستار" الذي

بلغت تكاليفه ٧٥ مليون دولار، من المكوك في شهر فبراير (شباط) أصيب جهاز دفعه بخلل فوضع القمر في مدار غير صحيح. وتكرر هذا العطل في جهاز الدفع في قمر اصطناعي اندونيسي مماثل بعد ثلاثة أيام، فخلف هذا القمر أيضاً معطلا وهائماً في الفضاء. ولم تتم استعادة القمرين الضالين الا في رحلة لاحقة مثيرة للمكوك الفضائي في نوفمبر (تشرين الثاني) التالي. وعنت الكارثة المزدوجة أشهراً طويلة من التحقيق في وكالة الفضاء الامريكية، وتبديلات رئيسية في جداول الرحلات المقبلة.

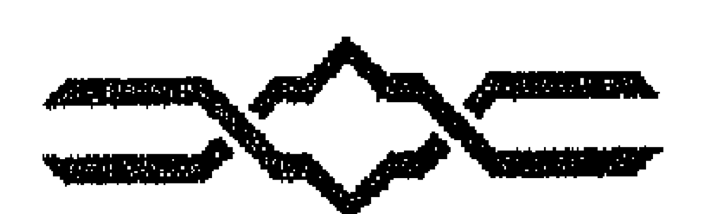
عصر الفضاء – يحافظ هايدون وموظفوه على تأهبهم في انتظار زبائن أمريكيين. ويقول هايدون: "اننا نبحث عن شركات ضالعة منذ زمن في حقل الاتصالات بواسطة الأقمار الاصطناعية. ونحن دائماً على أهبة لاستقبال زبائن جدد يفيدون من خدماتنا."

وتوجه مؤسسة آريان أنظارها أيضاً الى سوق جديدة لنقل شحنات صغيرة من المعدات العلمية وأجهزة المراقبة الى الفضاء. وتقدمت أسوج (السويد) بطلب لوضع أجهزة خاصة بدرس الحقل المغناطيسي للأرض. وتبحث الهند والارجنتين واندونيسيا الآن في شروط مؤسسة آريان، ولديها شحنات صغيرة من اجهزة مراقبة الطقس والارض. وهذه الاجهزة يمكن حشرها على متن الصاروخ مع الاقمار الأكبر حجماً، لذلك يمكن وضعها في مداراتها برسوم مخفضة.

ويطور الآن قمر اصطناعي جديد خفيف الوزن (٤٠٠ – ٧٠٠ كيلوغرام) يمكن تزويده تشكيلة واسعة من الاجهزة والحسّاسات التي تضعه ضمن الامكانات المالية للمؤسسات العلمية الخاصة وبلدان العالم الثالث. وقد حمل نجاح آريان وكالة الفضاء الامريكية على الاقرار بعيوب في مكوكها الفضائي والسعي الى اصلاحها. ومع كل رحلة للمكوك تتعلّم الوكالة أساليب جديدة لخفض التكاليف وترويج أسعارها المميزة العائدة الى سعة الاستيعاب.

ولا تزال المنافسة شديدة. وفي العام ١٩٨٣ بزّت وكالة الفضاء الامريكية مؤسسة آريان في خفض الاسعار وفازت بعقد لاطلاق أول قمرين من خمسة أقمار "انتلسات" جديدة في ١٩٨٦ و١٩٨٧، ضمن سلسلة "انتلسات" السادسة. وفي مارس (آذار) ١٩٨٤ أعلنت "انتلسات" أن آريان سيطلق القمر الثالث. وسيكشف المستقبل من سيضع القمرين الباقيين في مداريهما. ولكن لا ريب في ان المنافسة في هذا السباق الفضائي السلمي ستعود بالخير على الجميع.

■ **جيم شفتر**



المتفائل يرى الوردة. أما المتشائم فيرى الشوك.

صحيفة "كلارين"، بوينس آيرس

أحبّوا الحياة

كنت أقطّع البطيخ في رحلة مدرسية وأنا أضحك على الأولاد وهم يلعبون بالشرائح وكأنهم يعزفون على الهرمونيكا (١) أو يقطعونها ويضعون القشر على اسنانهم فتعلو وجوههم ضحكات خضراء عريضة. وقالت لي سيدة تجلس قريباً مني: "يبدو عليك السرور. كيف يمكنك ذلك بعد... بعد كل الذي حدث لك؟"

كثيراً ما يطرح علي الناس هذا السؤال، الناس الذين يعلمون أنني وزوجي لويس رزقنا ثلاثة أولاد مصابين بفقر الدم من نوع "كولي"، مما تسبّب في وفاة روز ماري أولا ثم ماريلو ثم جورج.

كيف يمكنني أن أسعد وأهنأ حقاً؟

ولدت ماريلو عام ١٩٥٥ وكانت طفلتنا الثانية وتصغر ابنتنا الصحيحة آن بسنتين. وظننت بادىء الأمر أن شحوبها يعود الى لون بشرتها التي تشبه بشرتي. فأنا وزوجي نتحدر من أصل شرق أوسطي، لكنه وحده يتمتع ببشرة سمراء.

ولم يكن طبيب الأطفال الذي عالج ماريلو متأكداً من مرضها في البداية

الكاتبة أمام صورة عائلية.



"عرف أولادي أن حياتهم ستكون قصيرة، فأحبوا كل يوم عاشوه. وسأعانق الحياة مثلهم. وسأبتهج بها وأسعد"

وقال: "يبدو أنها مصابة بفقر الدم وتحتاج الى بعض الفحوص الطبية." وبعد فترة وجيزة استدعاني وزوجي لتداول الأمر

---

(١) آلة نفخ موسيقية.

وقال: "آسف، يبدو أنّ ابنتكما مصابة بداء كولي." وهو نوع نادر من فقر الدم يأتي نتيجة اضطرابات وراثية ويعرف باسم الطبيب الذي اكتشفه. وفي حال الاصابة بهذا المرض يتوقف مخ العظام عن صنع النوع الصحيح من هيموغلوبين البالغين، وهو بروتيين الدم الذي يحمل الاوكسيجين الى جميع أنسجة الجسم.

ويصيب هذا المرض الأشخاص الذين يتحدرون في أصولهم من حوض البحر الأبيض المتوسط. ورغبة منّا في رأي طبيب ثان أخذنا ابنتنا الى عيادة مؤسسة الدم للاطفال في مركز كورنيل الطبي بمستشفى نيويورك. وهناك أكد لنا الطبيب مرضها وقال ان على ماريلو الحضور الى العيادة كل أسبوعين لنقل دم جديد اليها.

ومنذ ذلك الحين رحت أنقل ابنتي في سيارتي بانتظام من باترسون في نيوجرزي الى نيويورك للمعالجة. وبعد بضعة أشهر اعتادت ابنتي العلاج وبدأت تتعرف الى الأطفال الآخرين الذين يعالجون من المرض نفسه وعددهم تسعة عشر.

ورغبت أنا وزوجي في انجاب طفل آخر، لكننا خفنا من العاقبة. فأكد لنا طبيبنا الخاص: "نادراً ما يتكرر هذا المرض في عائلة واحدة."

الشكر لله – ولدت روز ماري عام ١٩٥٩ وبدت طبيعية للوهلة الاولى: عيناها زرقاوان براقتان وشعرها كستنائي مثل شعر شقيقتها ماريلو. وشعرت بأن هناك خطأ ما. فقد كانت روز ماري تبدو طبيعية يوماً ثم يبلل العرق رأسها في يوم آخر. وهذه العوارض تشبه تماماً ما كان يحصل مع ماريلو. وعندما بلغت شهرها السادس أكّد لنا الأطباء أنها تحتاج هي أيضاً الى عمليات نقل دم كشقيقتها.

وأصبحت أنقل طفلتين في سيارتي الى المدينة. وكان من السهل تبين مدى اعتمادهما على عملية نقل الدم. فكلما اقترب موعد العلاج كانتا تتعبان بسرعة لتعود اليهما السعادة بعد زيارة المستشفى. وحاولت أنا وزوجي أن نخفي كربنا بتهيئة بناتنا الثلاث لحياة طبيعية: دروس في الموسيقى وممارسة الألعاب الرياضية والذهاب في نزهات عائلية.

وولد ابننا جورج عام ١٩٦١. وكنّا تواقين الى انجاب صبي، خصوصاً بعدما أكد لنا الاطباء أن احتمال ولادة طفل ثالث يعاني داء كولي أصبح معدوماً. لكنني منذ حملت ابني الصغير للمرة الاولى عرفت أنه مصاب بتلك العلة. وباشرت نقل جورج وشقيقتيه روز ماري (عامان) وماريلو (٦ اعوام) الى مدينة نيويورك للعلاج.

وبقينا نشكر الله لأنه رزقنا أربعة أطفال. ومع مرور الزمن أصبحت زيارات نقل الدم جزءاً من حياتنا. وتابعناها وكلّنا أمل أن يكتشف طبيب دواء جديداً يغني عن هذه العملية.

وحدث الاكتشاف المريع يوم أعطتني احدى الامهات في المستشفى صحيفة فيها مقال بعنوان "اضطراب دموي مميت". وشرح المقال وضع الاطفال الذين يعالجون في هذه العيادة بالذات،

وجاء فيه: "ان مرضى كثيرين يموتون قبل بلوغ السن العشرين."

ولم أصدق ما قرأت. ثم سألت الطبيب فقال: "انها الحقيقة." وتنهد وتابع: "اجل، انها الحقيقة." فليس هناك دواء معروف يحول دون وفاة أطفالي.

وعشت وزوجي لويس سنوات في دوامة. وكان رد فعله أن بات قليل الكلام يركز تفكيره على عمله كمصمم أزياء. أما أنا فكنت أبكي كلما انفردت بنفسي أو جلست مع أمهات مثلي في العيادة.

ولم نجرؤ على مناقشة الموضوع مع الأولاد، مع أنني عرفت من حديثهم الى المرضى الآخرين أنهم يفقهون خطورة حالهم. وأخيراً حصل ما لم يكن محسوباً.

دخلت غرفة روز ماري (أصبحت الآن في التاسعة من عمرها) ذات أمسية فوجدتها تصنع حلية في شكل فراشة وقلت لها: "ما أجملها!". وراقبتها وهي تلصق بتأن حجر ألماس زائفاً. كانت تبيع مصنوعاتها في معارض الحرف اليدوية.

وتمتمت: "شكراً يا أماه. أريد أن اكسب ما يسدد مصاريف الجامعة."

الجامعة؟ اختنقت الكلمات في حلقي وقلت: "آه! وماذا تنوين أن تدرسي يا حبيبتي؟"

نظرت اليّ بعينيها البرّاقتين وأجابت: "التمريض يا أماه. أريد ان أكون مثل هؤلاء النساء الفاضلات في المستشفى."

وعادت الى عملها ومشيت أنا ببطء خارج الغرفة محاولة أن أتفهم الوضع كله: روز ماري لا تفكر في الموت، بل تضع الحياة نصب عينيها.

وفي عيد الشكر (٢) اتصلت احدى معلماتها وقالت انها طلبت من التلاميذ أن يكتبوا عن أهم شيء في حياتهم يستأهل الشكر، وأضافت: "أعتقد أنك ترغبين في سماع ما كتبت روز ماري. وقرأت بصوت متهدج: "أشكر الله على الصحة والعافية."

الصحة والعافية؟ كيف يمكنها أن تكتب ذلك؟ ثم تذكرت الأطفال الذين تراهم روز ماري في المستشفى والذين يعانون مرض السرطان أو بتر الأطراف وقارنت حالها بحالهم. في امكانها هي أن تمشي وتذهب الى المدرسة وتقفز فوق الحبل.

الموت المنتظر – ملأت روزماري منزلنا بلوحات خطّت عليها آيات وحكماً. وعلقت في غرفتها لوحة جاء فيها: "هذا اليوم صنعه الله. فلنفرح ولنتهلل به."

ورأيت أن بيتنا ليس بيت أحزان وأشباح. لقد ملأه أطفالنا مرحاً. وكانت روزماري تعزف على البيانو وتصنع المجوهرات المزيفة. وكان لدى جورج الصغير مجموعة كبيرة من الحجار، وهو راح يتكلم عن رغبته في أن يصبح عالماً بطبقات الأرض. وبدأت أفهم ببطء أن أولادي جميعهم كانوا مبتهجين بالحياة.

وفي الرابع من يوليو (تموز) ١٩٦٩ أدخلت روز ماري (أصبحت في العاشرة) المستشفى من جراء نوبة قلبية، وهذا تأثير جانبي لمرض كولي. وقلت لها: "تبدين أحسن حالا يا حبيبتي." وقبلتها مودعة: "سأعود صباحاً مع والدك."

---

(٢) عيد أمريكي.

وبعد وصولي الى البيت رنّ جرس الهاتف ليعلن مكلمي أن روزماري "توفيت بسلام".

وكان أسانا كبيراً. وشعرت أن ايماني تزعزع. ولكن سرعان ما تفهمت حقيقة أن الحياة تستمر.

. وعرفت ماريلو وعرف جورج أن عمرهما سيكون قصيراً. وأجبرهما موت روز ماري على انتظار الحقيقة التي كتبت عليهما مواجهتها. كانت ماريلو تكبر روز ماري بأربع سنوات. وهي واظبت على زيارة قبر شقيقتها. وعرفت أنها تتأمل هناك موتها المنتظر. ومع ذلك عاشت حياتها بحماسة. وبقيت تدرس وتتصدر لائحة الشرف في المدرسة الثانوية. وكانت تتمتع بشعبية بين رفقائها، واقترحت علينا نظاماً غير مجرى حياتنا.

كنت أنا وزوجي لويس أخذنا الأولاد في نزهة الى الجبل. وفي يوم من الايام عادت ماريلو من المستشفى وقالت: "أماه، عندما أخبرت الأولاد في العيادة عن الجبل قال معظمهم انهم لم يروا في حياتهم مكاناً مرتفعاً مثله. هل يمكننا أن نصحبهم معنا في المرة المقبلة؟""

وضممتها الى صدري وقلت: "حتماً."

ونظمت فريق متطوعين لاصطحاب الأطفال في رحلات. وجمعنا بعض المال من بيع الحلوى المنزلية لسد نفقات رحلة الجبل. وكم كان منظر الاطفال رائعاً وهم يضحكون ويمرحون بعيداً عن وخز الابر!

وتخرجت ماريلو عام ١٩٧٣ في المدرسة الثانوية كعضو في رابطة الشرف بالولايات المتحدة. وكانت أجريت لها جراحة لاستئصال الطحال فبذلت جهداً كبيراً لنيل هذا الشرف. والتحقت في الخريف بكلية وليم باترسون في واين بولاية نيوجرزي لتتخصص بالفنون الجميلة. وما لبثت أن تصدرت لائحة المتفوقين. وعملت بعض الوقت في محل لاصلاح أجهزة التلفزيون، كما شاركت في نشاطات اجتماعية كجمع التبرعات والمساعدة التطوعية مما جعلها على اتصال بمعظم سكان المدينة.

وفي السنة التالية تطوعت لتجربة عقاقير جديدة لمعالجة مرض كولي. وكان عليها أن تدخل المستشفى فترة ثلاثة أسابيع فقالت: "اذا كان ذلك يفيد الأطفال الآخرين فان عملي مجد."

وفي العام ١٩٧٤ بلغت ماريلو التاسعة عشرة من العمر. وفي يناير (كانون الثاني) كانت لا تزال شجرة الميلاد تزين غرفة الاستقبال. وفي العشرين من ذلك الشهر هبت عاصفة ثلجية أجبرتنا على البقاء داخل البيت. وفي الصباح كانت ماريلو تعزف على البيانو فبدا عليها الاجهاد وقالت: "أعتقد أنني سأرتاح قليلا." ودخلت غرفتها. وبعد وقت قصير حملت اليها طعام الغداء.

قالت فرحة: "هذا الحساء لذيذا" ثم انطفأ النور في عينيها وارتمت على وسادتها من دون حراك."

معانقة الحياة – كانت جنازة ماريلو من أكبر الجنازات التي عرفتها مدينة باترسون. وشارك فيها العمدة والمجلس البلدي. ونعاها فريق المتطوعين لمكافحة داء كولي بهذه الكلمات: "انها عاشت وفهمت الحياة في سنواتها التسع

عشرة أفضل مما سيفهمها كثير منا وان عاشوا مئة سنة."

وفي يوم بارد ماطر من شهر فبراير (شباط) جلست أفكر في ابنتي المتألقة وقرأت على الحائط كلام ثلاث لوحات صنعتها روز ماري: "لن أتركك ولن أتخلى عنك" و"اتكالك عليه فهو راعيك" و"لا تقلق على الغد". وتراقصت الكلمات أمام ناظريّ ثمّ وضحت.

كانت ابنتنا الكبرى آن منهمكة في عملها. وكان جـورج مراهقـاً مفعماً بالحيوية جعل الحياة تدب في بيتنا: أصدقاؤه يجيئون ويذهبون على الدوام والهاتف لا يكف عن الرنين والمعجبات كثيرات. وكان يعمل في مطعم بعد رجوعه من المدرسة. واثر تخرجه التحق بكلية وليم باترسون وتابع عمله في المطعم. وعندما بلغ التاسعة عشرة اشترى سيارة سبور من طراز "شيفروليه" ذات لون أسود لمّاع مع خطوط حمراء على جانبيها. انها حلم كلّ شاب. وكان يهتم بتنظيفها وتلميعها وكأنها في صالة عرض.

وذات ليلة من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠ عرفت أن هناك أمراً على غير ما يرام عندما رأيت سيارته داخل الكاراج وقد أوقفها كيفما اتفق. وبعد أيام قليلة أخبرني: "ماما، لا أستطيع الصمود أكثر... انني تعب جداً."

وفي تلك الليلة قال: "اعرف أنني سأموت يا أماه." ونظر اليّ وأضاف: "عديني بأنك لن تبكي. أنت تعرفين أين سأكون."

- لن أبكي يا جورج.

وابتسم ابني وهزّ رأسه واستلقى الى الوراء وعيناه مغمضتان. ثم سحب نفساً عميقاً وفارق هذه الفانية.

روزماري.
ماريلو.
جورج

وهكذا يسألني الناس: "كيف يمكنك أن تسعدي بعد الذي حصل؟"

سأخبركم كيف.

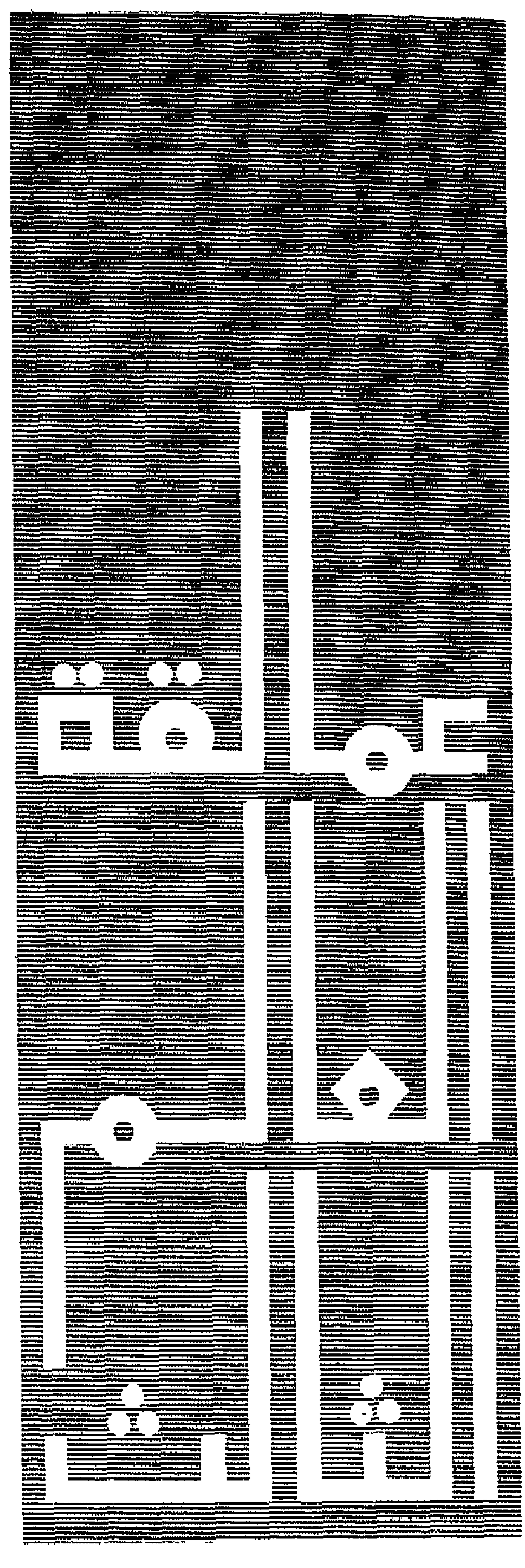
لقد فهم أولادي أن الحياة هبة مقدسة. فأحبوا كل يوم عاشوه. وكانوا مبتهجين وشاكرين مثل اشراقة الشمس، فأدفأوا حياتنا القصيرة معاً وأناروها. انهم عانقوا الحياة في وجه الموت المبكر. وأحبوا الحياة كثيراً واحترموها وتعاونوا لتخفيف آلام رفقائهم المرضى وأفادوا من أيامهم بابداع. فهل يجوز لي أن أحب الحياة أقل منهم؟

لا! لن أخذل ربي ولن أخذل أولادي فأرثي لحالي وأملأ نفسي حزناً وأسى. سأعانق الحياة مثلهم. وسأبتهج بها وأسعد.

■ ماري مناشي

لديّ اقتناع عميق بأن نقيض الحب ليس الكره، بل فقدان الشعور.

ليو بوسكاليا



اعتبرت هذه الشركات العملاقة أدوات للاستعمار الجديد. لكنها ما لبثت أن تعاونت مع الشركات المحلية وباتت تشكل مورد رزق وباب تقدم للبلدان المضيفة

في العالم اليوم شركات لا تزال مجهولة خارج البلدان التي تعمل فيها. وقد شرع بعض هذه الشركات في بناء السدود والطرق العريضة في غابات الامازون فيما أخذ بعضها الآخر يصنع الادمغة الالكترونية في آسيا. ومن هذه "دايوو" التي تضم عدداً من شركات كوريا الجنوبية وتنفق مليارات الدولارات في التجارة والصناعات المتنوعة. ومن بينها أيضاً شركة "بيرلا" الهندية للصناعة وامبراطورية "منديز" للانشاءات في البرازيل. وليست هذه سوى تعبير عن ازدهار التجارة والصناعة في عدد من دول العالم الثالث. والملاحظ أن هذه الشركات يمكنها بشيء من الحظ والاقدام والبراعة منافسة شركات عالمية كبيرة على غرار "بكتل" و"جنرال موتورز" و"ميتسوبيشي". ولا شك في أنها تعد بتحسين مستوى المعيشة وأدخال التكنولوجيا الحديثة الدولة النامية.

إن شركة "ليم" الاندونيسية مثلا هي شبكة تشمل عدداً من الشركات المالية والتجارية في هونغ كونغ ومصرفاً في كاليفورنيا وشركة تجارية هولندية مضى قرن على تأسيسها. أما شركتا

"هيونداي" و"دونغ آه المحدودة للانشاءات الصناعية" في كوريا الجنوبية فساهمتا كثيراً في أعمال التنمية في الشرق الاوسط. وتحتل شركة "بوهانغ" لصناعة الحديد والفولاذ في تلك البلاد المرتبة الثانية عشرة بين الشركات المنتجة للفولاذ في العالم. والى ذلك باتت شركتا "تاتونغ" و"سامبو" في تايوان قوتين رئيسيتين في السوق العالمية للاجهزة الالكترونية.

ومما يثير السخرية أن هذه الشركات المندمجة (١) نشأت في بلدان ينظر فيها الى الشركات المتعددة الجنسية على أنها أدوات للضغط الاستعماري الجديد. والواقع أن كثيراً من هذه الشركات في العالم الثالث هو نتاج الاستعمار. فشركة "جاردين وماثيسون" التي تعد من كبرى الشركات التجارية في هونغ كونغ بدأت أعمالها خلال ازدهار التجارة في الصين في القرن التاسع عشر. وشركة "سايم داربي" الماليزية شبه المؤممة هي بقية مؤسسة بريطانية أنشئت من موارد بيع المطاط والخشب. وهناك شركات أخرى مثل "بيتروبراس" البرازيلية حصلت على مساعدات عندما ارتفعت أسعار السلع في الستينات. وتعاظم هذا الاتجاه حين بدأت شركات غربية عالمية تقيم مباني وتجهيزات لمؤسساتها في تايوان وسنغافورة وغيرهما أثناء ازدهار الصناعة في بداية السبعينات. وقد حثت هذه الوفرة في المال والتكنولوجيا شركات العالم الثالث على انشاء صناعات كانت وقفاً على العالم الغربي.

فاعلية أكبر – الحق ان شركات العالم الثالث المتعددة الجنسية التي تصنّف ضمن أفضل ثلاثمئة شركة خارج الولايات المتحدة، ارتفع عددها من ست الى ثلاث وعشرين في السنين العشر الاخيرة. ويذهب أحد الخبراء الى أن عدد الشركات الاجنبية التابعة لشركات في العالم الثالث يزيد اليوم على ألفين في حين لم يكن يتجاوز عدد أصابع اليد قبل عشر سنين.

ولا شك في أن سعة نطاق الاستثمارات الخارجية في الدول النامية تبعث على الدهشة، خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار أن القدرات الاقتصادية للبلدان المستثمرة لا تزال صغيرة الحجم. فشركات هونغ كونغ مثلا استثمرت نحو ملياري دولار في مشاريع خارجية فيما أنفقت شركات برازيلية في هذه الاستثمارات نحو مليار دولار. وبلغ ما أنفقته كوريا الجنوبية في هذا المجال نحو أربعمئة مليون دولار. أما في الارجنتين والمكسيك وفنزويلا والهند فقد راوح ما انفقته كلّ من هذه الشركات المستثمرة بين خمسين مليوناً و١٥٠ مليون دولار. ويلاحظ ان أوضاع هذه الشركات المندمجة شبيهة بالاوضاع التي دفعت أولى الشركات الغربية المتعددة الجنسية الى إقامة فروع لها في الخارج. فهي كانت في حاجة الى تعويض ركود الاسواق المحلية والبحث عن مركز للانتاج أقل كلفة والهرب من القيود الحكومية.

(١) conglomerates أو الشركات المجمّعة الناشئة عن اندماج عدد من الشركات الاخرى.

ومن الواضح أن القدرة على التصدير هي مفتاح الثروات في العالم الثالث. ففي السبعينات أقامت شركات صناعة النسيج في هونغ كونغ مباني وتجهيزات لها في ماليزيا وسنغافورة وموريشوس وسري لانكا للتهرب من الكوتا (٢) الامريكية والاوروبية. وتمكن أصحاب المصانع في هونغ كونغ من تصدير مزيد من بضائعهم الى الغرب بتوسيع أعمالهم عبر إقامة مصانع لهم في بلدان أخرى.

وعلى رغم أن شركات العالم الثالث يعوزها عادة المال والتكنولوجيا اللذان تنعم بهما الشركات الغربية، فانها تفوقها نجاحاً في بعض المجالات. فهي كثيراً ما تتحلى بالمعرفة "المحلية" والقدرة على إقامة صلات ثقافية مع البلد المضيف، إذ إن نسبة العمال المحليين والمواد المحلية فيها أكثر مما هي عادة في الشركات الغربية. والحكومات المضيفة تمنحها أحياناً أفضلية في التعاقد وتأمين إجازات العمل. أما منتجاتها فهي عادة أكثر ملاءمة للمستهلكين. فالبرازيل مثلا عمدت الى تصميم أدوات منزلية تعمل بقوة كهربائية ضعيفة في الاماكن الرطبة.

والى ذلك فان شركات العالم الثالث كثيراً ما تبيع سلعها بأسعار منخفضة بالقياس على الشركات الغربية، لأن في مقدورها استخدام عمال محليين بأجور متدنية وعدم الاسراف في الاعتماد على موظفين أجانب يتلقون أجوراً عالية. وكثيراً ما تعمد الى مشاركة مؤسسات محلية مما يخفف عنها نفقات التأسيس ويمكّنها من التخلص من الضرائب التي تفرضها الحكومات المضيفة على الشركات الاجنبية. كذلك تعلمت أن تنتج البضاعة الجيدة على نطاق ضيق بفاعلية أكبر وكلفة أقل، بخلاف الشركات الغربية المنافسة التي تنفق أموالا كثيرة لانتاج كميات كبيرة من البضاعة.

خسائر بالملايين – على أن الشركات المتعددة الجنسية في العالم الثالث تواجه في مقابل ذلك بعض العقبات. فكثير من الشركات التي تملكها الدول، خصوصاً تلك التي تعمل في استخراج المعادن أو النفط، تبدو كأنها بلغت طريقاً مسدودة. فالاسعار في حال ركود، والرخصة التي تملكها الشركة يحظر عليها أحياناً استعمالها في وجوه أخرى. وبما أن كثيراً من شركات العالم الثالث هي ملك لأشخاص أو عائلات فان هذا يتسبب في مشكلات تعوق تطويرها. ومن هذه المشكلات اعتماد اساليب قديمة في الادارة وافتقار الشركة الى وارث شرعي والى دعم مالي متين. فشركة "كاريان" في هونغ كونغ مثلا يبلغ رأس مالها مليار دولار لكنها انهارت لارتكازها على أسس واهية قوامها قروض من المصارف.

كذلك تفتقر الشركات المتعددة الجنسية في العالم الثالث الى شبكات التسويق التي تجعل الشركات الغربية قادرة على بيع منتجاتها. فتأمين الاسواق وترويج المنتجات يستدعيان إنفاق أموال طائلة يصعب تأمينها. كما أن القيود المفروضة على صرف

---

(٢) نظام الحصص.

العملات تحدّ من قدرة الشركات على الاقتراض. ومعلوم أن معظم مصارف العالم الثالث انتقائي في تأمين القروض.

وكثيراً ما تحل الكوارث ببعض الشركات من دون استدراك الامر في الوقت الملائم. ومن الامثلة على ذلك شركة الانشاء والانماء في الفيليبين التي لم تعمّر طويلا. ففي العام ١٩٦٦ عمد الرئيس فرديناند ماركوس الى تشجيع رودولفو كونكا على دمج ١٢ شركة انشاء صغيرة في شركة ضخمة. وباتت هذه كبرى شركات الانشاء في جنوب شرق آسيا نظراً الى القروض المنخفضة الفائدة التي تتلقاها من الحكومة والى عدم ظهور شركات منافسة. غير أنه في العام ١٩٨٢ حصل خطأ في الحسابات المالية للشركة وطرأ هبوط مفاجىء على سوق الانشاءات في العالم مما أدى الى إفلاس الشركة خلال بضعة أشهر. وخسرت حكومة ماركوس من جراء ذلك ما يزيد على ٦٥٠ مليون دولار أي ١٣ في المئة من مجموع نفقاتها عام ١٩٨٢.

التعاون بدل العداء – هذا المثل دليل على الوهن الذي يعتري قدرة كثير من شركات العالم الثالث على التكيف مع التغيرات التي تطرأ في السوق التجارية. فاغراق الاسواق بالنفط جعل بعض شركات الانشاء الكبيرة في كوريا الجنوبية تتوقف عن العمل إذ كان معظم أرباحها وقفاً على مدخولها من الشرق الاوسط. والركود الاقتصادي في الغرب يشير هو أيضاً الى الصعوبات التي تكابدها الشركات الصناعية والتجارية في البلدان النامية. والى ذلك فعلى هذه الشركات مواجهة التحدي الناجم عن مبدأ حماية الانتاج الوطني في اليابان والغرب أي في كبرى أسواق العالم الثالث. من هنا ساعد التوتر في العلاقات التجارية بين كوريا الجنوبية والولايات المتحدة في إقناع شركتي "لاكي غولدستار" و"سامسونغ" باقامة مصانع للاجهزة الالكترونية في الولايات المتحدة. وحدث توترات مماثلة شركة "دايوو" على توقيع عقد مع شركة "جنرال موتورز" يسمح للاولى ببيع سياراتها في الولايات المتحدة على أن تتولى توزيعها شركة "جنرال موتورز".

واذا كانت الشركات الفردية تواجه أحياناً صعوبات أو تضطر الى التوقف عن العمل، فمن المتوقع ان تنمو ظاهرة الشركات المتعددة الجنسية بسبب اتساع نطاق التجارة في البلدان النامية. كذلك فان العمل المشترك بين شركات العالم الثالث والشركات الغربية آخذ في الازدياد مما قد يؤدي الى تحسين التكنولوجيا والموارد لدى الطارفين.

وربما ظهر نفع هذه النزعة بطرق أخرى أقل وضوحاً. فتعميق التوترات القائمة بين الدول المتطورة والدول النامية يعود في المقام الاول الى شعور البلدان الفقيرة بضرورة اعتمادها على البلدان الغنية. وقد يفلح نمو الشركات المتعددة الجنسية في العالم الثالث في تخفيف هذا العداء ونشوء شعور مختلف بين عالمي "الاغنياء" و"الفقراء".

■ **"نيوزويك انترناشونال"**

تأملات معاصرة



أخلص الأصدقاء

أعيش ومعطفي وقد غدا الواحد منا جزءاً من الآخر. فهو أخذ هيئة جسمي بما فيها من سلامة وانحراف. وأنا لا أشعر بوجوده لولا الدفء الذي يمنحني اياه. ان المعاطف القديمة هي من أخلص الأصدقاء.

فيكتور هيغو

المرأة الفاضلة

المرأة التي تنظر الى عيني زوجها بعطف عندما يعاني ضيقاً ثم تمد يدها لتلمس يده بمحبة تطيع المبدأ نفسه الذي يحمل القلب على ضخ المزيد من الدم الى عضو جريح.

س.ب.

الضحك

الضحك فرح النفس. وهو لا ينفصل عن الجدّ. فالملهاة والمأساة تولدان في رحم واحد وتخرجان الى الحياة يداً بيد. ومتى استطعنا الضحك استطعنا الحياة. والانسان على الدوام يرجو الافضل ويتحرك نحوه. ومن أجل تحقيق الأفضل لا بد من إدخال الجديد على حياتنا. وهذا الجديد يبدأ بالضحك، وهو ضحكنا على ما نطمح الى قلبه رأساً على عقب.

شون اوكاسي، كاتب مسرحي ايرلندي

آثار تتحدى الزمن

التحف الأثرية ليست أشياء غريبة عنا، بل هي امتداد الجنس البشري خلال الحقَب. والصنعة التي بذلها الحِرَفيون لاتقانها هي العنصر البشري الوحيد الذي يتحدى الزمن. واذا حملنا احدى تلك الأثريات، فكأننا نلمس العبقرية.

ج.غ.

جحيم الكراهية

عندما نكره أعداءنا نعطيهم سلطاناً علينا: على نومنا وشهيتنا وسعادتنا. ولو عرفوا مقدار إزعاجهم لنا لرقصوا غبطة وسروراً. والواقع أن كرهنا اياهم لا يؤذيهم البتة، وإنما هو يحيل ايامنا ولياليننا جحيماً لا يُطاق.

دايل كارنيغي، خطيب وكاتب أمريكي

المَحامي والبَحْرْ

قال الدكتور ماتيور "ما يهزمهم دائما في النهاية هو مشكلة التخلص من الجثة ولكن أنت تعرف ذلك طبعا بمقدار معرفتي أنا"

قال سليد "نعم" وهو في الحقيقة أمضى أياما طوالا يفكر في موضوع الحديث الذي ظنه الدكتور ماتيور مصادفة

وتابع ماتيور كلامه في الموضوع الذي قاده اليه سليد بلباقة: "الواقع أن الامر صعب الى حد يجعلني اتساءل لماذا يكون أي شخص من الغباء بحيث يرتكب جريمة قتل"

وفكر سليد: كل الامور حسنة بالنسبة اليك فأنت تجهل المصاعب التي تعترض المرء أحيانا.

وتابع الدكتور ماتيور "نعم، الجثة هي مفتاح الجريمة دائما. فاذا استطاع المرء التخلص من الجثة نهائيا كان أكثر أمانا، لا يمكنك اجراء محاكمة لجريمة قتل اذا لم تثبت وجود ضحية. فيجب أن تبين الجثة، أو الجسم الذي وقعت عليه



خطط المحامي جريمةٍ أرادها كاملة.
لكن انتقام ضحيته جاء مريعاً

الجريمة بحسب تعبيركم أنتم المحامين. ولا يمكن الشرطة أن تنال من المجرم في غياب الجثة مهما قويت الشكوك حوله، وفي وسع أحدنا تأليف قصة في هذا الموضوع يا سليد لو كان كاتباً.

قال سليد: "والله انك على حق." وضحك بخشونة. وما كادت الكلمات ان تخرج من فمه حتى ندم على ما قاله. فهو خشي أن يعكس تعبيره المتعة التي وفرها له هذا الكلام المطمئن. فلن تكتب قصة أبداً عن مقتل الشاب سبالدنغ، ذلك المغرور الوقح.

أداة الجريمة

قال ماتيوز الذي لم يلاحظ أي أمر غير عادي في تصرفات صديقه: "حسناً، كان بيننا حديث رهيب، أليس كذلك؟ ويبدو أنني تكلمت معظم الوقت. هذه نتيجة عشائك الممتاز. أما الآن فمن الافضل لي أن أعود الى البيت لأن الطقس ينذر بعاصفة.

رافق سليد صديقه ماتيوز الى سيارته وسط انهمار المطر وعصف الريح. وكان سليد سعيداً. فلن يكون هناك أحد في الطرقات الفرعية أو على الشاطىء.

وعندما عاد الى غرفة الرسم نظر الى ساعة الحائط. أمامه ساعة كاملة يمضيها في التأكد من صحة جميع خططه. انه يستطيع التفكير في هذه الخطط بكل برودة. فالمحامي سبالدنغ يملك مؤسسة قانونية تتعاون مع مؤسسته. وهو شاب فضولي بغيض، كما أنه الشخص الوحيد الذي يكاد يكتشف أمر الودائع المالية التي "استعارها" سليد ثم خسرها في إحدى المضاربات التجارية. وكلمة منه الآن قد ترسل سليد الى السجن.

رفع سليد نظره الى جداول المد والجزر. نعم، هذا ملائم تماماً. مد الربيع! ستكون المياه هذه الليلة ضحلة الى مسافة بعيدة جداً عن الرمال. ولحسن الحظ أيضاً أن الجزر سيحدث قرابة الاولى والنصف صباحاً، أي في أنسب الاوقات. وسيكون سبالدنغ في طريق عودته ككل ليلة أربعاء في قطار الساعة الثانية عشرة والنصف بعد قضائه يوماً في مكتبه الفرعي على بعد ٩٥ كيلومتراً عن المدينة.

وبدا أن عقارب الساعة تتحرك بسرعة. وقبعت الاثقال الحديد والسلسلة الضخمة في المقعد الخلفي للسيارة. وتناول سليد من مكتبته أداة غريبة: حبل قوي طوله ٤٥ سنتيمتراً ربطت الى طرفيه قطعة خشب طولها ١٥ سنتيمتراً فأصبح في شكل حلقة. ووضع سليد الاداة في جيبه وخرج.

وصفعت الريح القارسة وجهه. وأرجع السيارة الى خارج المرأب وقادها بحذر الى محطة السكة الحديد. ثم انعطف في طريق فرعية خلف المحطة وأوقف سيارته ومقدمها في اتجاه الطريق الرئيسية. ثم أطفأ المصابيح الامامية وجلس ينتظر.

رأى سليد أضواء القطار تقترب، لكنها كانت ليلة مجنونة منعته من سماع صفيره، وما كاد القطار أن يغادر المحطة حتى بدأت أنوارها تنطفىء واحداً تلو الآخر، وبدأ الحمال يستعد للذهاب الى منزله.

ثم سمعت أذنا سليد المشدودتان وقع أقدام. كان سبالدنغ يمشي بخطى واسعة

ورأسه منحنٍ اتقاء للعاصفة، فلم يلاحظ السيارة في الطريق عندما مر بها. وعدَّ سليد الى المئتين ثم أشعل أنوار سيارته وأدار المحرك وانطلق خلفه. ثم رآه فأكمل السير في محاذاته.

سأله وهو يجاهد لكي تأتي نبرته طبيعية: "ألست سبالدنغ يا رجل؟ من المستحسن أن أنقلك معي."

قال سبالدنغ: "شكراً جزيلا، فالسير ليس شائقاً في ليلة كهذه."

وصعد الى السيارة وأقفل الباب. لم يرهما أحد!

حديث أخير

قال سليد: "كنت في طريقي الى البيت عائداً من منزل السيد كلاي عندما رأيت القطار يدخل المحطة. وتذكرت أنها ليلة الاربعاء وأنك ستسير الى البيت. لذا فكرت في تغيير وجهة سيري قليلا فآخذك معي."

- هذا لطف منك.

"في الحقيقة كنت أريد أن أكلمك في شأن ودائع آل فير."

- آه، صحيح. لقد ذكّرتك في الاسبوع الماضي أن عليك تسليم الودائع.

"وقلت لك ان ذلك غير مناسب أثناء غياب هاموند في الخارج."

- لا أرى علاقة هاموند بالموضوع. لماذا لا تستطيع تسليمها؟ أنا لا يمكنني عمل أي شيء قبل أن تفعل. وعلي واجبات تجاه زبائني.

أوقف سليد السيارة وقال: "اسمع يا سبالدنغ. أنا لم أطلب منك معروفاً قبل اليوم، لكني أسألك الآن أن تمهلني قليلا، ثلاثة أشهر فقط حتى أقف على قدمي."

كان أمل سليد في تحقيق طلبه ضعيفاً الى حد جعله يسحب يده من جيبه ممسكاً بقطعة الخشب والحبل يتدلى منها. ورفع يده فوق مسند مقعد سبالدنغ وكرر كلامه: "لا أريد سوى ثلاثة أشهر."

وتصلب سبالدنغ وقال: "لا أظن من المجدي الاستمرار في هذا النقاش. ربما كان أفضل لي السير الى بيتي من هنا."

ومد يده الى مقبض الباب. واذ ذاك أسقط سليد الحبل فوق رأسه بحركة سريعة من رسغه الناحل ذي العظام الناتئة والقوي كالفولاذ في لحظة الغضب تلك. وشد الحبل حول عنق سبالدنغ، واستدار في مقعده وأمسك قطعة الخشب بكلتا يديه وهو يلويها بجنون. وغاب سبالدنغ عن الوعي قبل أن يفارق الحياة بوقت طويل.

بقي أمر التخلص من الجثة. وسحب سليد ركبتي الرجل الميت الى الامام حتى أصبحت الجثة ممددة على المقعد في محاذاة جانب السيارة، وأدار المحرك وانطلق بسرعة فيّ الليلة الهوجاء. لقد حان الجزر وأصبحت الرمال على بعد ١٥ كيلومتراً. انه يعرف الطريق جيداً، فهو قاد سيارته عليها تكراراً لكي يتذكرها تماماً. وكانت الريح القاسية تعصف تحت السماء السوداء وهو يتابع سيره.

وسمع هدير الامواج المتكسرة بعيداً. ونزل من السيارة وسار حولها الى الباب الآخر وعندما فتحه سقط الميت بين ساعديه.

رفعه سليد وهو يتلمس مؤخر السيارة باحثاً عن السلسلة والاثقال الحديد. وحشا

جيوب الميت بالاثقال ولف السلسلة حول الجثة. لن يعثر عليها أبداً مع هذا المقدار من الحديد الذي سيشدها الى أسفل عندما يأتي مد الربيع.

الانتقام المريع

حاول سليد رفع الجثة ليحملها فوق الرمال. وترنح وجاهد لكنه لم يملك القوة الكافية، فهو ذو بنية ناحلة وقد اجتاز سن الشباب، وكان العرق يتصبب على جبينه في الريح الباردة كالجليد. ترى هل تخفق كل خططه بسبب ضعفه الجسدي؟ لكنه أجبر جسمه الواهن على اطاعة أوامر دماغه الصارمة.

استدار وهو لا يزال يرفع الرجل الميت. ووضع الحمل على كتفيه وهو ينحني ثم جذب الساعدين حول عنقه ووضع الساقين حول خصره بنفضة واحدة. وانحنى حتى انطوى فأمكنه حمل الوزن الثقيل على ظهره وكتفيه.

وانطلق مترنحاً على المنحدر الصغير نحو هدير الامواج. كانت الرمال ناعمة تحت قدميه. وأصبحت المياه على بعد حوالى ثلاثة كيلومترات والريح القاسية تزعق حوله طوال الطريق. لذلك اختار سليد هذا المكان! فلن يقصده أحد أثناء الجزر قبل انقضاء أشهر عدة.

أكمل سليد السير وهو يترنح من دون أن يتوقف ليرتاح. الوقت يكفيه للوصول الى حافة المياه قبل أن يأتي المد.

وأخيراً رأى خط زبد في الظلام. وأبعد منه كانت الأمواج تتكسر في ضجيج مرعب.

ثبت سليد نفسه وهو يضع قدميه في الماء مخوضاً بعيداً لكي يستطيع ترك الجثة في مياه عميقة. وبلغت المياه ركبتيه ثم وركيه ثم خصره.

ومال سليد على جهة واحدة لدحرجة الجثة من على ظهره، فلم تتحرك. وشد ساعديها فلم يستطع فكهما. وهز نفسه مهتاجاً وحاول نزع الساقين عن خصره، لكنه لم يتمكن من كسر طوقهما. وجعل كالمسعور ينفض جسمه في محاولة يائسة للتخلص من الحمل. لكن الجثة علقت في مكانها كأنها حية.

واقتربت موجة متكسرة وتناثر الماء حوله. لقد بدأ المد، وهو لا بد آت كجواد سباق على تلك الرمال. وحاول مرة أخرى نزع العبء. واذ لازمته الجثة فقد برودة أعصابه وحاول أن يشق طريقه خارج البحر. لكن وزن الجثة المثقلة بالحديد شده الى اسفل.

وجاهد للنهوض في البحر المظلم المخطط بالزبد. وترنح بضع خطوات. ثم وقع ولم ينهض. وأبت عضلات سبالدنغ الاسترخاء فيما المجرم يغرق. وبقيت يداه تلتفان عنق قاتله في قبضة خانقة.

■ **سيسيل سكوت فورستر**

الكاتب بريطاني، ولد في القاهرة عام ١٨٩٩ وتوفي عام ١٩٦٦.

حركة المد ترفع جميع القوارب.
جون كينيدي

أنا وأمّي «وسمعان»

أمي في الثانية والتسعين
ولم تفارقها بعد روح الشباب

أمي في الثانية والتسعين وهي ما زالت تراهننا على أنها ستبقى شابة ما دامت ترغب في الشباب. وكم مرة تمنينا أنا وأختي أن تكبر وتتركنا نتولى زمام الأمور. عجباً كم هي عنيدة! تظن أنها تستطيع إتخاذ القرارات بنفسها كما كانت تفعل في ما مضى.

قبل ست سنوات أردنا لها أن تنتقل الى مسكن لا سلّم فيه. وارتأينا أنه يلزمها تلفاز (تلفزيون) يمكن التحكم به من بُعد (★) فلا تعود تتصارع مع كرسيها الهزاز كلما ارادت تغيير المحطة. وتساءلنا أيضاً ألا يجدر بها أن تعتزل قيادة السيارة، فهي في السادسة والثمانين وركبتها تؤلمها.

أتظن أنها تصغي الى آرائنا؟ بالطبع لا! فهذه المرأة مصممة على التصرّف كما يحلو لها. تُصرّ على القول: "ان صعود السلم يُبقيني فتية، والنهوض من كرسيّي الهزاز يُفيدني." أما في ما خصّ قيادة السيارة، فيوم ذهبنا الى أمي لنبحث في المسألة رأيناها تغسلها فلم نطرح الموضوع آنذاك.

وبلغت التسعين. فانتقلت أخيراً الى مسكن أرضي واقتنت تلفازاً يدار من بعد، حتى انها تخلت عن سيارتها لشقيقتي معلنة أن "هذا الشيء القديم الذي كانت تقوده لم يعد صالحاً."

وكنا جالسات في غرفتها. فاسترعت انتباهي عصا فضية مثلثة الاطراف ملقاة الى جانب كرسيها الهزاز. ولاحظت قرب الباب الأمامي كرّاجة فسألتها: "كيف حال ركبتك؟"

أجابتني باشمئزاز: "آه، عمرها تسعون سنة. لنتحدث في موضوع آخر. ترى من سيفوز ببطولة العالم في كرة القاعدة؟"

اواهر سمعان – تقطن شقيقتي على مسافة ساعة من بيت أمي. وأنا أسكن في منطقة تبعد ٢٥٠٠ كيلومتر. لكنني أحاول أن أزور أمي مرتين في السنة. ونبقى على اتصالٍ بواسطة الهاتف. وذات ليلة اتصلتُ بها للاطمئنان الى حالها.

قالت: "اليوم حدثت أمور مثيرة.

(★) Remote Conrol

جاءتني صديقة تصطحبني لنلعب الورق (الشدة). وكانت قرب سيارتها بقعة وحل فحاولت تجنبها. واذا بسيارة لم أرها ترجع نحوي وتطرحني أرضاً."

فصرخت: "أمي، هل أنت بخير؟"

– طبعاً! إلا أن أجمل ثوب عندي غطّاه الوحل.

ووصلنا متأخرتين الى اللعبة. لكني غلبتهن جميعاً!

ولم أتفوه بكلمة.

فقالت أمي: "هل تسمعينني؟ لقد غلبتهن جميعاً."

سيدة صلبة هي أمي.

في تلك الليلة تحدثت الى شقيقتي على الهاتف حول ألعاب أخرى كانت تمارسها أمي. وسألتني: أتتذكرين كيف لعبت بكرة المضرب؟"

فأجبتها: "طبعاً أذكر. كانت أمي هائلة ومولعة بالمنافسة. وكنت أنا بارعة في كرة المضرب في السن الثالثة عشرة. وفي أحد الايام التقطت أمي مضرباً وقالت لي: "أتعلمين انني لم ألعب منذ عشرين سنة، لكنني أود ان أجرب ضربة. وكانت قاربت الاربعين آنذاك، ومع ذلك تفوّقت عليّ."

وتنهدت شقيقتي: "يا لها من امرأة رائعة!" وأقفلنا الخط وقد اتفقنا على اننا لا نستطيع الكثير في ما يتعلق بشؤونها.

وعندما كان أولادي صغاراً يجلسون في حضنها كنت أندهش دائماً من نظرة الرعب الممزوجة بالبهجة على وجوههم. اني أتذكر جيداً هذا الشعور! فعندما تتلو أمي قصة "ليلى والذئب" تؤخذ بها كلياً. وحين تصل الى حيث يقول الذئب "سألتهمك!" تجحظ عيناها الخضراوان. وكنت أصرخ مسعورة. وهي لم تكن تقرأ لنا القصص قبيل وقت النوم.

ترى هل أستطيع يوماً أن أنافسها؟ لقد سنحت لي الفرصة في لعبة واحدة كنا نلعبها في صغرنا: لعبة "أوامر سمعان." كانت أمي تبدأها من دون سابق إنذار قائلة لنا: "يأمركما سمعان برفع الابهام." وعلى الفور كنت وشقيقتي نرفع ابهامينا. "والآن"، تتنهد أمي بعمق لتجعلنا ننتظر: "يأمركما سمعان بخفض الابهام!" وكنا نطيعها للحال.

وكان سمعان يحتفظ بأفكار أخرى لنفسه. وكنت أعلم أن المقصود في اللعبة أن سمعان وحده هو الذي يُصدر الأوامر، وأنه كان جباراً أكثر من أمي. فاذا نفّذنا أوامرها هي خسرنا. وبعد دقائق قليلة كنت أقول في نفسي: انتبهي، لا تقعي في الشرك. لكن جهودي بقيت دائماً بلا ثمر. فعندما أنظر الى عيني أمي وهي تقول: "ارفعا الابهام" كانت إبهامي ترتفع وحدها فتطلق أمي ضحكة المنتصر.

شعر مقفي – الآن وقد بلغت أمي الثانية والتسعين ما زالت تلعب الألعاب ذاتها مع ابنة حفيدتها سارة. فالشخص الوحيد الذي يستطيع مُجاراتها هو تلك الفتاة ابنة السادسة ذات العينين السوداوين البرّاقتين المفعمتين بالرغبات. وعندما رأيتهما معاً في المرة الاخيرة كانت سارة تقول لها: "اليوم أنت الطفلة وأنا الأم." فتبتهج أمي وتجمد في كرسيها مترقبة فتقول لها سارة: "اذا

أحسنت التصرف سمحت لك بمساعدتي في صنع الحلوى."

هاتان رفيقتان منسجمتا الطباع ويريحني كثيراً أن شقيقتي وابنتها كاتي – حفيدة أمي وسميتها – تزوران أمي كل يوم تقريباً للتأكد من أن كل شيء على ما يرام.

ومع ذلك فأنا قلقة.

هناك أشياء عدة تزعج أمي، كنظرها وسمعها وقلبها والتهاب مفاصلها. فقبل فترة وقعت في الحمام. ولما اصطحبتها شقيقتي الى الطبيب لم يقل لها سوى: "إنك بخير، عودي الي بعد ثلاثة أشهر." وأخبرتني شقيقتي هاتفياً: "انه طبيب جيد. وهي تحصل على جميع الادوية التي تحتاج اليها. وهل في وسعنا ان نفعل غير ذلك؟"

– لست أدري. أظن ان لا علاج لمن بلغ الثانية والتسعين. لكنني سأكتب اليها أكثر. وسأرسل اليها أشعاري أيضاً.

Illustration: Richard Lauter

والشعر في الوقت الحاضر يجعل امي عصبية المزاج. وهي كانت دائماً تشتكي من أن "الشعر لم يعد مُقفى." لكنني أرفض الاستسلام. فأمي امرأة ذكية. وكانت تُدرس الرسم الياباني في المدرسة الثانوية.

وتذكرت هذا الامر فعنّت لي فكرة.

اخترت بعض الأشعار التي كتبتها بأسلوب "هايكو" الياباني. كانت أبياتاً مقتضبة تشبه الرسوم اليابانية التي علقت في غرفة طعامنا عندما كنت فتية، وكتبتُ الى أمي: "تخيلي هذه الاشعار وكأنها رسوم." وأصابت قطعة واحدة الهدف.

وكتبت الي أمي: "لقد أحببتُ قصيدتك." وأبهجتني كلماتها. فلم يكن من السهل علينا نحن الاثنتين أن نتفاهم كثيراً. فهي الأم الفنانة الصريحة وأنا الابنة الكاتبة المتحفظة. وبدا لي أن الاوان لم يفت لإعادة اللُحمة بيننا. وأنا سعيدة لانني جربت حظي مرة أخرى.

الخصم الأخير - زادت سعادتي قبل مدة حين توجهت الى صندوق البريد. فقد كتبت الي أمي قصة خاصة:

"تعلمين انني أملك العجوز التي تعيش وحيدة الا من رفقة سمعان. وقد أحببت هذا الصباح أن ألازم سريري، هكذا من دون سبب. فأحسست بارتياح كبير. لكن سمعان ما لبث أن قال لي: انهضي يا كاتي!

"فنهضتُ وغسلت أسناني، ثم سرّحت شعري وارتديت فستاني. وقال سمعان: اذهبي الى المطبخ. فالتقطت الكرّاجة وذهبت الى المطبخ. وقال سمعان: أعدي القهوة وعصير البرتقال وحضّري بعض الكعك. ثم قال: قطّعي الموز مع الكعك وضعي فطيرة في الفرن. (هذا مفيد لسمعان.)

"وقال سمعان: راقبي بزوغ الشمس. وكانت غيوم سوداء تحجب السماء فطلعت الشمس وكشحتها. وقال سمعان: الآن يمكنك تناول الفطور. وهكذا فعلت. ثم قال: لا تنسي دواءك. فلم أنسه. وسألني: "ألا تشعرين بنشاط هذا الصباح؟ فأجبته: طبعاً، طبعاً أشعر بنشاط!

"لم يكتفِ سمعان العجوز بذلك فجعلني استحم وأرتدي ملابسي كاملة. ثم قال لي: اكتبي الى دوريس وأخبريها بحبك لها ولعائلتها، وقولي لها ان سمعان يعتني بك. وهكذا فعلت. فشعرت بارتياح كثير."

قرأت رسالة أمي غير مرة وبكيت.

وجلستُ أفكر في السنوات التي تقت خلالها الى الانتصار عليها في ألعاب الصغار. وفرحت ربما للمرة الاولى لأن أمي منافسة عنيدة. انها الآن أمام خصمها الأخير عالقة بلعبة لا يفوز فيها أحد. أليس عجيباً أن تستعمل يديها بمهارة كلية؟ يمكننا القول ان امي تنتصر كل يوم بيومه.

ولئن فكرنا في الأمر فهذا أسلوب جيد للعب، سواء أكنت في الثانية والتسعين أم في الثانية والعشرين. وكما يقول سمعان: "راقبوا بزوغ الشمس..." وانطلقوا من هناك.

■ دوريس لاند

قلق ثقة

الرّجَاء أفضل دَواء

يقول الاطباء ان انجع دواء هو تجاهل الأسوأ وتوقع الأفضل

أنت على وشك الذهاب الى المستشفى لاجراء جراحة بسيطة. أي هذين الموقفين أصح؟

أ. "يجدر بي أن أعرف كل ما يمكن عن هذه العملية. فهذا حقي."

ب."لا تخبرني بالتفاصيل، فالامر سيكون على ما يرام."

من المسلم به أن الموقف الثاني خاطىء. انه مثال لما يسميه علماء النفس "النكران"، وهو آلية دفاعية تهون من شأن المعلومات غير السارة. والنكران في عرفهم فعل أحمق يوقع الهزيمة في النفس، ومآله خطر.

غير أن الأبحاث تظهر أن الموقف الثاني أقصر طريقاً إلى الشفاء. فالنكران من نوع معين وفي أوقات معينة قد يكون صحياً. والامر يتطلب منك التنبه الى بعض الحقائق المزعجة. والبراعة تكمن في أن تعرف متى يكون القلق مفيداً ومتى لا يكون.

ان النكران التام قد يكون الموقف الافضل من الجراحة في رأي ريتشارد لازاروس استاذ علم النفس في جامعة كاليفورنيا في بيركلي. وهو عاين مع فرنسيس كوين واحداً وستين مريضاً على أهبة اجراء جراحات متنوعة كالفتق والمرارة والغدة الدرقية، وجميعها جراحات شائعة. ووجدا أن المرضى عموماً يتبعون أحد نسقين ذهنيين: "الاجتناب" أو "الحذر". ان المجتنبين لا يناقشون أمور جراحتهم بالتفصيل مع أي كان ولا يريدون أن يعرفوا بها ولا ينعمون النظر

في اخطارها. أما الحذرون فهم واعون لكل تفصيل. ويذهب عدد منهم إلى التنقيب عن المقالات التي تصف اعتلالهم الجسماني. انهم يريدون معرفة أخطار الجراحة وأخطار عدم اجرائها وتفاصيل الجراحة بما فيها أنواع الشق والمضاعفات المحتملة وامكان تكررها.

الاسترخاء والقلق – عندما عمد لازاروس وكوين إلى مقارنة المجموعتين بعد الجراحة، وجدا أن فئة المجتنبين أفضل حالا. فهم يعانون مضاعفات أخف بعد الجراحة كالغثيان والصداع والحمى والالتهاب. والنتيجة النهائية أنهم غادروا المستشفى في وقت أبكر.

ومرضى القلب تكون حالهم أفضل أيضاً اذا علموا متى يكفون عن القلق. لقد أجرى الدكتور توماس هاكيت أستاذ الطب النفسي في كلية هارفرد الطبية دراسات عدة لمرضى وحدة العناية الفائقة في مستشفى ماساتشوستس العمومي. ويقول: "ان المرضى الذين لا يقرون بخوفهم، أولئك الذين يقللون من خطورة عللهم ويظهرون مظهر الهدوء، يحيون بأعداد اكبر من الذين ينتابهم القلق على الدوام." ويضيف: "يرى جماعة المنكرين أن الآلات التي أوثقوا إليها تعينهم على التماثل للشفاء، ولا يعتبرونها دلالة على قلب متعب. والذين يثقون بقدرتهم على الابلال يتماثلون بأسرع ممن ينتابهم الخوف والقلق."

ان أحداً من هؤلاء الباحثين لا يقفز إلى الاستنتاج أن النكران هو الموقف الاصح من كل الأزمات الطبية. فعلى المصاب بداء السكري مثلا أن يراقب نسبة السكر في دمه، وعلى مريض الكلي أن يثابر على مواعيد غسل كليتيه، وعلى المرأة التي تكتشف نتوءاً في صدرها ألا تتقاعس عن استشارة الطبيب.

ان السؤال الذي ينبغي أن تطرحه على نفسك كما يوضح الدكتور لازاروس هو الآتي: هل المعلومات التي تجمعها مفيدة في حل مشكلتك، أم ان لا يد لك في تغيير الأمور؟ في الحال الاولى كن متنبهاً وقم بعمل ما، وفي الثانية لا تشغل بالك بالأخطار المحتملة، فالقلق قد يزيد صحتك تدهوراً.

ويشير الدكتور هربرت بنسون الاستاذ المشارك في كلية هارفرد الطبية الى أن الجهاز العصبي المركزي للمريض المفرط في الحذر يستثار في خيار التحدي أو الفرار. واذا لم يكن في وسع المريض سوى الاستلقاء مستسلماً، فان جسمه يعاني النتائج القاسية للاجهاد.

زبدة الأبحاث – لدى دراسة ردود فعل الناس على الاجهاد، عمدت سوزان ميلر عالمة النفس في جامعة تمبل وتشارلز مانغان الطبيب النسائي المختص بالاورام في جامعة بنسلفانيا، إلى تصنيف أربعين امرأة على وشك الخضوع للفحص بالمنظار (*) في مجموعتين وفقاً لاسلوبهن في التكيف.

وكان جل هم ميلر أن ترى ما اذا كانت النسوة يستطعن التغلب على المشكلات على نحو أفضل اذا ما أتيح لهن أن يطلعن

(*) عملية سبر عنق الرحم.

مفتاح الصحة والحكمة

ينصح عمال التعدين بحفظ طاقاتهم حين يحتجزون في المناجم، اذ ان كمية الاوكسجين محدودة فلا طائل من استنفادها في محاولة حفر مخرج. وتتوافر أفضل فرص الحياة لاولئك الذين يأملون بالانقاذ، وان لم يكن في وسعهم أي عمل آخر.

ثمة حالات طبية لا تحصى ليس لك سلطان عليها. لكن الرجاء يفعل فعله. ومهما تكن الحالة ميؤوسا منها، فتش عن العناصر الايجابية واستند إليها: "قد أكون في غرفة العناية الفائقة، لكن كثيرين يبرأون من علتي." ان هذا الأمل الواعي الذي يعول على الجانب الايجابي للحياة يزيد فعلا حظ المرء في البقاء.

والرجاء اذا كان مقصودا وطويل الامد يؤدي إلى تغيرات جسمانية قد تحسن مقاومة الجسد. ونحن عثرنا في دراساتنا على نوعين من الهرمونات – كورتيسول وبرولكتين – يتأثران على نحو كبير بموقف الرجاء. واذا كنا لا نعرف هذه العلاقة بالتحديد، فإن الأدلة تومىء الى وجود علاقة وثيقة بين هذه الكيميائيات العصبية ونظام المناعة لدى الانسان. وقد يكون هذا هو السبب في كوننا أكثر تأثراً بالمرض حين نقاسي الاجهاد وأكثر مقاومة له حين نكون في مزاج رائق.

وتلوح أهمية الامل حين لا يكون في وسعك أن تفعل شيئاً. انه أسلوب سلبي للتغلب على المصاعب. والأشخاص الذين يعمر صدرهم بالايمان أو بالقوة من جراء تجربة ناجحة أشاعت الثقة في نفوسهم، هم من يتعلق بالامل في أحلك الظروف. انهم يتخذون الموقف الآتي: "لست أدري كيف سأخرج من هده المعمعة، لكني اصطدمت بعوائق مشابهة من قبل وتجاوزتها بسلام."

ان أعقد المشكلات، كحادث صدام رهيب أو مرض خطير، هي التي نعجز أمامها فعلا. وأفضل وسيلة للتكيف معها هي أن نعرف كيف نعايشها. ومن الرائع أن تداوم الكفاح اذا كنت تستطيع تغيير وضعك. ولكن اذا لم يكن في وسعك تبديل الوقائع فاقبلها. وهذا هو دليلك إلى الصحة والحكمة.

ش. ب.

على معلومات اضافية. وهي زودت نصف النساء في كل مجموعة تفصيلات وافية عما سيحدث لهن وكيف سيكون شعورهن، ولم تعط النصف الآخر سوى الحقائق الأساسية. وجاءت النتائج مؤكدة مزايا الاجتناب عموماً، اذ أحست النساء اللواتي زوّدن الحد الادنى من المعلومات بارتياح أكبر أثناء الفحص من اللائي كانت معرفتهن أوفى. ومما يثير الاستغراب أن نسوة المجموعة الراغبة في المعلومات كانت شكواهن أنهن وددن الحصول على مقدار أكبر من المعلومات. ويبدو أن جمع التفاصيل في ذاته جعلهن أقل قلقاً.

وأظهرت ابحاث ميلر أن الاشخاص على تباينهم يستجيبون للاخبار التي يتلقونها عن أوضاعهم الصحية بطرائق مختلفة جداً. وهذا يعني في رأيها أن

الناس يسعون إلى معلومات كثيرة أو قليلة وفقاً لما يمليه عليهم أسلوبهم في التكيف.

هل تومىء أبحاث النكران بأنه ينبغي الانكفاء إلى أيام ماضية درج فيها الاطباء على القول: "لا تخبر المريض أي شيء، لانه في قراراته لا يريد أن يعرف"؟ بالتأكيد لا. فالناس لهم الحق في معرفة ما يفعل بهم والمشاركة في القرارات المتخذة لعلاجهم. ولكن في وسع المرضى أن يحصلوا على المعلومات الضرورية من دون الخوض في حشد التفاصيل التي ترهق الأعصاب والتي هم في غنى عنها.

ويمكن تلخيص زبدة الابحاث في نقاط محددة:

■ من الافضل عموماً أن يتجاهل المرء الأخطار الطبية وألوان القلق حين لا يسعه ان يفعل شيئاً تجاهها. فاذا عزمت على اجراء جراحة، فلا تطل التفكير في كل ما يمكن أن يحدث من سوء، ولا تترك مخيلتك على غاربها ترسم التفاصيل المروعة. ركز بدل ذلك على ما يمكن أن يسير حسناً.

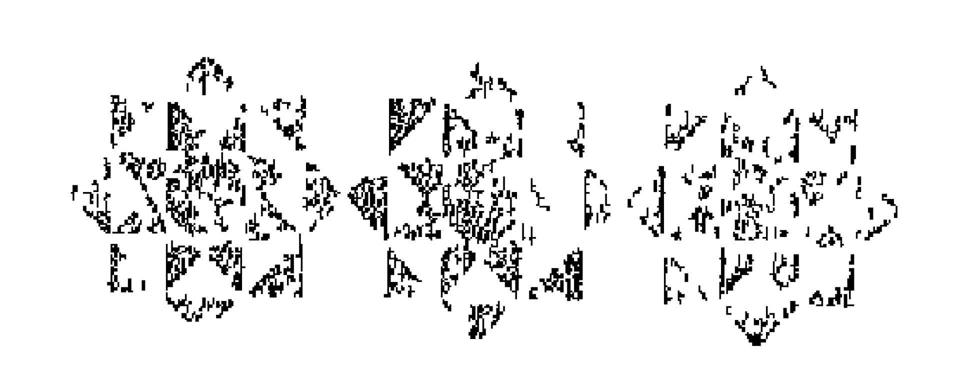
■ كن يقظاً لما تستطيع التحكم به، كأعراض المرض، ثم اخضع لفحص أولي.

■ حاول أن تجد طريقتك الخاصة لتجنب التفاصيل أو لحيازة كل المعلومات الممكنة. ولتكن أهواؤك هي دليلك إلى حد معين.

تقول ميلر: "كثيرون ممن يحاولون حصر ما لا ينحصر من معلومات يصيبون أنفسهم بالتوتر من دون داع." وهي تنصحهم بان يعرفوا متى يتسبب تصرفهم هذا في زيادة قلقهم. وفي هذه الحالات يستحسن ألا يكثروا تساؤلاتهم. أما المجتنبون فعليهم أن يدركوا متى يغدو جمع مقدار أكبر من الحقائق أمراً ضرورياً وان يكن غير مستحب.

والنصيحة الأساسية هي: لا تدع الشعور بالذنب يأخذ بلبك حين يشرق الامل في نفسك. فللنظرة الايجابية فوائد طبية.

■ **دانيال غولمان**



مشاهير المؤلفين

طلب الكاتب المسرحي الأمريكي آرثر ميلر سيارة أجرة لتقله من مطار جون كينيدي الدولي في نيويورك الى منزله في روكسبري من أعمال ولاية كونتيكت، ووقف ينتظر دوره. وبعد وقت غير قصير توجه نحو الفتاة المسؤولة وهو يستعد لصب جام غضبه عليها. الا أنه تريث حين وجدها تطالع أحد كتبه، وتقدم نحوها وقال: "لمَ هذا التأخير كله؟" وذكّرها باسمه. وعندئذ قالت زميلتها: "انه اسم المؤلف الذي تقرأين كتابه." وتبادلت الفتاتان النظرات وقالت أحداهما للاخرى: "هذا مستحيل، اذ ان مؤلفاً شهيراً كهذا يجب أن يكون مات قبل زمن."

صحيفة "نيويورك تايمس"

ان عبقرية هذا التاجر وبراعته في التأثير حملتا ملايين الرجال على شراء آلات الحلاقة الكهربائية

ربما لم تسمع بهذا الاسم، لكنك ربما رأيت الصورة عشرات المرات. فيكتور كيام هو الرجل الاسمر البشرة الرمادي الشعر الذي يظهر في اعلان تلفزيوني ويقول بلهفة: انه اعجب بآلة الحلاقة الكهربائية التي يمسك بها في يده، الى حد جعله يشتري شركة "رمنغتون" التي تصنعها. وهذه القصة غير المعقولة هي الحقيقة عينها. وهو لم يشتر الشركة فحسب، بل جعلها تزدهر ازدهاراً جاوز كل تقدير.

حين تسلم كيام الشركة عام ١٩٧٩ كانت في وضع عسير بعد خسارة ٣٠ مليون دولار في السنوات الخمس السابقة. ولكن في ادارته ضاعفت الشركة مبيعاتها في أنحاء العالم وحققت ربحاً بلغ ٣٢ مليون دولار (قبل حسم الضرائب). وحقق كيام هذا الانجاز بقوة تأثيره في الناس وبراعته في الترويج وخفض التكاليف وادارته الحكيمة.

تاجرٌ ناجح



Photo: Courtesy Remington Products, Inc.

خفضت الاسعار فزادت المبيعات، حتى ان كيام استطاع أن يبيع منتجاته في اليابان. وكان هذا انجازاً عظيماً لقن الشركات الامريكية درساً. والرجل يحب أن يقول: "اننا نخوض غمار صراع اقتصادي عالمي." وهو يعرف كيف ينبغي خوض هذا الصراع.

كيام في الخمسين من العمر ويتميز بسجية اصيلة. فهو جريء ومتحمس ومتبجح يجمع بين موهبة الترويج وعبقرية التأثير في الناس. انه يعتقد أن لا شيء أهم في تأسيس تجارة من الاتصال المنتظم بالعمال ومنحهم احساساً بالمشاركة. انه يوقف العمل في مصنعه لمدة ١٥ دقيقة أربع مرات في السنة (★) ليتلو تقريراً فصلياً ويجيب عن أسئلة العمال. ويبدي هؤلاء اهتماماً كبيراً بشؤون المصنع لأن لهم حصة في الارباح.

ولا يخلو كيام من شذوذ في طبعه. ومع أنه أنيق الملبس حين يشاء فهو يفضل البساطة الى درجة المغالاة. وغالباً ما يصل الى المكتب وربطة عنقه منحلة وقميصه غير مزرر. وكصاحب ملايين، يبدو ضنيناً الى حد مذهل، اذ انه لا يزال يرتدي بذلات خيطت قبل ٣٠ سنة، ولا يتخلى عن سيارته الكاديلاك من طراز ١٩٧٦ التي قطع فيها أكثر من ٣٨٠ ألف كيلومتر.

كيام في عمله مندفع ويبقى مكباً على العمل حتى الثامنة مساء. ومن الاقوال المأثورة التي يرددها: "التجارة تكون حيثما تكون أنت. فلا تغفل متجراً صغيراً لأنك على موعد مع صاحب متجر شهير."

حدس صائب – من أهم أسباب نجاح شركة رمنغتون اعلانات كيام التجارية على التلفزيون. وجاء الاعلان فكرة عرضية اغتنمها كيام بنباهته. كان في لندن يبحث في شؤون الاعلانات مع اختصاصيين. وفي أثناء الحديث سئل كيف انخرط في تجارة آلات الحلاقة الكهربائية. ولاحظ كيام كيف أن شرحه سحر سامعيه، فعنّت له فكرة: لماذا لا يروي القصة عينها على شاشة التلفزيون؟ واقترح مصممو الاعلانات أن يؤدي أحد نجوم كرة القدم دور رئيس الشركة. لكن كيام رفض الفكرة مصراً على أن يؤدي هو الدور، بنفسه.

ولد فيكتور كيام في نيو أورلينز وترعرع هناك وفي مدينة نيويورك. ونال شهادة بكالوريوس فنون من جامعة ييل عام ١٩٤٨ ثم التحق بجامعة السوربون في فرنسا. وكانت غايته الاساسية أن يدرس اللغة الفرنسية. لكنه سرعان ما وجد نفسه يزاول عملا جانبياً كدليل سياحي يؤجر سيارته ويطوف بالسياح الامريكيين في مقابل ٣٠ دولارا يومياً. وخلال سنة أنمى تجارته السياحية وبات يشغّل ست سيارات.

وفي العام ١٩٥١ نال درجة ماجستير في ادارة الاعمال من معهد هارفرد التجاري. ووجد عملا لدى مؤسسة "ليفر" العملاقة للصابون ومواد التجميل. وأوكل اليه بيع مستحضرات التجميل في المنطقة الوسطى من غرب أمريكا، ثم بيع معجون

(★) يكلف هذا التوقف الشركة ١٠ آلاف دولار.

الاسنان في منطقة ميامي. وكان يعمل ستة أيام في الاسبوع من التاسعة صباحاً الى التاسعة مساء موعد اقفال آخر صيدلية في أي مدينة يزورها. وهكذا بز جميع منافسيه استحق ترقية الى رتبة مدير مبيعات في مدينة نيويورك.

ولحق كيام بأحد رؤسائه منتقلا الى شركة "لاتكس" الدولية التي تسوق الالبسة الداخلية "بلايتكس". وسرعان ما أصبح نائب رئيس الشركة لشؤون التسويق، وتمكن من بيع كميات كبيرة من البضائع عبر الاعلانات التلفزيونية التي تشدّد على هوية الاسم التجاري.

وذات يوم من العام ١٩٧٨ قرأ كيام مقالة نقل فيها عن رئيس مؤسسة "سبيري راند" التي تملك شركة رمنغتون قوله انه يفضل أن يبيع دماغين الكترونيين على بيع ما قيمته ٣٠ مليون دولار من آلات الحلاقة.

واتصل كيام بمؤسسة سبيري هاتفياً فتأكد حدسه أن المؤسسة الكبرى يهمها أن تتخلص من فرع آلات الحلاقة.

وسألته زوجته آلين: "كيف يمكنك أن تفكر في شراء شركة تصنع آلات الحلاقة الكهربائية؟ انك لم تستعمل واحدة في حياتك."

فرد كيام: "لقد بقيت أبيع صديريات ومشدات نسائية طوال اثنتي عشرة سنة، مع أني لم أرتد صديرية أبداً." (لكنه استعمل مشدا للخصر مدة أسبوعين حين كانت بلايتكس تفكر في احداث نوع للرجال.)

خرجت آلين واشترت لزوجها آلة حلاقة كهربائية من طراز "رمنغتون" فأثارت اعجابه. وهو يصر على القول ان ثقته بجودة الآلة عزّزت تصميمه على شراء الشركة. وكانت رمنغتون الاولى في حقل آلات الحلاقة الكهربائية في الخمسينات، لكن هذه المرتبة تحولت في العقد التالي الى شركة "فيليبس" الأمريكية. وفي السبعينات ارتكبت رمنغتون خطأين أساسيين في نظر كيام. الاول أنها أنتجت طرازات متنوعة أكثر مما ينبغي، الأمر الذي حير البائعين. والثاني أنها حين تدنّت حصتها في السوق - حتى بلغت نحو ٣٠ في المئة - خفضت مخصصاتها للاعلان. لكن كيام كان واثقاً بأنه يستطيع اعادة الامور الى نصابها. واشترى الشركة بمبلغ ٢٥ مليون دولار اقترض معظمه.

مشاركة ومكافأة - حين تسلم كيام الشركة في أول مارس (آذار) ١٩٧٩ كانت مثقلة في قمتها بالمديرين وكانت المعنويات في وضع سيىء جداً. وفي السنة المالية السابقة خسرت الشركة ٩،٣ ملايين دولار. وفي غضون الاسبوع الاول اقتطع كيام مليوني دولار من جدول الاجور بصرف ٧٠ مديراً. وأعلن أنه سيدير عملية تجارية مقتصدة. ولم يسمح لأحد باستخدام سيارة للشركة والسفر بالطائرة الا في الدرجة السياحية. وقال: "ان مقدم الطائرة ومؤخرها يصلان في وقت واحد تماماً."

وكانت المشكلة الاولى التي واجهها أن بعض المديرين الذين رغب في ابقائهم فضلوا ترك الشركة ليقبضوا مستحقاتهم التقاعدية دفعة واحدة أو ليبحثوا عن

ويتعلموا أن مصدر البيض ليس علب الكرتون. لذلك أرسلهم لتمضية عطلة الصيف في احدى مزارع ولاية انديانا. وأدرك أن خطته نجحت عندما نظرت ابنته الى المطر بعد عودتها وقالت: "يا إلهي! ان التبن سيتلف على هذا المنوال."

كثيرون هم الناس الذين يحبون السفر خلال فرصهم ولا يستطيعون تأمين أجور الفنادق والمطاعم. لكن الوسائل التي ذكرنا وما شابهها تتيح لهم تحقيق أحلامهم بأقل كلفة ممكنة. وفضلا عن تبادل المنازل والاقامة في المزارع، هناك بيوت الشباب والغرف الخالية في المهاجع الجامعية والمدرسية. والعنصر المشترك بين هذه الوسائل البديلة جميعاً هو تأمينها النوم والفطور. وفي ما يأتي نظرة مجملة إليها:

النوم والفطور

تقول باتريشيا ويلسون مؤسسة "الجمعية الامريكية للنوم والفطور": "هذا أهمّ تطور في مفهوم السفر خلال السنوات الأخيرة. وهو لا يقتصر على توفير النفقات، بل يمنح أصحابه جواً حميماً لا يعرفونه في النزل التجارية."

وقد اختبرت صحة هذا الرأي عن كثب عندما قصدت مكاناً من هذا النوع للمرة الاولى في حياتي، وذلك في العاصمة الأمريكية واشنطن. وحجزت غرفة بواسطة وكالة تدعى "رابطة النوم والفطور" في مبنى يحرسه بوّاب وتحته مرأب للسيارات. ولدى وصولي أخذتني مضيفتي الى غرفة مشمسة ذات حمام خاص ومنظر مشرف على حديقة روك كريك العمومية.

وقالت وهي تودّعني: "اذا شعرت بالجوع فافتح البرّاد على الفور." وفي الصباح حملت اليّ العصير والقهوة والخبز والمربّى المنزليّ الصنع، ووضعت ذلك كله في أفخر أواني الليموج الخزفية وفرشت على الطاولة غطاء يلائمها لوناً. وبلغت كلفة ذلك كله ٤٥ دولاراً، أي نصف كلفة الفنادق العادية في تلك المنطقة.

وليس عجيباً والحال هذه أن تنتشر فنادق النوم والفطور البيتية في أنحاء الولايات المتحدة. والواقع أنها ليست اختراعاً بمقدار ما هي عودة الى الماضي.

وفي العام ١٩٧٥ وجدت بيتي رندباك من بلدة غرينتاون في ولاية بنسلفانيا أن عائلتها المؤلفة من سبعة أشخاص غير قادرة على تحمل نفقات الرحلة المنشودة حول الولايات المتحدة. وتذكرت بيتي البيوت السياحية في أيامها الاولى. وقصدت المكتبة لشراء دليل خاص بهذه البيوت، لكنها وجدت أن آخر كتاب من هذا النوع يعود الى الثلاثينات. وقرّرت إصدار كتاب جديد في هذا الموضوع. وجاءت النتيجة كتيباً يحوي ٤٥ عنواناً، لكنه لقي رواجاً منقطع النظير.

وأعادت طبع هذا الكتاب بعد إضافة عناوين جديدة اليه. وهو أفضل كتب الرحلات رواجاً، وطبعته الأخيرة تقع في ١٦٣ صفحة. وتصدر طبعة جديدة منه كل سنة تحمل ما استجدّ من إضافات. ويحوي هذا الدليل ما يزيد على ٦٠٠ عنوان، إضافة الى أسماء وكالات تؤمّن مجتمعة عشرة آلاف عنوان.

وفي الوقت نفسه عادت جين براون، وهي معلمة كاليفورنية متقاعدة، من

أوروبا بعد المكوث في امكنة عدّة من هذا النوع. وباشرت على الفور تأسيس مكتب للحجز هو الأوّل من نوعه في الولايات المتحدة. وأطلق عليه اسم "مؤسسة النوم والفطور الدولية".

وبات عدد وكالات الحجز يتجاوز المئتين. وشملت شقق النوم والفطور مدينة نيويورك نفسها التي ظنها بعضهم غير ملائمة لهذا المفهوم. وفي العام ١٩٨٠ أسست مدرّستان هما فرانسس تيسر وماري ماكولاي وكالة حجز بدأت بأربعة عناوين. ولدى الوكالة اليوم ٦٠٠ عنوان تراوح بين الغرف المتواضعة في الاحياء الشعبية وشقق بارك أفنيو الفخمة.

وتقول تيسر: "من أجمل الامور المتعلقة بهذه الفكرة أن روابط الصداقة تنشأ غالباً بين النزلاء ومضيفيهم. وهم يدعون بعضهم بعضاً الى حفلات عشاء وسمر تدوم ساعات. ومرة دعا نزلاء فرنسيون مضيفيهم الى فرنسا."

لكن هذا لا يعني خلوّ مفهوم النوم والفطور من السيئات. ومنها أن الخدمة غير مؤمَّنة وأن الغرف تخلو معظم الأحيان من جهاز هاتف وجهاز تلفزيون خاصّين. ولا يُستبعَد أن يكون الحمّام بعيداً عن الغرفة وألا يكون الباب مزوَّداً قفلا. لكن الحفاوة التي يظهرها المضيفون تعوّض هذه النقائص معظم الاحيان.

المزارع

تمضية العطل في المزارع تعود الى ما قبل ظاهرة النوم والفطور العصرية. وهي بدأت مع بات ديكرمان في الخمسينات عندما لفتها شريك تجاري الى أن الامريكيين يفتقدون مباهج الحياة الريفية. وهكذا جالت ديكرمان في أنحاء الولايات المتحدة وهي تجمع عناوين المزارع التي يستطيع السياح المكوث فيها من غير أن يصرفوا مالا كثيراً. وما لبثت أن جمعت كتاباً أطلقت عليه اسم "العطل في مزارع الريف" وضمّنته أكثر من مئتي عنوان حيث يستطيع الراغبون تمضية العطلة وهم يطعمون المواشي ويمتطون الخيل ويطوفون في أرجاء الريف.

المهاجع الجامعية

اكتشف عدد من الامريكيين أن في امكانهم المكوث في المهاجع الجامعية. ويبلغ عدد الجامعات ومؤسسات التعليم العالي التي باتت تؤمن الاقامة السياحية نحو ثلاثمئة تمتد من جامعة ستانفورد غرباً الى معهد الأزياء في نيويورك شرقاً. وثمة مؤسسات جامعية تؤمّن الاقامة السياحية طوال السنة، لكن معظمها يفتح أبوابه للسياح صيفاً خلال تعليق الدروس. وفي الامكان أحيانا الافادة من المطاعم والخدمات الجامعية الاخرى ذات الاسعار المتهاودة.

بيوت الشباب

من أرخص الوسائل كلفةً لتمضية العطل النزول في الاماكن الخاصة بالشباب، حيث معدّل كلفة الليلة الواحدة خمسة دولارات ونصف دولار. ولئن خصصت تلك الأماكن للشباب سابقاً، الا أنها اليوم تفتح أبوابها للجميع.

ويقول بوب جونسون المدير التنفيذي لمؤسسة بيوت الشباب الأمريكية: "في امكان النزيل أن يقابل أناساً من اثني عشر بلداً مختلفاً."

تبادل المنازل

هناك سيّاح لا يرغبون في تبديل مكان الاقامة كل ليلة. وربما كانت أفضل وسيلة للسياحة الرخيصة بالنسبة إليهم تَبادُل المنازل. وقبل اثنتي عشرة سنة قايض آل ستانفورث منزلهما المبني بالحجر في منهاتن بقلعة في أوروبا. ومذ ذاك حَلّا في منازل كثيرة في فرنسا وايرلندا وكندا والبرتغال.

وأكبر دليل لتبادل المنازل هو "نادي تبادُل الفرص" الذي يضم في صفحاته ٦٠٠٠ عنوان. الا أن الناشر لا يتحمّل التبعات التي قد تنتج عن هذا الضرب من المقايضة. والطريقة المتبعة هي الاتفاق الشخصي بين المعنيّين على أثر المراسلة وتبادل التفاصيل.

وقبل سنتين أقدم حاكم كولورادو ريتشارد لام على هذا الأمر خلال عطلة عيد الميلاد، إذ بادل منزله الرسمي بمنزل عائلة من سان فرنسيسكو. لكن المجلس القضائي في كولورادو ذكّره لاحقاً بأنّ المنازل الرسمية لا يحقّ تبادلها.

وما من شك في أن للمقايضة سيّئاتها، ومنها سوء التفاهم الممكن حول مواعيد الوصول والمغادرة. لكن الشكاوى ليست كثيرة في هذا النطاق. وتقول السيدة ستانفورث انها لم تعرف حادثاً مزعجاً واحداً طوال السنوات الاثنتي عشرة التي تبادلت خلالها المسكن.

وفضلا عن الحسنة الاقتصادية لمبدأ المقايضة هناك حسنة العلاقات الانسانية الحميمة. وجميع الوسائل البديلة التي سبق الكلام عليها هي أفضل من الفنادق العادية من حيث تأمينها جَوّاً بَشَرِيّاً حميماً.

■ راول تنلي



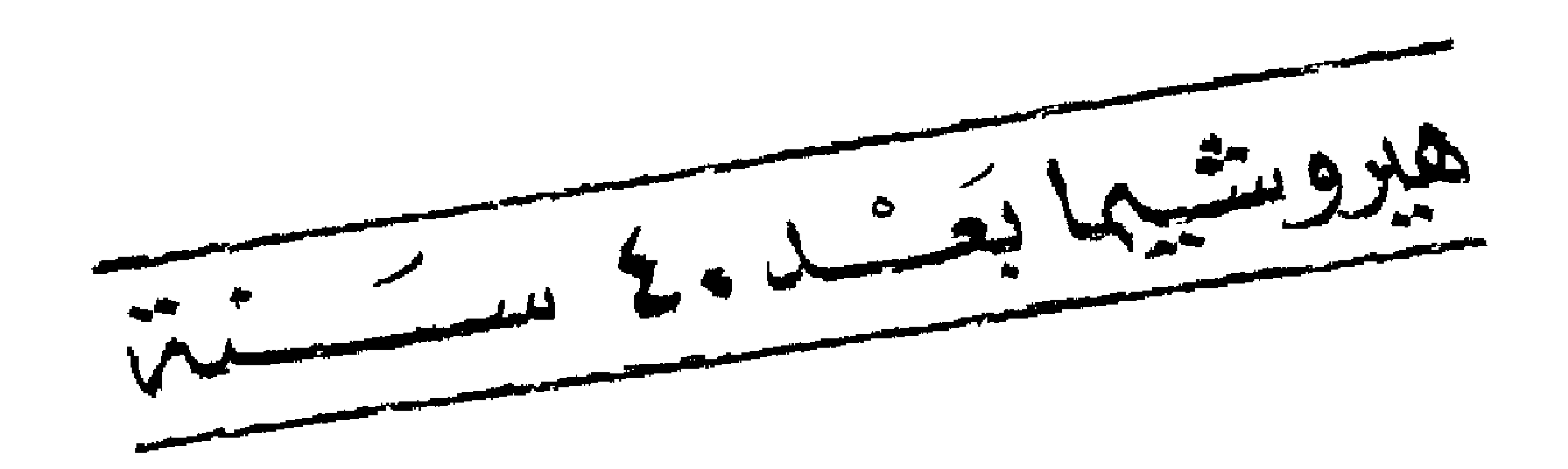
ضروب الذكاء

صحيح اني أعتز بذكائي. لكن ثمة اموراً كثيرة أجهلها تماماً. ولو كان الامر وقفاً عليّ وعلى أمثالي، لما بُني جسر في العالم ولما وُجدت العجلة ولا الرسم ولا الموسيقى. ومن ناحية أخرى، ربما كان أولئك الذين ابتكروا هذه الاشياء النافعة والجميلة يجهلون الامور الفلسفية والاجتماعية والمالية. ولو كان الناس يتمتعون بنوع واحد من الذكاء، لكنا اليوم نعيش في الكهوف.

الصحافي سيدني هاريس

الناس صنفان: صنف ينطق ليقول شيئاً وآخر يقول شيئاً لينطق.

الأمير شارل جوزف دولين



نهر الموت كان مجنوناً

عندما ألقيت القنبلة الذرية الاولى على هيروشيما في ٦ أغسطس (آب) ١٩٤٥ كان الكاتب أسير حرب يسخر للعمل في ميناء المدينة. وها هو بعد ٤٠ سنة يروي لنا قصة ذلك اليوم الرهيب

انفتح الباب برفسة قدم ودخل الحارس صائحا: "سبيدو! تنكو!" ثم سار عبر الكوخ الخشبي المستطيل وهو يضرب بعصاه الاسرّة الثمانين. الساعة السادسة صباحاً، وبهذه الطريقة أوقظت من نومي لأواجه يوماً آخر من الشقاء كأسير حرب لدى اليابانيين. وقد مضت ثلاث سنوات ونصف سنة على أسري في جزيرة تيمور في المحيط الهادىء حيث كنت أخدم كرقيب في المدفعية المضادة للطائرات.

نهضت بعياء متكئاً على مرفقي ونفضت سروال التدريب الاخضر الذي كنت ألفه لأصنع منه وسادة. ولبسته ثم أدخلت تحته قميصي الكاكي الذي أنام فيه ليصد عني هجوم البراغيث. بعد ذلك لففت حصيرة القش التي ترفع وركيّ الهزيلين عن صلابة سريري الخشبي.

كل يوم يبدأ على هذا النحو. وأصبحت أتقبل بلامبالاة هذا النمط من الايقاظ مع الجوع الممض واعتلال الصحة وحتى الضرب.

كان الصباح منعشاً والسماء صافية حين بزغت الشمس من وراء التلال المحيطة بالمعسكر. وكما في كل صباح خرج القائد من مبنى الادارة وأدى التحية العسكرية لعلم "الشمس المشرقة"

حارسين مسلحين، الى يوم آخر من العمل الشاق في منجم فحم حجري أو مصهر للفولاذ أو في اقتلاع الخضر أو تفريغ البضائع على أرصفة الميناء.

الوهج الرهيب - قطعنا مسافة ٣٢ كيلومتراً على طريق محفرة عبر التلال.



المتهدل على ساريته ثم استدار ليواجه صفوف أسرى الحرب، وهم من الامريكيين والاوستراليين والبريطانيين والصينيين والهولنديين والهنود والماليزيين. وكنا نقف صفوفاً وعيوننا الى الامام ثم نؤمر بأن ننحني من الخصر، فيؤدي هو التحية ثم يعرضنا مع ثلة من مرافقيه ويعود الى مبنى الادارة.

ونتسلم وجبة منتصف النهار في أوعية خشبية ملأى بالرز الاسمر وبعض حبوب الفول والفجل وشريحتين صغيرتين من السمك المجفف. فنحمل زادنا وننطلق في شاحنة مكشوفة، كل ٤٠ أسيراً مع وكنا نتوقف أحياناً لانزال فرق العمل، حتى وصلنا الى الميناء في دلتا نهر أوتا.

قفزت من الشاحنة ودلني الهانشو (رئيس فرقة العمل) الى سفينة صدئة تبلغ حمولتها ٥٠٠٠ طن راسية على رصيف الميناء. إني أعرفها جيداً. فطوال اليومين السابقين بقيت أكدح في تفريغ حمولتها من السكر الأسمر المنتن.

وكان فريقنا يتألف من ثمانية رجال، أربعة يعملون في عنبر السفينة وأربعة على الارض. وكان علينا جميعا ان نعمل في توضيب الاكياس في مستودع مجاور. ونقفنا قطعة نقود لنقرر بالقرعة من منا

سينزل الى العنبر لنقل الدفعتين الاوليين من الاكياس. وخسرت بالقرعة فهبطت مع كيث وبلوي وكورلي وهم أوستراليون. وكنت الانكليزي الوحيد على متن السفينة.

هبطنا على السلم الحديد وولجنا عنبر السفينة الذي كانت الرائحة فيه خانقة. وكان النور يأتينا من مصباح كهربائي وحيد معلق من سقف المخزن، كما كنا نرى بقعة صغيرة من السماء من خلال فتحة في السقف على ارتفاع تسعة أمتار. وخلعنا ملابسنا حتى الخصر وبدأنا جر الاكياس التي يزن كل منها نحو ٩٠ كيلوغراماً ووضعها على منصة خشبية تنزلها آلة رافعة الى قعر العنبر. وتألبت علينا جحافل الذباب التي كانت متجمعة على أكياس الخيش الملوثة بالسكر اللزج، وصبت نقمتها على أجسادنا المتفصدة عرقاً. وبعد وضع أربعة أكياس على المنصة كنا نعطي اشارة الى الاسرى الواقفين على متن السفينة ونبتعد حين تترجح المنصة صاعدة الى الخارج.

وبعد راحة قصيرة رفعنا أربعة أكياس أخرى ثم حان وقت تبادل الادوار. وما ان بدأنا الصعود حتى أمرنا الهانشو بالعودة الى العمل لنقل شحنة أخرى. وصرخنا في وجهه قائلين اننا أنجزنا دورنا، لكنه هددنا فانصعنا لامره صاغرين.

فجأة التمع نور وهاج أبيض أضاء زوايا المخزن المظلم وأعمى أبصارنا، فترنحنا متقهقرين ثم انبطحنا على أرض العنبر فيما السفينة تنجذب الى أسفل وتهتز وترتج وتنتفض كأنها دمية في قبضة جبار. بعد ذلك ارتفعت ومالت بعنف على جنبها الايمن واحتك هيكلها الفولاذي بحافة الرصيف محدثا قرقعة تصم الآذان. وتساقطت علينا رقع كبيرة من المعدن من جدران العنبر.

وراحت الامواج تضرب السفينة. وكنا نسمع قرقعة الصواري والاسلاك وهي تقتلع من أماكنها بقوة اعصار عاصف. وانطفأ المصباح الكهربائي فانبطحنا في الظلام بلا حراك متمسكين بالاكياس الملوثة بالسكر اللزج، فيما السفينة تتمايل من جهة الى أخرى والضجيج الراعد يصم آذاننا ويعلو.

بدأت الثورة المروعة تهدأ تدريجاً وأخذت السفينة تستقر في وضع مائل. ونظرت الى أعلى من خلال الفتحة فرأيت السماء الزرقاء وقد أصبحت رمادية. وكنت أسمع من خلال طنين أذني أصواتاً بلهجة أوسترالية.

عالم محترق – أخذنا نصرخ بأعلى صوتنا منادين من يمكن أن يسمعنا، فلم نتلق أي جواب. وكانت الحرارة في السفينة ارتفعت على نحو غريب وغدت لا تطاق. فقررنا أن نخرج. ومدّ بلوي يده الى السلم ثم سحبها بسرعة وهو يطلق صرخة ألم عالية. كان هيكل السلم ساخناً يتعذر لمسه، كذلك كانت جدران العنبر حتى تحت مستوى الماء. ولبثنا حيث نحن وقد غدا العنبر كالفرن.

فجأة سمعنا وقع المطر على السفينة، ورأينا نقاطاً كبيرة سوداء تنهمر من فتحة السقف. وسرعان ما تحول الهطول سيلا متدفقاً أسود بلل الاكياس المتراكمة على منصة الرافعة. وجلسنا

مأخوذين رهبة ننظر الى ذلك المطر الاسود حتى توقف بالسرعة التي هطل بها.

بعد ذلك ران سكون رهيب في الخارج كان يقطعه بين حين وآخر صوت تشقق جدران الابنية وانهيارها. وأخذنا نصرخ مجدداً، لكننا لم نسمع سوى أصداء صراخنا تتردد في الظلام الحالك.

ومر وقت طويل، ثم سمعنا وقع أقدام على متن السفينة. وقفزنا منتصبين وأخذنا نصيح من جديد. وأطل علينا وجه مغطى بقناع طبي أبيض ونظر الينا من عل ثم نادانا باليابانية: "انتظروا، انتظروا، ابقوا حيث أنتم."

– ماذا حدث؟

"خطر عظيم... حريق... أموات كثر... انتظروا." ثم اختفى.

وانتظرنا، اذ لم يكن في أيدينا حيلة، وعاد الرجل بعد ساعة وكان موظفاً في المرفأ. ودلّى الينا سلة مصنوعة من القضبان المحبوكة فيها قارورة ماء وعلب تحوي كرات من الرز ملفوفة بالاعشاب البحرية. وجلسنا نأكل ونصغي الى الصياح وأصوات الجرف المتناهية الينا من بعيد. ثم سمعنا وقع اقدام كثيرة واصواتا على متن السفينة.

واطلت علينا ثلاثة وجوه مقنعة، وارتفع صوت بلهجة امريكية يخبرنا انه طبيب ومعه طبيبان يابانيان. والقى الينا معاطف واقية من المطر وطلب منا أن نرتديها قبل أن نصعد. وكان حديد السلم برد، فتسلقنا وخرجنا الى عالم محترق مدمر.

كانت الرافعة ملتوية والسائق ميتاً في قمرته. وكانت مداخن السفينة واقعة ومتنها المائل مغطى بأسلاك الصواري المتناثرة وغرفة القيادة مدمرة. ورأينا من خلال عوارض ميسرة السفينة النهر الجاري وقد طفت الجثث المحترقة على مياهه فحملها الى البحر. وكان بعض الموتى لا يزالون متشبثين بعضهم ببعض في كتل تثير الالم في النفس.

ونظرنا الى أعلى النهر فرأينا ما كان مدينة هيروشيما. فعلى مساحة خمسة كيلومترات مربعة كانت الابنية مسحوقة وقد تحولت ركاماً. وفوق الدمار خيمت سحابة من الدخان الاغبر.

العذاب الفظيع – حين قال لنا الطبيب (وهو رائد في البحرية الامريكية أسر في الفيلبين) ان قنبلة واحدة أحدثت كل هذا الدمار بدا لنا الامر غير قابل للتصديق. وصدمتنا الروائح الكريهة فلم نتوان عن وضع الاقنعة التي كانت تخفف من روائح اللحم المحروق والدخان الخانق والمعادن الحارة التي تثير الغثيان. ورأينا جثة الهانشو المحترقة ممدة في مؤخر السفينة، كما بدت لنا بين أسلاك الصواري جثة الاسير الذي كان ينقل اشاراتنا الى عامل الرافعة. ونظرنا اليه برهبة متذكرين كيف أبقينا في جوف المخزن فنجونا. ثم نزلنا الى رصيف الميناء لنبحث عن رفاقنا الثلاثة الآخرين.

كان سطح المستودع الكبير منتزعاً من مكانه. وبقيت الساعة المعلقة على الجدار سليمة وعقرباها يشيران الى الثامنة والربع صباحاً. وكان رجال الدفاع ينقلون الجثث المبعثرة على الرصيف.

وحين حاولوا رفع احداها انسلخ جلدها المحترق عن لحمها كما تخلع السترة عن الجسم.

واستحوذ علينا شعور طاغ بالغثيان وسرنا نحو المستودع حيث وجدنا جثث رفاقنا الاسرى. اثنان كانا منكبين على وجهيهما، فيما بقي الثالث جالسا حيث هو وعيناه جاحظتان وقد ذابت مقلتاهما وسالتا كما الشمع على وجنتيه المحمرتين ووجهه المنتفخ. وحدّقنا اليه وقد أخرستنا الصدمة.

قال الرائد: "تعالوا." وبعدما تأكد له أننا الناجون الوحيدون استبد به القلق وقال: "لا يمكننا أن نفعل شيئاً هنا. فلنذهب." وأدركنا أنه رأى ما يكفي لاثارة مخاوفه من انتقامات الناجين اليابانيين. وهكذا تبعناه على رصيف الميناء. وكان العرق يتصبب من أجسامنا ونحن في تلك المعاطف الواقية، لكنها كانت تخفي هويتنا عن الناس. وأسرعنا في سيرنا مارّين بمجموعة من الجنود اليابانيين الذين كانوا يبحثون عن ناجين بين الانقاض. ومررنا بجدار اسودّ أديمه وارتسم عليه شكل انسان كان يقف بجانبه عندما وقعت الكارثة. وروى لنا الرائد فيما نحن سائرون كيف نجا من الموت بأعجوبة حين انهار المستشفى حيث كان يعمل. ودفن تحت الركام غير أنه شق طريقه خارجاً ليشارك في عمليات الانقاذ.

ومررنا في ضاحية المدينة بساحة حوّلت مركزاً طبياً لمعالجة المصابين. وكانت مزدحمة بالناس الذين وقفوا صفوفاً ينتظرون. وكان كثيرون منهم مصابين بحروق وينزفون وقد تدلت شرائح طويلة من جلودهم وتورمت أجسادهم العارية. ولم نلاحظ أي أثر لاضطراب أو ذعر، لكننا شاهدنا سيماء القنوط الرصين على أوجه رجال الاسعاف ونظرات الهلع والضياع في أعين الناس. وللمرة الاولى شعرت بالشفقة على اليابانيين. وقال الرائد وهو يهز رأسه: "انظروا الى هذا العذاب الفظيع... ما الداعي اليه؟ كانوا على وشك الهزيمة في أي حال. فلمَ حدث ذلك؟ لماذا؟ لماذا؟" انه سؤال يطرحه الجنود كثيراً.

الرحلة الطويلة - قادنا الرائد الى مركز تجمع حيث اصطف عدد من شاحنات الجيش، وأخذ يتحدث الى الضابط المسؤول. بعد ذلك تقدم منا جندي شاب يحمل بندقية وقادنا الى احدى الشاحنات. وصعدنا اليها وخلعنا المعاطف الواقية وأعدناها الى الرائد ونحن أعجز من أن نعبر له عن امتناننا العميق.

وصعد الجندي الياباني معنا وانطلقت الشاحنة تدور وتنعطف لتجد ممراً خالياً تسلكه الى خارج المدينة التي عفاها الانفجار. وارتقينا التلال فرأينا الاشجار معرّاة ومحترقة وقد اقتلع بعضها من الجذور ولم يبق عليها أثر لورق أخضر.

وعندما وصلنا الى المعسكر رأينا سوره ممسوحاً على مستوى الارض وسقف أحد المخازن طار من مكانه. وقيل لنا ان عاصفة هوجاء هبت وأحدثت ذلك الدمار. ولم يصدقنا أحد حين قلنا ان ذلك كان فعل قنبلة.

وتوجهنا الى خزّان الماء واغتسلنا تكراراً محاولين أن نزيل عنا المناظر التي شاهدناها والروائح التي شممناها في ذلك اليوم، ثم استلقينا في أسرتنا منهكين. ودخل العقيد الامريكي الاسير وأرسلنا لمقابلة الطبيب الاسير الذي فحصنا. ومع أننا كنا منهارين نفسياً فقد بقينا سالمين جسدياً.

وأظهر التعداد المسائي غياب أربعة رجال. وكنا أنا وكيث وبلوي وكورلي نعرف الميتة الخاطفة المرعبة التي لقوها. ثم استدعانا الحراس للتجمع في ساحة العرض. وبرز القائد مع حاشيته فانحنينا له من الخصر كالمعتاد. وأدى هو التحية ثم أمرنا بالوقوف في وضع الاستراحة وبدأ يتكلم بالانكليزية:

"اليوم ألقت أمريكا قنبلة كبيرة على هيروشيما." وارتفع صوته بنبرة غضب وأخبرنا عن الدمار الهائل والخسائر البشرية الفادحة، ثم تحوّل الى نبرة تحدّ فقال برطانة: "لم تكن أمريكا لتلقي قنبلة لو كانت اليابان تملك قنبلة كبيرة. لأن اليابان لو كانت تملك قنبلة كبيرة لقصفت بها سان فرنسيسكو..."

وردد هذا القول مرة بعد مرة وهو يعدد أسماء المدن التي يعرفها في أمريكا ونحن نصغي اليه وقد استبد بنا القلق وتسمرت أنظارنا على الرشاش الذي يحمله. لكننا شعرنا بالارتياح حين أعلن أن المعسكر سيخلى وأننا سننقل بالقطار الى نييغاتا على الشاطىء الشمالي الغربي من هونشو.

وعندما حان وقت الصعود الى الشاحنة التي ستنقلنا الى محطة القطار، نزعت أحد ألواح سريري الخشبي وتلمست تحته بحثاً عن دفتر صغير خبأته ودوّنت فيه مذكراتي اليومية بقلم رصاص طوال ثلاث سنوات ونصف سنة. وأخفيت الدفتر تحت قميصي مع صورة لخطيبتي ماري وقد تقصفت زواياها، ثم انضممت الى الآخرين.

وكان الظلام بدأ يهبط حين انطلقنا في رحلتنا الطويلة. وأصغيت الى وقع العجلات على أديم الطريق وقد راودني احساس خاطف بأن هذه الرحلة هي المرحلة الاولى من سفرة طويلة جداً تعيدني الى الحرية. انها بداية النهاية لسنوات من العبودية.

■ **إدوارد سوير**

ادوارد سوير اليوم في السابعة والستين من العمر ويتمتع بصحة جيدة. غير أنه على غرار معظم الاسرى في الشرق الاقصى واجه مشقة كبيرة في استعادة صحته.

وعندما نال حريته عام ١٩٤٥ كان وزنه ٤٧ كيلوغراماً ونصف كيلوغرام، وكان مصاباً بالزحار (ديزنطاريا) والملاريا وباضطرابات عصبية. وأمضى سنتين في المعالجة والنقاهة قبل أن يستأنف عمله في مطبعة. وفي شهر يوليو (تموز) ١٩٤٧ تزوج خطيبته ماري. ولكن قيل لهما انهما قد لا يرزقان أولاداً. وبعد ١٤ سنة ولد ابنهما الوحيد، وهو في صحة جيدة.

ومع أن سوير يعرف أكثر مما يعرف معظمنا عن أهوال الاسلحة النووية، فهو ليس من دعاة نزع السلاح من طرف واحد. ويقول: "الناس لا الاسلحة يشعلون اوار الحرب. والقوي يأخذ دائماً ما يقوى على أخذه والضعيف يعطي دائماً ما يتحتم عليه أن يعطيه. أما مسألة الاخلاق والعدالة فلا تقوم الا حين تتعادل القوى.

"ونتيجة انقسام العالم اليوم كتلتي قوى أضحى الحياد وهماً. ونزع السلاح من جانب واحد لن يؤدي بنا الا الى العبودية."

فرنسا تكسر التقليد



أمضت ٣٧ سنة في القضاء وتغلبت على صعوبات لا تحصى وباتت ترئس أعلى هيئة قضائية في فرنسا

القاضيّ الأول امرأة «ساحرة»

بينما كان حاجب المحكمة يقود الزائرين الى قاعات أعلى هيئة قضائية في فرنسا أعلن وصول "السيدة الرئيسة!" وهذه السيدة هي سيمون روزيس التي عيّنت في ٣١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٣ رئيسة لمحكمة النقض، وهي المحكمة العليا في فرنسا. وهي المرة الاولى تعيّن امرأة في منصب مماثل. وقد رحب السلك القضائي أجمع بهذا التعيين الذي جاء تعبيراً عن تقدير كبير لقاضية عرفت باستقلالها الفكري.

والواقع أنه لم يكن في نشأة السيدة ما يشير الى أنها ستتمكن من التقدم بخطى ثابتة في طريق القضاء الوعرة. فقد ولدت سيمون لودفيغ في ٢٩ مارس (آذار) ١٩٢٠ ولم يكن لأسرتها أي علاقة بعلم القانون.وكان والدها صناعياً ثرياً فأتاح لابنته أن تتعلم "كي تكتسب

Photo: Gamma / C. Vioujard

ثقافة عامة" وشغل نفسه "بايجاد زوج مناسب لها." غير أن سيمون التحقت عام ١٩٣٩ بكلية العلوم السياسية في باريس بتشجيع من إحدى صديقاتها. وتقول في هذا الشأن: "سرعان ما وجدت في دراسة القانون بعداً جديداً فانصرفت اليه انصرافاً تاماً."

وفي العام ١٩٤٢ تزوجت موظفاً شاباً اسمه غبريال روزيس وفي حوزتها شهادة في العلوم السياسية وأخرى في القانون وشهادتا دكتوراه في القانون العام والاقتصاد السياسي. ولئن يكن ذلك إنجازاً عظيماً من الناحية النظرية آنذاك فلم تكن له أهمية من الناحية العملية لأن المرأة لم تكن تملك حتى حق التصويت. إلا أن القوانين التي سُنّت بعد الحرب العالمية الثانية غيّرت هذا الواقع، فعملت سيمون سنتين في مكتب المدعي العام في باريس وعُينت عام ١٩٤٩ قاضية في مدينة بورج وكلفت شؤون الوصايا. ولم تلق أي ترحيب في وظيفتها الجديدة. وقال لها المدعي العام لدى وصولها الى بورج: "لا تتوقعي أن أعاملك كامرأة." فأجابت: "إني لا أطلب ذلك البتة، فأنا زميلة لك كسواي من القضاة."

وبعد سنتين كان هذا المدعي نفسه أكثر مناصريها حماسة كي تتولى منصب نائب المدعي العام في باريس حيث يمكنها الالتحاق بزوجها وولديها. وباتت سيمون عضواً في مكتب هيئة القضاء العليا عام ١٩٥٠ وأصبحت رئيسة لهذا المكتب بعد تسع سنوات. وخلال وجودها في الهيئة مدة ١٢ سنة تعاقب على وزارة العدل في فرنسا ١٧ وزيراً.

أم رائعة - منذ العام ١٩٦٢ أخذت سيمون روزيس تتولى مناصب لم تشغلها امرأة من قبل. ففي ذلك العام عينت قاضية في محكمة دائرة نهر السين. وفي العام ١٩٦٩ عينت رئيسة محكمة باريس السابعة عشرة. وفي ١٩٧٣ عيّنت في وزارة العدل رئيسة لادارة المدارس الاصلاحية. واصبحت عام ١٩٧٦ رئيسة قضاة مقاطعة باريس. وفي العام ١٩٨١ عينت نائبة للمدعي العام في محكمة العدل الاوروبية في اللوكسومبور.

غير أنه من الخطأ الكبير أن ننظر الى نجاح سيمون في تولي هذه المناصب المختلفة كنتيجة لدعوتها الى المساواة بين الرجل والمرأة. فالسيدة روزيس تؤكد أنها "لم تعمل قط لتولي المناصب البارزة التي عينت فيها باستثناء منصب رئيسة محكمة مقاطعة باريس. وفي ما عدا ذلك فان المناصب كانت تأتي أليها منقادة."

لكنّ سيمون تحس أنها مهدت الطريق لبنات جنسها في كل مرحلة من مراحل مهنتها وتقول: "يجب أن تتولى النساء المناصب التي يملكن القدرة على النجاح فيها." ثم تضيف أنه إذا وجدت المرأة سعادة واكتفاء في الاهتمام بمنزلها وأولادها فينبغي أن يتاح لها ذلك من دون اشعارها بالذنب.

ولا شك في أن سيمون روزيس التي تعد خير مدافع عن حقوق المرأة يحق لها ان تفخر بقدرتها على التوفيق بين مهنتها وحياتها العائلية. ففي الفترة التي كان ولداها يعيشان في البيت دأبت الاسرة على الاجتماع صباح كل يوم لتناول

الفطور ومناقشة بعض المشكلات وتبادل الآراء. ويرى ابنها دوني وهو كاتب عدل في باريس وابنتها ماري آن التي تمارس الطب في بورغاندي، أن أمهما مثال رائع للمرأة. ومما يبعث الحزن في نفس سيمون روزيس اليوم انها لا تملك وقتاً كافياً تمضيه مع حفيديها ميريام وجيريمي.

ابتسامة حازمة – تعترف روزيس بأن الرقابة المفروضة على النساء في ميدان القضاء، كما هي الحال في ميادين أخرى، تفوق تلك التي تُفرض على زملائهن الرجال بحيث لا يُتجاوز عن أي خطأ يرتكبنه. وقد واجهت سيمون امتحاناً قاسياً جداً عندما عينت رئيسة محكمة باريس السابعة عشرة، تلك المحكمة التي تكثر فيها قضايا الاخلاق والتشهير والقتل والتي يقال إنها تقرر المستقبل المهني للقضاة. والواقع أن عمل روزيس هناك أتاح لها في زمن مبكر أن تظهر قوة شخصيتها. ومثال على ذلك أن مجلة "الاكسبرس" انتهكت القانون الجزائي بنشرها تقريرا عن تنفيذ حكم الاعدام في القاتلين بوفيه وبونتون في ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٢. وعُهد الى روزيس في محاكمة ناشري المجلة. وانبرى المحامي فيليب لوميتر الذي كان من مناهضي عقوبة الاعدام للدفاع عن بوفيه وبونتون. ويقول لوميتر في كلامه على روزيس: "لقد أصدرت حكماً في غير مصلحتنا، لكن هذا لم يمنعني من ملاحظة فضائلها وفي رأسها اللطف والكياسة وشدة الانتباه. فالسيدة روزيس قاضية تصغي حقاً الى المحامين ولا تكتفي بالادعاء أنها تصغي اليهم." والى ذلك فان احترامها القانون منعها من الكشف عن أنها من مناصري إلغاء عقوبة الاعدام.

الا أن روزيس لم تستقبل حسناً عندما عينت رئيسة لادارة المدرسة الاصلاحية التي كانت تضم ٢٠٨٨ مرشداً ومرشدة و٦٣ ألف قاصر تحت المراقبة والتي كانت موازنتها ضئيلة جداً. فالعلاقة بين كبار الموظفين الاداريين وصغارهم كانت سيئة، لذلك فان بعض الموظفين لم ينظر بعين الرضا الى روزيس التي كانت ابتسامتها تنطوي على حزم شديد. وذهب أحدهم الى أنها "تتصرف كأنها لا تزال في قاعة المحكمة."

القانون فوق الجميع – على أن روزيس حاولت في وظيفتها الجديدة إنجاز الاصلاحات اللازمة وردم الهوّة الطبقية بين الموظفين، وعمدت الى توزيع التلاميذ على عدد أكبر من المدارس وجعل الحياة في هذه المدارس أقرب الى الحياة العائلية. بل إنها سمحت أيضاً بانشاء بعض مؤسسات التعليم المختلط.

ولم يلبث موظفو المدرسة الاصلاحية أن أقروا بمقدرتها على القيادة وتغيرت نظرتهم اليها. ففي شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥ صدر حكم باعدام برونو ت. (١٧ عاماً) الذي كان قتل امرأة عجوزاً. فثارت المدرسة الاصلاحية بأسرها على هذا الحكم وطالب الموظفون بتوقيع عريضة تدعو الى الغاء عقوبة الاعدام بالنسبة الى الذين لم يبلغوا سن الرشد.

وكانت روزيس في عداد الموقعين على رغم تنبيه بعض الموظفين اياها الى مغبة اعتراضها على القانون الجزائي. وأُرسلت العريضة الى وزير العدل والى رئيس الجمهورية آنذاك فاليري جيسكار ديستان. فأبدلت عقوبة الفتى بالسجن المؤبد.

والمعروف ان سبيرج سوتو الأمين العام لنقابة موظفي المدرسة الاصلاحية كان في صراع شديد مع روزيس، لكنه أقرّ لها بطاعته بعد هذه القضية وقال: "كان موقفها ذاك جريئاً جداً!"

ولم تتوقف جرأة روزيس عند هذا الحد. فهي عبّرت عن جرأة مماثلة واستقلال في الرأي عندما كانت ترئس محكمة مقاطعة باريس. ففي مايو (أيار) ١٩٨٠ طالب وزير العدل آلان بيرفيت بحق الردّ في صحيفة "الموند" على المقالات التي نشرتها الصحيفة عن مشروع القانون الذي وضعه حول "الامن والحريـة." فرفضت الصحيفة السماح له بذلك فقدم شكوى الى المحكمة محاولا إجبارها على الرضوخ لطلبه. غير أن قضيته كانت بادية الضعف وأشاعت روزيس انها لن تؤيده في المحكمة. لكنه أصر على المضي في شكواه فخسر الدعوى.

والحق ان القضاة يتمتعون نظرياً باستقلال تام عن السلطة السياسية. إلا أنهم عادة يأخذون في الاعتبار رغبات وزير العدل. لذلك بدا قرار روزيس بمثابة انتحار على الصعيد المهني. ويرى بعض المراقبين أن تعيينها نائبة للمدعي العام في محكمة العدل الاوروبية في مارس (آذار) ١٩٨١ كان عقاباً لها على استقلالها في اتخاذ القرارات. وتقول روزيس في هذا المقام: "لا يحق للسياسة أن تدخل قاعة المحكمة."

رسالة اصلاح – في العام ١٩٨٣ عرض عليها روبرت بادنتر وزير العدل الجديد رئاسة محكمة النقض فرفضت في بداية الامر ثم لم تلبث أن قبلت، وهي تشرح ذلك بقولها: "الواقع اني كنت سعيدة في اللوكسومبور إضافة الى اقتناعي بحاجتنا الى وحدة أوروبية. والمساهمة في وضع قانون أوروبي جديد عمل مثير. لكني قبلت الوظيفة الجديدة أخيراً بسبب صداقتي للوزير."

كانت روزيس تسعى في المقام الاول الى تحقيق الفاعلية في العمل في جميع المناصب القضائية البارزة التي شغلتها. فعندما رأست محكمة مقاطعة باريس مثلا خرجت على التقليد السابق الذي يقضي بوجود رئيس المحكمة في الغرفة الرقم ١ وانتقلت الى الغرفة الرقم ١٤ حيث يحاكم مرتكبو الجنح البسيطة. فوجدت هناك ٣٤ قضية في الانتظار، فبتّت في نصفها خلال أربع ساعات. وحين طلبت بعد ذلك من وزير العدل تعيين مزيد من القضاة كانت تعلم تماماً صواب ما تطلبه. وقد حداها توخي الفاعلية أيضاً على تنظيم زيارات للسجون يشترك فيها قضاة من المحاكم الجزائية.

كذلك تركت روزيس أثراً كبيراً في محكمة القضاء العليا، إذ ارتفع عدد القضايا المحالة على هذه المحكمة بين العامين ١٩٧٦ و١٩٨١ بنسبة ٤٨ في

المئة. وارتفع عدد الدعاوى التي أحيلت على دائرة الانعاش الاجتماعي بين ١٩٨١ و١٩٨٣ بنسبة مئة في المئة. فمن الواضح أن هذه المؤسسة تعاني خطر الاختناق. فالقضاة الذين يبلغ عددهم مئة وخمسين لا يمكنهم إنجاز عملهم بالسرعة المطلوبة على رغم وجود الادمغة الالكترونية.

وتعترف روزيس بأن "مسألة تراكم الدعاوى والتأخير في بتّها أمر عظيم الخطر، إذ يتفق أحياناً أن ينتظر المدّعي سنوات قبل صدور الحكم في دعواه، وفي هذا انتقاص من العدالة." وتعد روزيس بايلاء هذه المسألة حقها من الاهتمام، الا انها تستدرك قائلة: "لكني لا أملك عصا سحرية."

والحق أن سيمون روزيس أمضت في القضاء ٣٧ سنة واجهت خلالها عدداً لا يحصى من الصعوبات وتمكنت من التغلب عليها، مما يدفع المرء الى الظن أن "السيدة الرئيسة" تملك جميع ضروب "السّحر" التي تحتاج اليها.

■ جاكلين شالي



بائع البطيخ

أكد بائع بطيخ في الفيلبين لامرأة أن رأس البطيخ الذي باعها اياه حلو الطعم لأنه أحمر في الداخل. وفيما المرأة تقود سيارتها الصغيرة المفتوحة نحو المنزل سقط رأس البطيخ على الطريق عند أحد المنعطفات وانفلع. وإذ وجدت لونه مائلا الى البياض أكثر منه الى الحمرة عادت به الى البائع وهي تحتج لأنه خدعها. فما كان منه الا أن أجاب: "كوني حكيمة يا سيدتي! أليس السقوط من سيارة كافياً لشحوب الوجه؟"

ل.غ.

الطالب والمطعم الفخم

دخل طالب جامعي مطعماً فخماً ووضع قطعة نقدية من فئة عشرة دولارات في يد رئيس الندل الذي تسلّمها بفرح وقال: "أي طاولة تريد أن أحجزها لك؟"

– كل ما أريده منك عندما آتي هذا المساء مع صديقتي ان تقول أن جميع الطاولات محجوزة.

ك.غ.

أصل الشيب

سأل صبي في السابعة أمه عن سبب وجود بعض الشعر الأبيض في رأسها، فأجابت: "هذا آت من كونك تعذّبني." وعندئذ قال: "الآن عرفت لماذا ابيضّ شعر جدتي كله."

خ.غ.

شهرُ الحَرّ والضجَرْ

تمدد واسترخِ. انه شهر الأحلام الكبيرة

نحن نظلم شهر أغسطس (آب). فاذا تفوهت باسمه أثرت في سامعيك ذكريات الحر والضجر والرطوبة الخانقة. في هذا الشهر يبحث الصحافيون عن أخبار من نوع: رجل يعض كلباً.

هناك مؤلفات شهيرة مثل كتاب بربارة تاكمان "مدافع أغسطس" وكتاب ألكسندر سولجنتسين "أغسطس ١٩١٤" تذكرنا بالاحداث الرهيبة للحرب العالمية الاولى التي اندلع أوارها في ذاك الشهر. ولم يفكر مؤلفو الأغاني قط في أن ينظموا مثلا "أغنية أغسطس" أو "أغسطس في باريس" أو "ها هو أغسطس يغمر الدنيا". ويبدو أن الحكمة المتعارف عليها هي أن هذا الشهر موسم لا خير فيه.

ويبدو أن شهر أغسطس يثير في نفوسنا مقداراً معيناً من الفظاظة. ففيه دمّر آلاريك ملك القوط مدينة روما وارتكب "بيلي الصغير" (١) أولى جرائمه. وفيه أيضاً دمرت مدينتا هيروشيما وناغازاكي بالقنابل الذرية ورمدت بومبيي وهركولانيوم بثوران بركان فيزوف ولدغ الصل الشهير كليوباترا. ومع ذلك لم يقل أحد: "احذروا منتصف أغسطس" (٢).

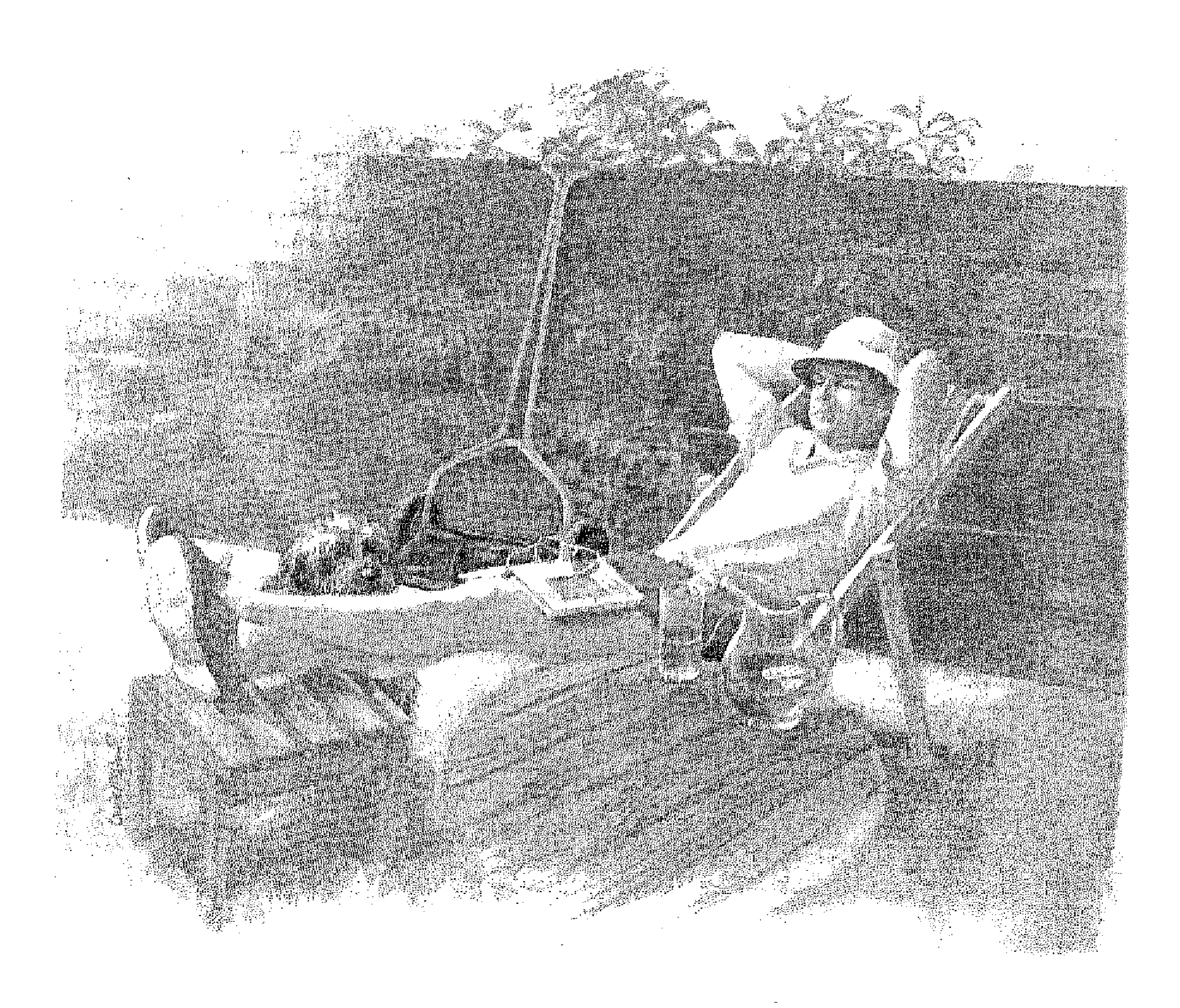
في حقائق الحياة العصرية، أغسطس هو آخر أشهر السنة وسبتمبر (أيلول) أولها. فأغسطس الهادىء يسبق عواصف افتتاح المدارس وعروض التلفزيون وتجدد الطاقة في كل مكان. فيه يأخذ العالم النشيط ومعظم سكانه اجازات، فتبقى علب البريد فارغة ولا تعقد اجتماعات ولا يقال لك قط ان فلاناً ملازم مكتبه.

في هذا الشهر يحلو لك أن تقرأ القصص المسلّية وتدع المؤلفات الرصينة لمنتصف الشتاء تقرأها قرب المدفأة. وفيه يكون "الطموح" أن تسير مسافة طويلة بدلا من الخلود الى قيلولة.

---

(١) مجرم شهير (١٨٥٩ - ١٨٨١) من غرب الولايات المتحدة نسبت اليه أعمال خارقة.

(٢) اشارة ربما الى قول العرّاف ليوليوس قيصر قبيل اغتياله: "احذر منتصف مارس (آذار)."



أحداث غريبة ورائعة تقع حين يسترخي العالم لبرهة من الزمن. تفسح الفكرة الواقعية في المجال لأحلام اليقظة ثم للأوهام. كل شيء يمكن ان يحدث في شهر أغسطس. ولا ريب في أن عطلة أغسطس في اسبانيا أتاحت للمستكشف كريستوفر كولومبوس أن يبحر الى العالم الجديد عام ١٤٩٢. وفي الشهر عينه من العام ١٥١٩ غادر ماجلان مرفأ اشبيلية الأندلسي في رحلته الاولى حول العالم. وفي أغسطس ١٤٩٨ عهد الى الفنان الشهير ميكيلانجلو في نحت رائعته "المنتحبة" في روما. أما في الاوقات الاخرى من السنة فيكون الناس حاضرين في أعمالهم ليجدوا مئة علة لاستحالة خوض هذه المغامرات.

ومن غرائب طبيعة أغسطس أنها تترك الناس أحراراً ليحلموا أحلاماً عظيمة... أو أحلاماً فحسب. فاذا اكتشف أحدهم حلا لأزمة الطاقة في العالم، فقد يحصل ذلك في أغسطس. ولكن من جهة أخرى، شهر أغسطس هو في ذاته حل لأزمة الطاقة العالمية.

■ **ايموري توماس**



الضحك خير دواء

فارس الأحلام

قالت فتاة لامها: "عجيب، اني لم أجد بعد الشخص الذي يناسبني."
- وما الذي تسعين اليه في الرجل؟
"الشخصية! الشخصية يا أمي. أما مظهر الرجل وسنّه ومادياته فهي أمورٌ لا تهمني."
- غريب! ألم تتعرّفي على ابن جارتنا بعد؟
"من؟ ذلك الولد القبيح الذي يستدين المال على الدوام؟"

خ.غ.

نوم الهناء

أوقف رجل سيارته في شارع فرعي هادىء لينام قليلا. وما كاد يطبق أجفانه حتى مرّ شخص يمارس رياضة الركض ودقّ زجاج النافذة ليسأل عن الوقت. وفتح صاحبنا عينيه ليقول لسائله انها الثامنة صباحاً.
ونام من جديد ليوقظه عدّاء آخر شاء أن يعرف الوقت أيضاً. وكانت الساعة الثامنة والنصف. وعيل صبر صاحبنا فعلّق ورقة على النافذة كتب عليها: "ليس معي ساعة." ولكن لم ينقض وقت طويل حتى قرع الزجاج عدّاء آخر ليقول: "انها التاسعة الا ربعاً يا صديقي."

ج.ك.

اتركيها يا أمي

خرج ابني من غرفته ذات صباح وهو يرتدي ثياباً أنيقة، لكن ياقة قميصه كانت مقلوبة. ولما هممت بتقويمها قال: "اتركيها يا أمي، ففي الجامعة زميلة لا بد ان تصلحها لي حين تراها هكذا."

س.م.

معجزة مجانية

الطبيب للمريض: "الحق ان شفاءك معجزة."
المريض: "الشكر لله! لقد وفرت عليّ دفع فاتورة المستشفى."

ب.ت.

خنجر ماليزي

هذا الخنجر التقليدي شعار تعتز به ماليزيا



أبو بكر أحد مشاهير الحدادين الماليزيين يطرّق نصل خنجر ليتخذ الشكل المتلوي المثالي.
وأكبر عدد معروف من التلوّيات في نصل الخنجر هو ٣١، وتكون غير متساوية في تعرّجاتها. أما العدد العادي فهو سبعة.

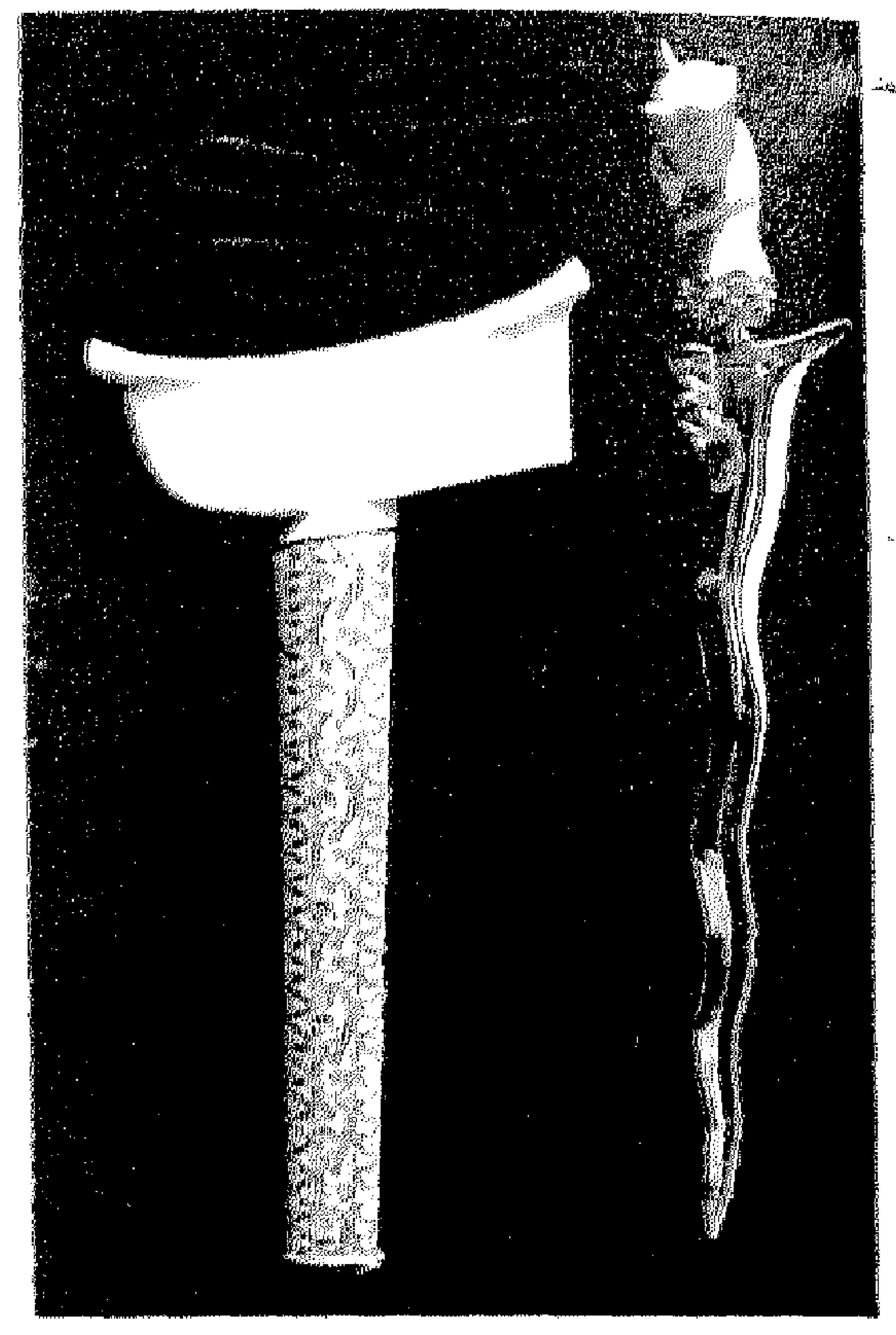
لخمسمئة سنة ونيف احتفظ خنجر ماليزيا (كريس) بمنزلة فريدة في تراث تلك الامة. والى أهميته الاساسية كسلاح تطوّر الخنجر ليصبح آلة احتفالية واكتسب شكلا يجسد فناً حرفياً جميلا وغدا موضوعاً للتراث الشعبي.

وأصل هذا الخنجر غير معروف تماماً، لكن الناس يعتقدون أن خنجراً جيء به من خليج تونكين في القرن الاول للميلاد كان الأنموذج الاصلي. وقد يكون أدخل ماليزيا من طريق جاوا في القرن الرابع عشر. وهو يختلف جوهرياً عن سواه من الخناجر. فطول نصله يراوح عادة بين ٣٠ و٣٧ سنتيمتراً ويزداد عرضاً كلما اقترب من المقبض. وهو سدّ الحاجة الى سلاح صغير يسهل اخفاؤه، ولقي قبولا واسعاً. وحتى أواخر القرن التاسع عشر لم يكن أي شاب ماليزي يجرؤ على الخروج من بيته الا متسلحاً به.

والخنجر المكتمل يجسد مهارات الحدّاد والنقاش والصائغ. وعبر القرون حقق هؤلاء الحرفيون الثلاثة منتهى الجمال في صنع هذا السلاح. واليوم نجد الخنجر المنقوش والمرصّع بالدرر بين الموروثات الثمينة في العائلات. واحدى

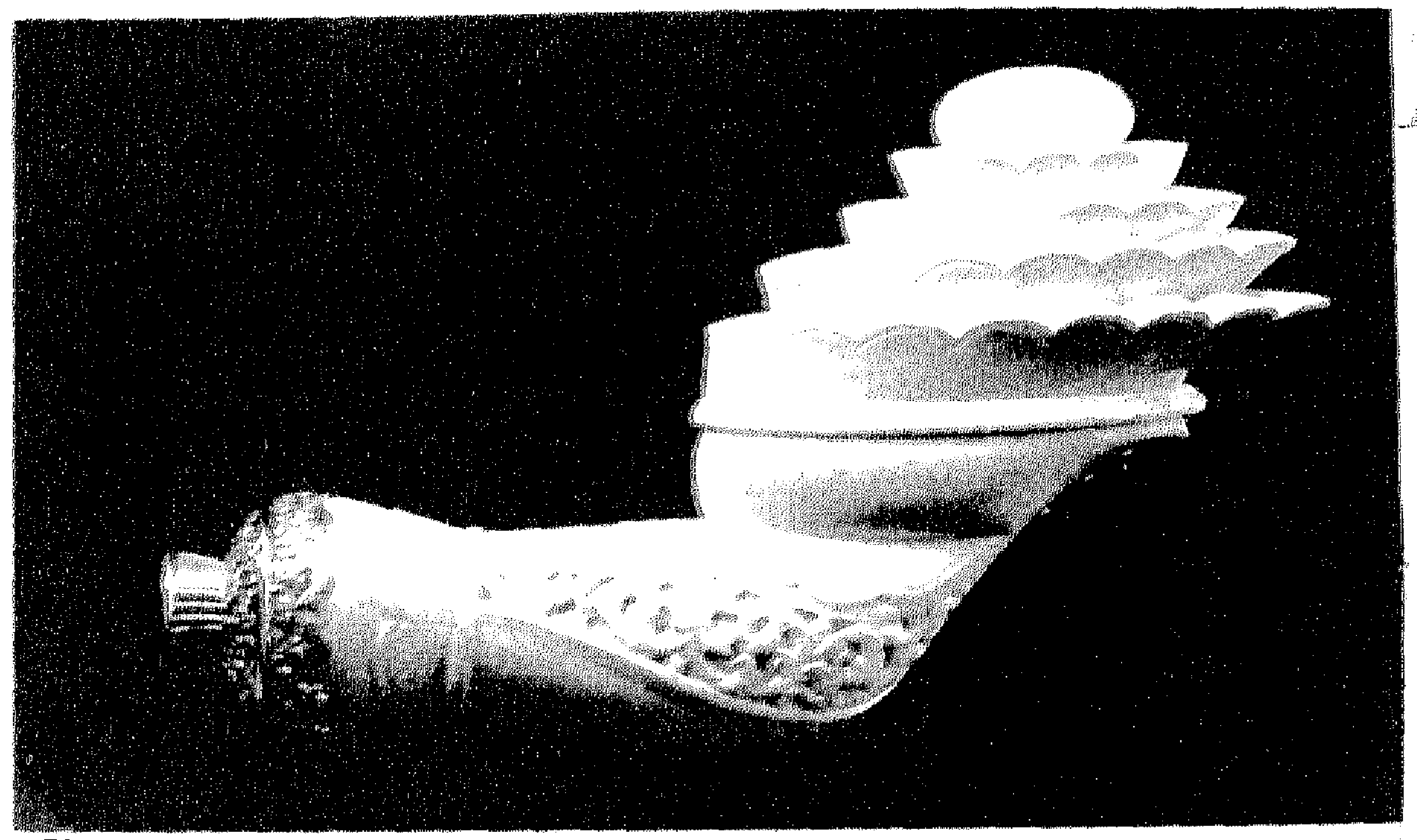
Photos: Harri Peccinotti from «Living Crafts of Malaysia», published by Mobil Oil Malaysia

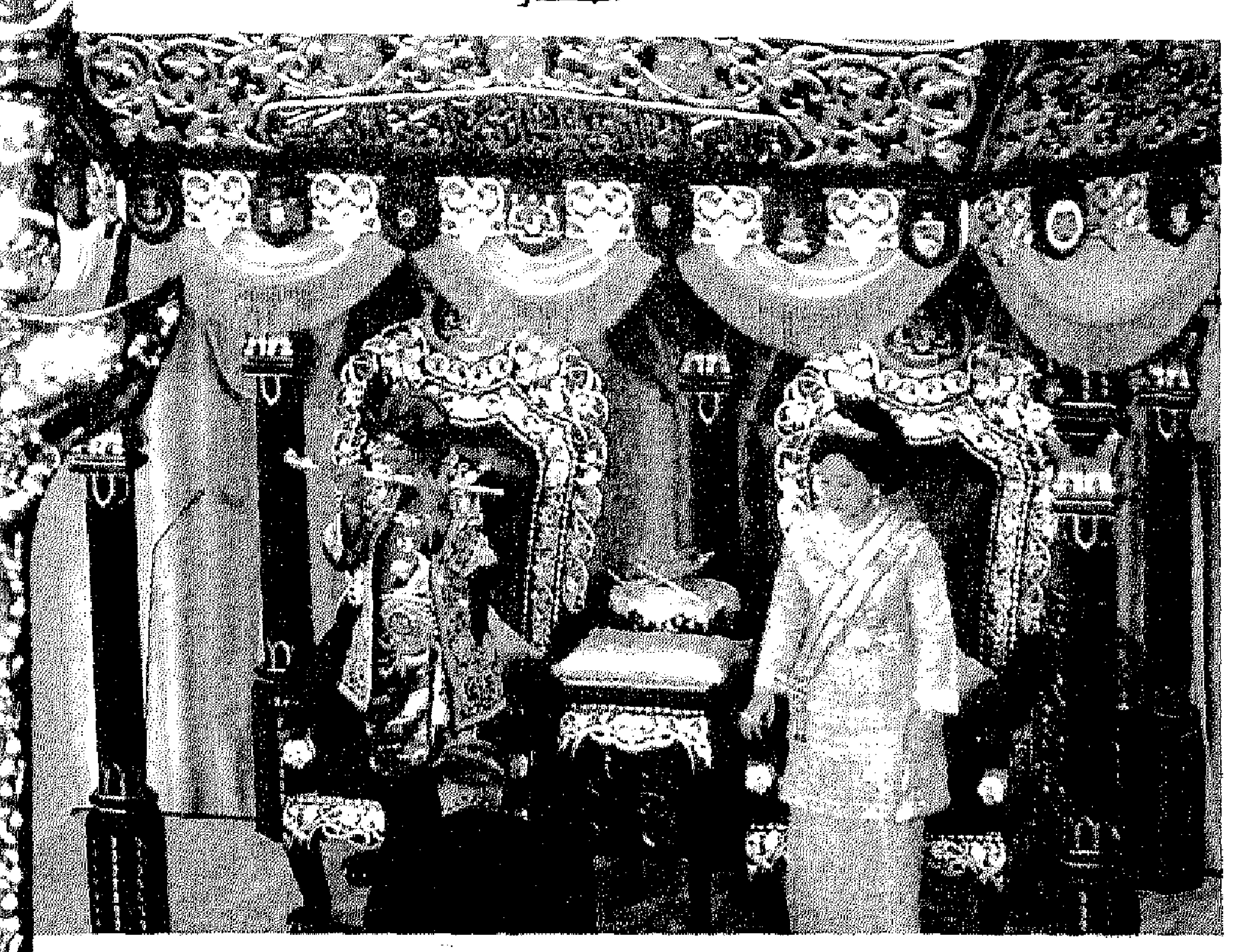
الى اليسار:
يتسم نصل الخنجر المكتمل عادة بنقشة "بامور" الدمشقية. وهذه العلامات والاشكال التجميلية ربما نشأت من شوائب موجودة أصلا هي الحديد النيزكي الذي كان يستخدم لصنع هذه الاسلحة. وينتج البامور من غمس نصال الحديد النكلي بضعة أيام في محلول حمضي خاص.



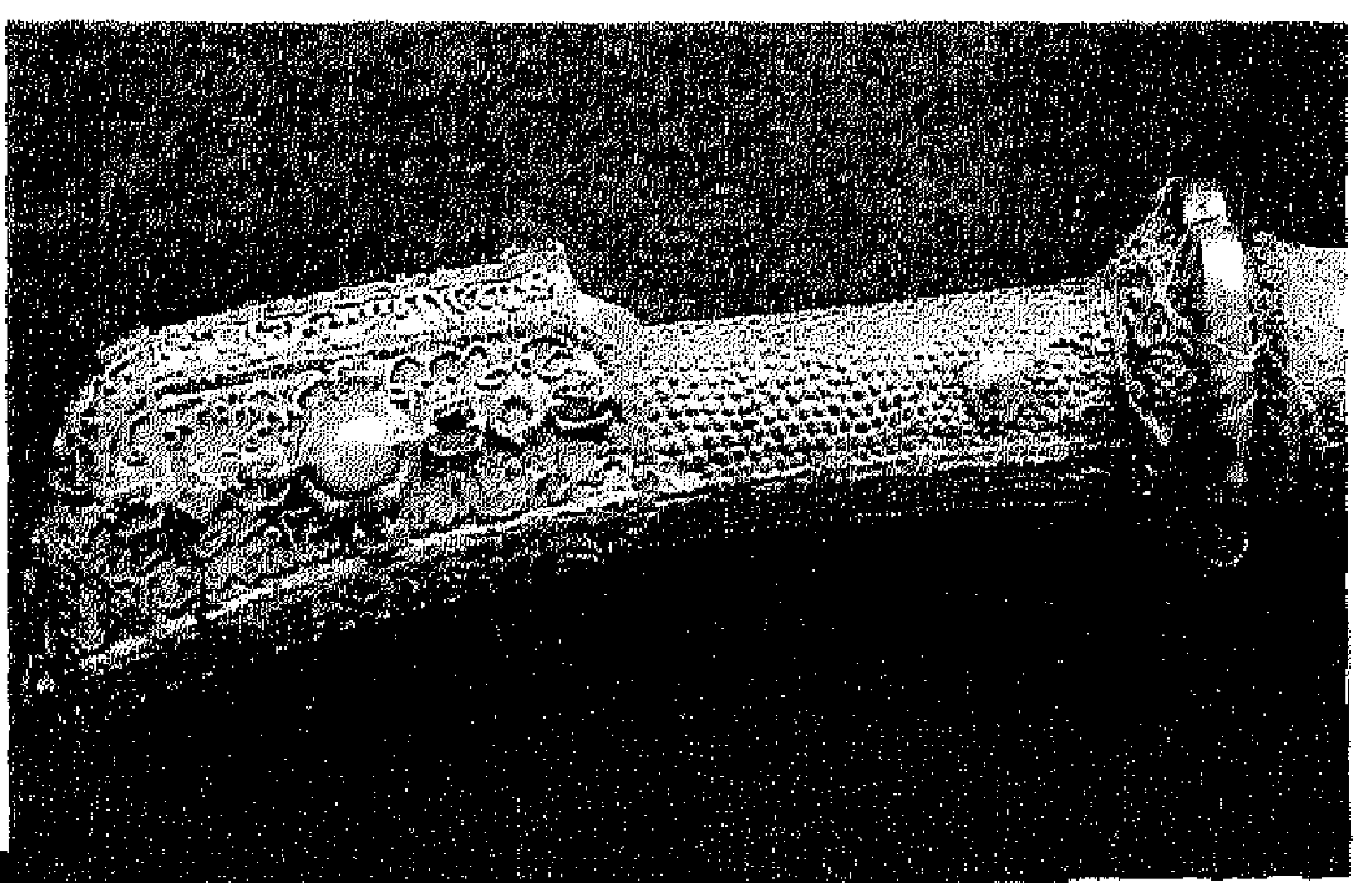
الى اليمين: تضافرت مهارات أبرز الحرفيين في صنع هذا الخنجر الجميل العصري. وقد تولى عبد اللطيف بن لونغ حفر المقبض العاجي والعارضة، وصنع أبو بكر النصل: وصاغ آوانغ بن اسماعيل الغمد الفضي.

هذا المقبض المنحني في شكل "حدوة حصان" هو أيضاً من صنع عبد اللطيف. وهو من العاج الموشّى بالذهب.



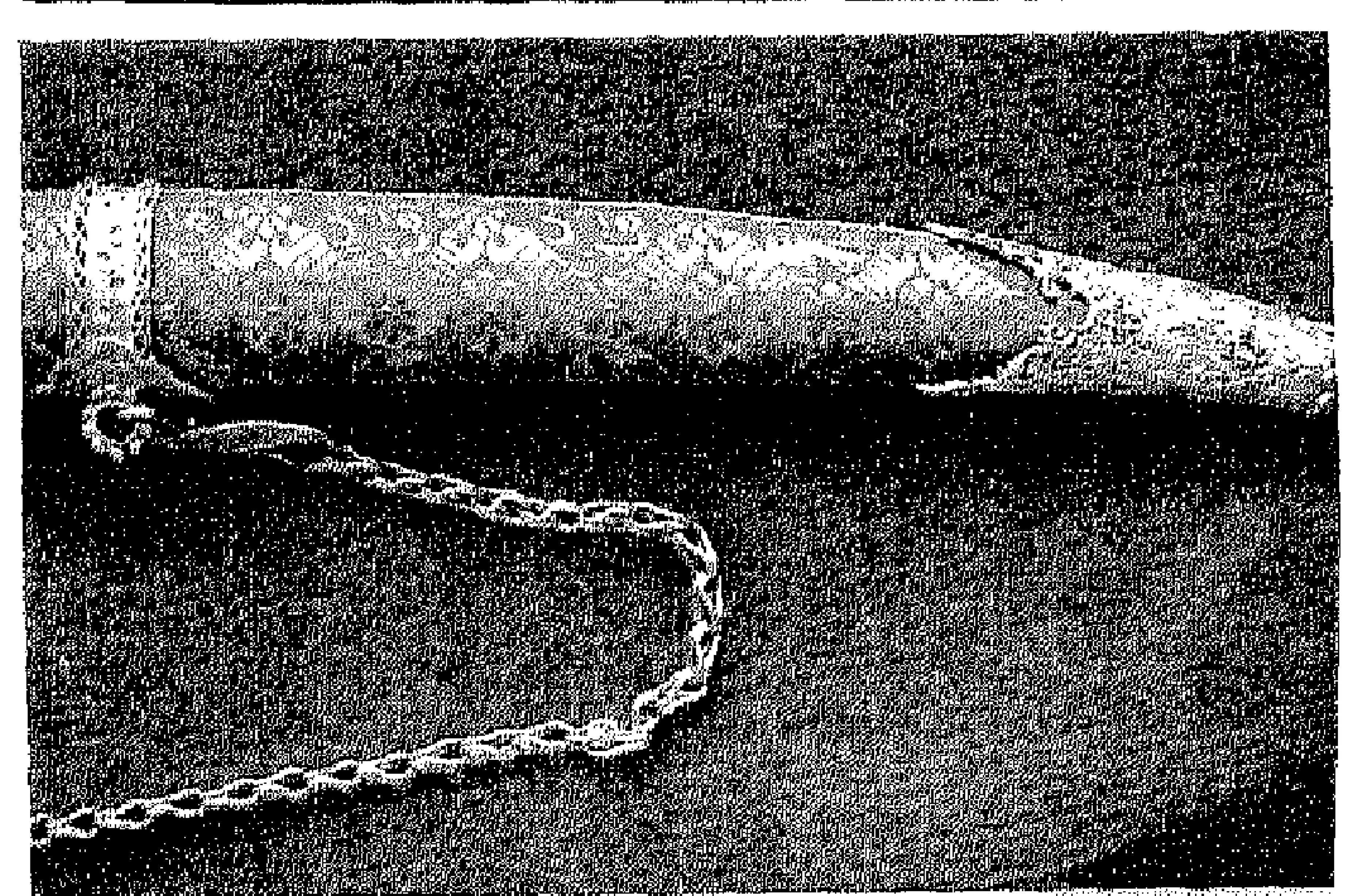


ملك ماليزيا السابق يانغ دي برتوان آغونغ يتقبل الخنجر الملكي "كريس دي - راجا" خلال الاحتفال بتنصيبه.

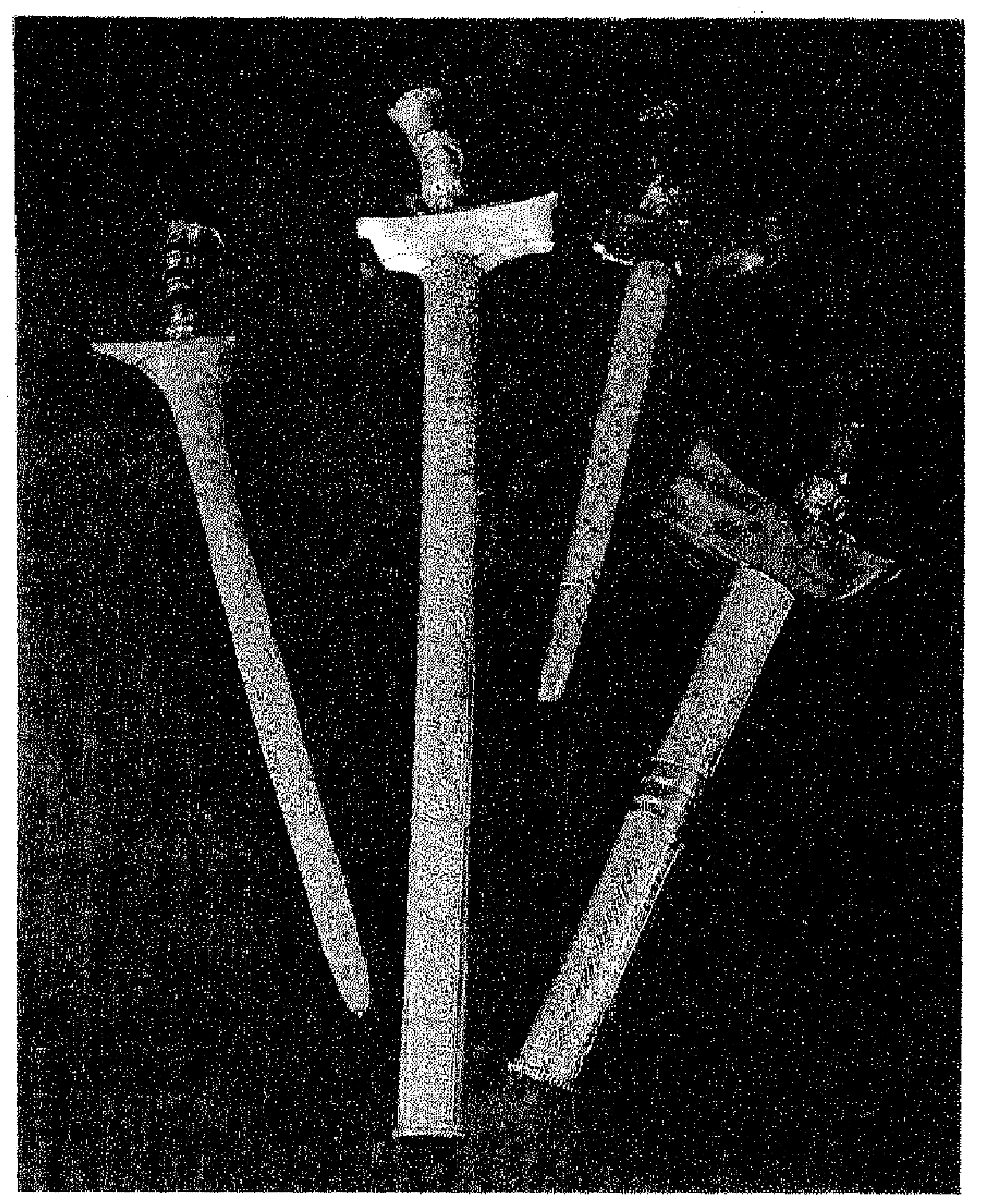


Hans Hoefer / APA Photo Agency

نماذج فاخرة لمقابض وأغماد ذهبية مرصعة بالجواهر في المجموعة الملكية الماليزية.



خنجر ماليزيا



ما لم يجهز الخنجر بمقبض وغمد فانه لا يعتبر مكتملا. وهذه الخناجر التاريخية الاربعة يناهز عمرها مئة سنة.

ـجر الملك هو الخنجر الفاخر كريس دي - راجا" أي الخنجر الملكي. ويحوي النصل فولاذاً مأخوذاً من ١١ خنجراً جمعت من كل الولايات في شبه الجزيرة الماليزية. ولا يحق لغير الملك أن ينقل هذا الخنجر أو يحمله.

المقبض المصنوع من الخشب أو العاج أو الذهب أو الفضة أو العظم أو القرن يتخذ غالبا شكل رأس عصفور أو شكل انسان.

Photos: Muzium Negara


Fong Peng Khuan

خنجر ضخم يحمله رجل يرتدي الملابس التقليدية لمحارب في عرض العيد الوطني الماليزي.

أفخر المجموعات في ماليزيا تلك التي يقتنيها رجل الدولة تنكو عبد الرحمن، وقسم منها معار لمتحف بينانغ. ومن القطع التي لا تقدّر بثمن في مجموعته خنجر حمله حين نالت ماليزيا استقلالها عن بريطانيا عام ١٩٥٧.

وفي التراث الشعبي غدا الخنجر ذلك السيف الاسطوري الذي رافق الاعمال البطولية واكتسب صفات خيالية. ومن المعتقدات أن لبعض الخناجر قدرات خارقة. ويشاع أنها كانت تقفز من أغمادها لتدافع عن أصحابها حين يدهمهم خطر.

ولكن ليست الخناجر كلها تحمل الخير. ويشاع أن خنجر كاي كوندونغ الاسطوري كان يخرج من غمده كل يوم في منتصف الليل ليشن حملة دموية شعواء. واستوجب الامر تضافر قوى ثلاثة خناجر خيرة لقهر قوته الشريرة.

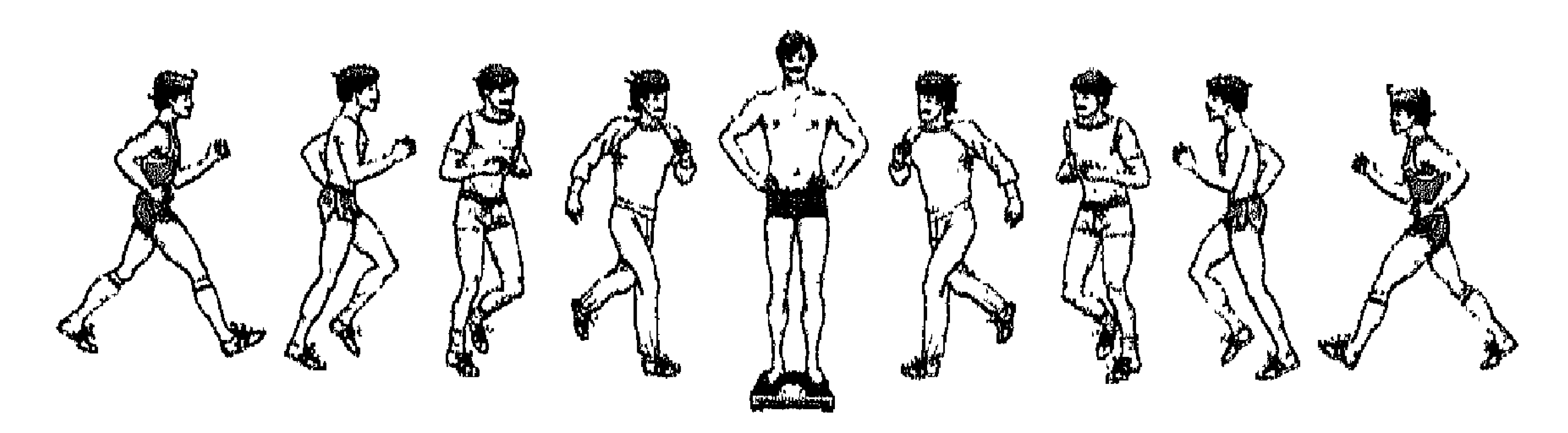
ولا يزال الحرفيون الماليزيون يصنعون الخناجر للاحتفالات. وأجملها من مقتنيات العائلة المالكة، اذ تعتبر الخناجر رموزاً للسلطة. وكل عريس ماليزي يضع خنجراً تحت حزامه كجزء من زي العرس، وهكذا يثبت صفته "راجا ساهاري" أي ملك اليوم.

ويقول تان سري داتو موبين شيبرد وهو مرجع ثقة في التراث الثقافي الماليزي: "الخنجر هو الشعار التقليدي للعرق الماليزي وجزء ثمين من الحياة الجمالية لتلك الامة."

■ **كاثي سنوكوين**

الطريق الصّحيح إلى الرشاقة وتخفيف الوزن

كُل والعب تخسر وزنا، فالرشاقة ليست في التجويع، بل في الموازنة بين الأكل الصحيح والتمرين المستمر



للوهلة الاولى يبدو الأمر واضحا بالنسبة الى الذين يعانون زيادة في الوزن، وهو أنهم يأكلون كثيراً. لكن الشواهد العلمية لا تؤيد هذا الرأي. وقد أظهرت دراسات حديثة أن ذوي السمنة لا يأكلون في العادة أكثر مما يأكله الأشخاص الأقل بدانة. وفي دراسة أجريت عام ١٩٧٩ على ٣٤٥٤ موظف مكتب في لندن، تبين أن البُدْنَ يأكلون أقل من النحاف، والميزان شاهد.

كما بيّنت الدراسات أن النحفاء أكثر نشاطاً من ذوي السمنة. وهناك فوارق دائمة في مقدار الوحدات الحرارية التي تدخل الأجسام بين النحاف النشِطين والبُدن الخاملين. وفي دراسة أجراها فريق من الباحثين في كلية الطب التابعة لجامعة ستانفورد الأمريكية، تبين انه لدى الاناث النحيفات اللواتي تراوح أعمارهن بين الثانية والثلاثين والخامسة والأربعين واللواتي يمارسن رياضة كرة المضرب (١١ ساعة أسبوعياً)، بلغ معدل الوحدات الحرارية المتناولة يومياً ٢٤١٧، في حين بلغ هذا المعدل ١٤٩٠ وحدة لدى إناث في سن مماثلة ولكن من أولئك الأكثر وزناً واللـواتي يقضين معظم أوقاتهن جالسات. وهذا يعني زيادة ٦٢

Condensed from Executive Health Report (January '85), © 1985 by Executive Health Publications, Rancho Santa Fé, Calif. Illustrations: Ron Jones

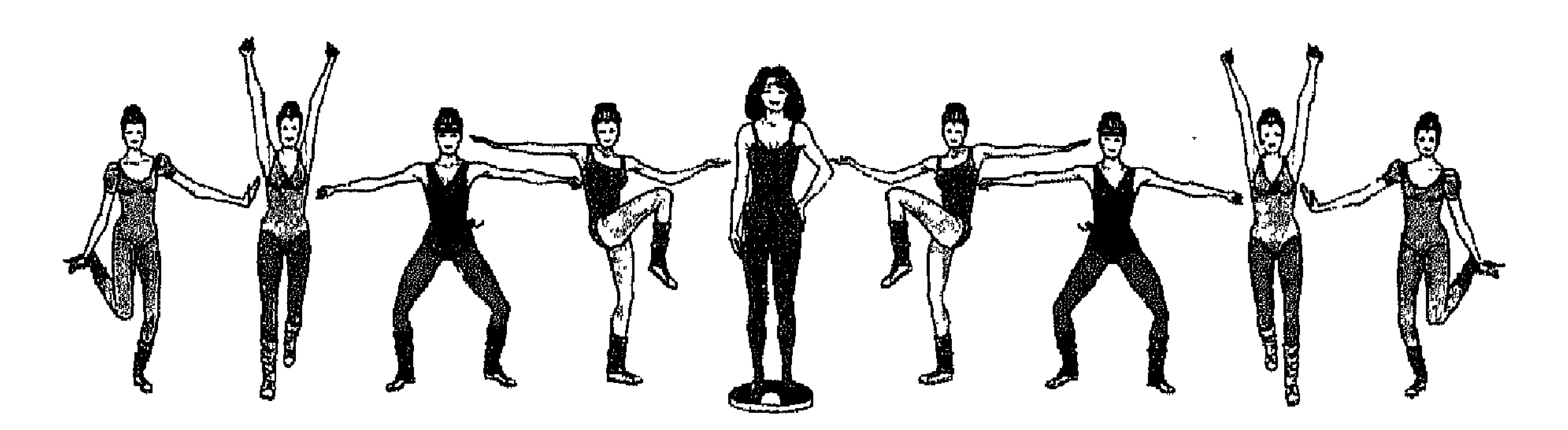
في المئة لدى النحيفات. والسرّ يكمن في النشاط الجسدي.

وفي دراسة أخرى أجريت في ستانفورد راقبنا ٤٨ رجلا تراوح أعمارهم بين الثلاثين والخامسة والخمسين، وهم من الخاملين في العادة، بعد بدئهم برنامجاً دام سنة كاملة للعدو الوئيد. وبعد انقضاء السنة سجّلنا التبدلات الآتية:

- كلما زاد الركض زادت خسارة الشحم من الجسم.
- كلما زاد الركض زادت كمية الطعام المتناول.

نشاطات جسدية كالوقوف والسير وسوى ذلك من الحركات. والوحدات التي لا تستهلكها الوظائف الرئيسية تستهلكها الوظائف هذه. وللمحافظة على وزن ثابت لا بد من التعويض بالغذاء.

وربما أضاف شخص كثير الجلوس ٣٠٠ وحدة يومياً الى معدل الأيض الاساسي لتغدو وحداته الاجمالية ١٧٠٠. أما عدّاء المسافات الطويلة فقد يضيف ٢٣٠٠ وحدة ليصبح المجموع ٣٧٠٠. ومن الشائع أن يتناول ممارسو الرياضات الثقيلة بين ٤٠٠٠ و٥٠٠٠ وحدة يومياً.



- هذا يعني أن الذين ركضوا أكثر تناولوا طعاماً أكثر، لكنهم فقدوا مقداراً أكبر من الشحم.

فعل الرياضة – استخدام الجسم للطاقة أو الوحدات الحرارية يقع في خانتين. فهناك أولا الاستخدام الوظيفي، حيث هذه الوحدات ضرورية لوظائف الجسم الرئيسية كالهضم وخفق القلب والتنفس. ويدعى مجموع هذه الوظائف معدّل الأيض الأساسي. وهو لدى الشخص البالغ العادي ١٤٠٠ وحدة حرارية يومياً.

أما الاستخدام الآخر للطاقة فهو يخص

وهكذا نرى أن الشخص الكثير الجلوس يصرف معظم وحداته الحرارية على معدل الأيض الأساسي، أي الوظائف الجسدية الاولية. وهذا يعني أن كل ما يفعله لرفع هذا المعدّل يؤدي الى احراق المزيد من الشحم، في حين أن كل ما يفعله لخفض هذا المعدل يعقّد مشكلة الوزن الزائد لديه.

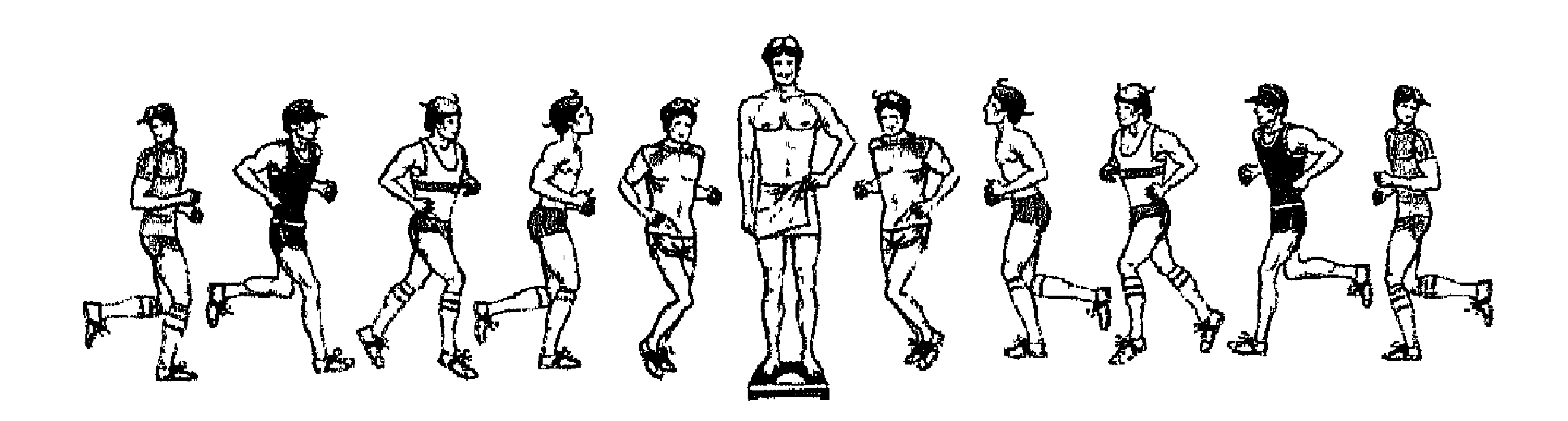
وقد بات معشر الاختصاصيين يعرفون منذ سنوات أن الحمية الغذائية، خصوصاً القوية (المقتصرة مثلا على ٤٠٠ وحدة يومياً) تنقص معدل الأيض الأساسي. وهذه طريقة دفاع الجسم عن نفسه من

أجل المحافظة على الطاقة بعد خفض كمية الطعام. الا أنها تخفف من أثر الحمية عبر تعويدها الجسم الصمود على مقدار أقل من الوحدات الحرارية. ولهذا السبب أعتقد أن الحمية الصارمة يجب ألا تُعتمد كثيراً، وأن كل حمية ينبغي النظر اليها كمرحلة عابرة.

ومن المفاهيم الرائعة التي برزت في الآونة الأخيرة الأثر البارز للرياضة القوية في رفع معدل الأيض الأساسي وقتياً. والعدّاء الوئيد الذي قطع مسافة ثمانية كيلومترات قد يرتفع هذا المعدل لديه

الوزن الذي يحتمي عن الطعام باعتدال وينتهج نظاماً رياضياً متدرجاً، ينزع الى رفع معدل الأيض الأساسي لديه، مع رفع استهلاك الوحدات الحرارية، كما يفقد وزنه الزائد مع الوقت من غير ان يستعيده بعد أسابيع أو يقف عند حد معين. وهـذا الشخص، في الغالب، يستمتع بحميته الغذائية المدعومـة بالتمارين الرياضية.

خياران – الى تسهيل عملية خسارة الوزن الزائد، هناك حسنات عدة للتمرين



ويبقى على ارتفاعه ساعات. أما الشخص الذي يمارس هذا النوع من العدو يومياً فمن الطبيعي أن يحافظ على معدل الأيض الأساسي مرتفعاً.

من هنا نجد أن الشخص القليل الحركة والزائد الوزن الذي يلجأ الى نظام حمية صارم من غير ممارسة التمارين الرياضية، ينقص معدل الأيض الأساسي لديه، ولا يرفع استهلاك الوحدات الحرارية، ويفقد بعض الوزن في بداية نظام الحمية ثم لا يلبث أن يستقر سريعاً على وزن ثابت، ولا يرى أي جدوى في الحمية التي اتبعها.

الا أن الشخص القليل الحركة والزائد

المنتظم. فخسارة الوزن الناجمة عن الحمية وحدها تقلل الشحم وتضعف العضلات، في حين أن الحمية المعتدلة المشفوعة بالتمارين الرياضية المنتظمة تضعف الشحم وتقوي العضلات. كما ان للرياضة الدائمة أثراً طيباً في القلب. وصاحبها سليم البنية وفي امكانه تأدية وظائفه الجسدية الارادية بنشاط لا يعرفه صاحب الحمية المتطرّفة التي لا يرافقها التمرين الجسدي.

والتمرين المنتظم يساعد على رفع مستوى البروتيبين الدهني العالي الكثافة في الدم. وهذا هو الكولستيرول "الحميد"

طريق السلامة لخفض الوزن إلى الأبد

إذا شئت خسارة وزن يراوح بين خمسة كيلوغرامات و٢٥ كيلوغراماً من غير استعادته، فيجدر بك اتباع الآتي: أولا، أنقص عدد الوحدات الحرارية اليومية التي تدخل جسمك بمقدار ٤٠٠ الى ١٠٠٠ وحدة، بحسب قياس جسمك والوزن الذي تود فقده. واذا كان أحدهم يستهلك ٢٥٠٠ وحدة ويزيد وزناً وشاء اطراح ١٥ كيلوغراماً عنه، ففي امكانه خفض الوحدات الى ٢٠٠٠. وهذا الانقاص اليومي لا ينطوي على تضحيات كبيرة، وهو لن يجرّ النحول ولا الجوع. ولا يجوز، في مطلق الأحوال، أن ينزل معدّل الوحدات اليومية عن ١٢٠٠ لما يرافق ذلك من أخطار متعلقة بالنقص الغذائي والانخفاض الهائل في معدل الأيض الأساسي.

ومع اعادة النظر في عاداتك الغذائية، حاول اعتماد نظام أصح قائم على التقليل من الشحم والكولستيرول والكافيين والملح والسكر. ومعنى هذا استهلاك كميات أقل من اللحوم الدهنية وصفار البيض والمرطبات والحليب الكامل الدسم ومشتقاته، مع الاكثار من الفواكه والخضر الطازجة والحبوب والأسماك والطيور وبياض البيض والحليب القليل الدسم ومشتقاته.

قرّر المواظبة على هذه الخطة بضعة أشهر، ولكن لا تنظرنّ الى الوحدات الناقصة كصفة ملازمة لبقية أيام حياتك. فالحمية الغذائية مسألة وقتية غايتها إعانتك على تحقيق المرحلة الاولى من خطتك، الا وهي خسارة الوزن الزائد. أما الأكل المغذي فمسألة دائمة.

ومع شروعك في نظام الحمية اتبع برنامجاً رياضياً خفيفاً ولكن متدرجاً. واستشر طبيبك أولا اذا كنت ممعناً في قلة الحركة أو اذا كنت تجاوزت الأربعين أو اذا كانت لديك علة جسدية مزمنة. والتمرين المتدرج في القوة يعني ارتفاع دقات القلب الذي قد يكون أثره ايجابياً في منع أمراض الشرايين التاجية. وفي الوقت نفسه يعمل التمرين على خفض مستوى البروتيين الدهني القليل الكثافة، أي الكولستيرول "الخبيث". وقد بات في استطاعتنا، بعد نشر نتائج دراسة في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ دامت عشر سنين وتناولت ٣٨٠٦ رجال متوسطي الاعمار تولاها المعهد الامريكي للقلب والرئة والدم، القول بأن خفض مستوى البروتيين الدهني القليل الكثافة يقي القلب نوبات كثيرة ويحمي حياة صاحبه.

ناهيك بأن التمرين يخفف خسارة المعادن من العظام، وبالتالي يمنع انكسار العظم وآثار الرضوض، ولاسيما لدى النسوة المتقدمات في السن، كما يحسّن وضع المرء النفسي والذهني. وفي دراسة أجريت على ١٧ ألف متخرج في جامعة هارفرد بين ١٩٦٢ و١٩٧٨، أمكن البرهان للمرة الاولى على أن النشاط الجسدي المستمر في سنوات البلوغ يؤدي الى حياة أطول.

ان التمرين المتزايد يفضي الى تناول المزيد من الطعام، وهذا يزوّد الجسم ما

وتصبب العرق. كما يعني بلوغ مرحلة تستطيع فيها المواظبة على التمارين المستمرة طوال ٣٠ الى ٤٥ دقيقة، وذلك بين ثلاث مرات وخمس اسبوعياً. وعليك باختيار نوع من الرياضة تمارسه برغبة، كالمشي النشط والركض وركوب الدراجة الهوائية والسباحة والرقص في الهواء الطلق.

وربما كان المشي القوي، الذي يحصل بسرعة ويرافقه تحريك الذراعين، أفضل بداية بالنسبة الى الأشخاص الكثيري الجلوس. وبعد اختيار الرياضة التي تلائمك، انسَ انك تؤدي واجباً وفكر في الأمر كما لو كان لعباً. وهذا خير مدخل الى المرحلة الثانية من خطتك التي تقضي بالمحافظة على وزنك المعتدل.

وأفضل ما تفعله لضمان النجاح في هذا المجال هو العمل بالتدريج. واعلم أن عضلاتك وأوتارك ومفاصلك تحتاج الى وقت تتكيف خلاله وأسلوب حياتك الجديد. واذا استغرق اكتساب الوزن الزائد سنوات، فأعطِ نفسك أشهراً قليلة لاستعادة رشاقتك.

خلال الشهر الاول امشِ مسافة كيلومترين يومياً، وفي الشهر الثاني ثلاثة كيلومترات، وهكذا. وربما احتجت الى سنة لاكتساب الرشاقة وتحويل برنامج عملك من نطاق الواجب الى نطاق الرغبة.

وعندما تطرح عنك الوزن المطلوب فقده فأنت تحتاج الى تبديل ما، وإلا أضعت كل ما أنجزته. والطريق الآمن والسليم هو الاحتفاظ بقسط من التمرين لا يُستهان به. وهذا يمكّن الوحدات المتناولة من الازدياد لموازنة الطاقة المبذولة والمحافظة على وزن واحد للجسم.

■ **بيتر وود، مجلة "عالم الغذاء"**

يحتاج اليه من مغذيات. والأكل القوي ليس بالخطيئة، بل هو العنصر المكمل للحياة النشطة الفاعلة.

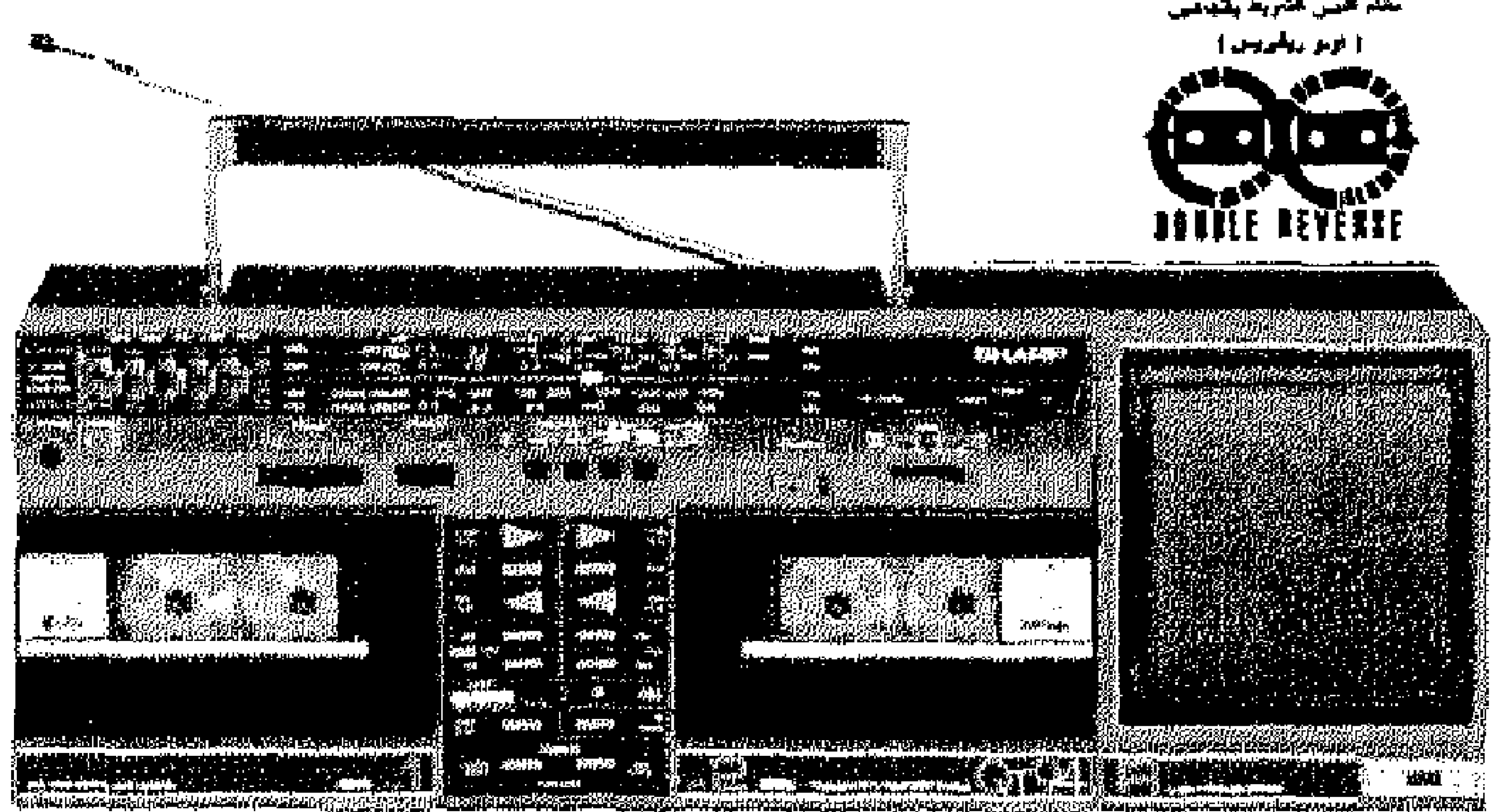
وفي النتيجة يمكن قول الآتي: بعض الناس لا يلجأ الى التمرين المنتظم. ومعظم البُدُن هم من أفراد هذه المجموعة. أما الحمية المتطرّفة فليست بالطريقة الحميدة لخسارة الوزن. انها ثقيلة الوطأة وتنزع الى خيانة أهدافها. الا أن الحمية المعتدلة التي يرافقها التمرين الجسدي المنتظم تؤتي ثمارها وتغدو مصدر متعة لصاحبها. وهكذا يغدو الشخص الزائد الوزن نحيفاً، ومع النحافة يكتسب النشاط والخفة والرشاقة ويبعد عنه خطر الموت الباكر. يضاف الى ذلك كله أنه يستطيع تناول مقدار أكبر من الطعام.

والآن، ليختر كل منا ما يشاء: فإما الحياة الخاملة على أريكة وتناول الأطعمة الخاصة بالمرضى، وإما الحياة النشطة السليمة مع الأكل القوي.

■ **بيتر وود**

أستاذ طب في جامعة ستانفورد والمدير المشارك لمركز ستانفورد لأبحاث الوقاية من الأمراض وعدّاء متمرّس في المسافات الطويلة.

احصل على ميزة عكس الشريط اوتوماتيكيا باتجاهين وتمتّع بالتسجيل والاستماع المتواصل على جهتي الشريطين.



تقنية الكاسيت المزدوجة توفر لك مستوى جديدا من الراحة. وحدتان للاستماع أو التسجيل بميزة عكس الشريط اوتوماتيكياً، لتتمكّن من الاستماع الى جهتي الشريطين من دون توقف، أو التسجيل على جهتي الشريط في عملية واحدة وبسيطة مدهش ؟ نعم، مفاجيء ؟ كلا، لأنه من شارب.

مزايا اخرى • موازن تخطيطي ذو ٥ درجات صوتية • تسجيل فائق السرعة • ٤ مكبرات صوت ذات اتجاهين وقابلة للفصل • تحكم الكتروني منطقي بالكامل.
• متوافر باللونين الاحمر أو الأسود



نظام قطع الكاسيت هاي - فاي المزدوج QT-94Z

الاستماع المتواصل مع شارب
متعة موسيقية لا تنتهي

QT-94Z(BK)



استمع الى وجهي الاسطوانة من دون قلبها وتمتّع بالاستماع المتواصل من كاسيت الى كاسيت مع شارب.



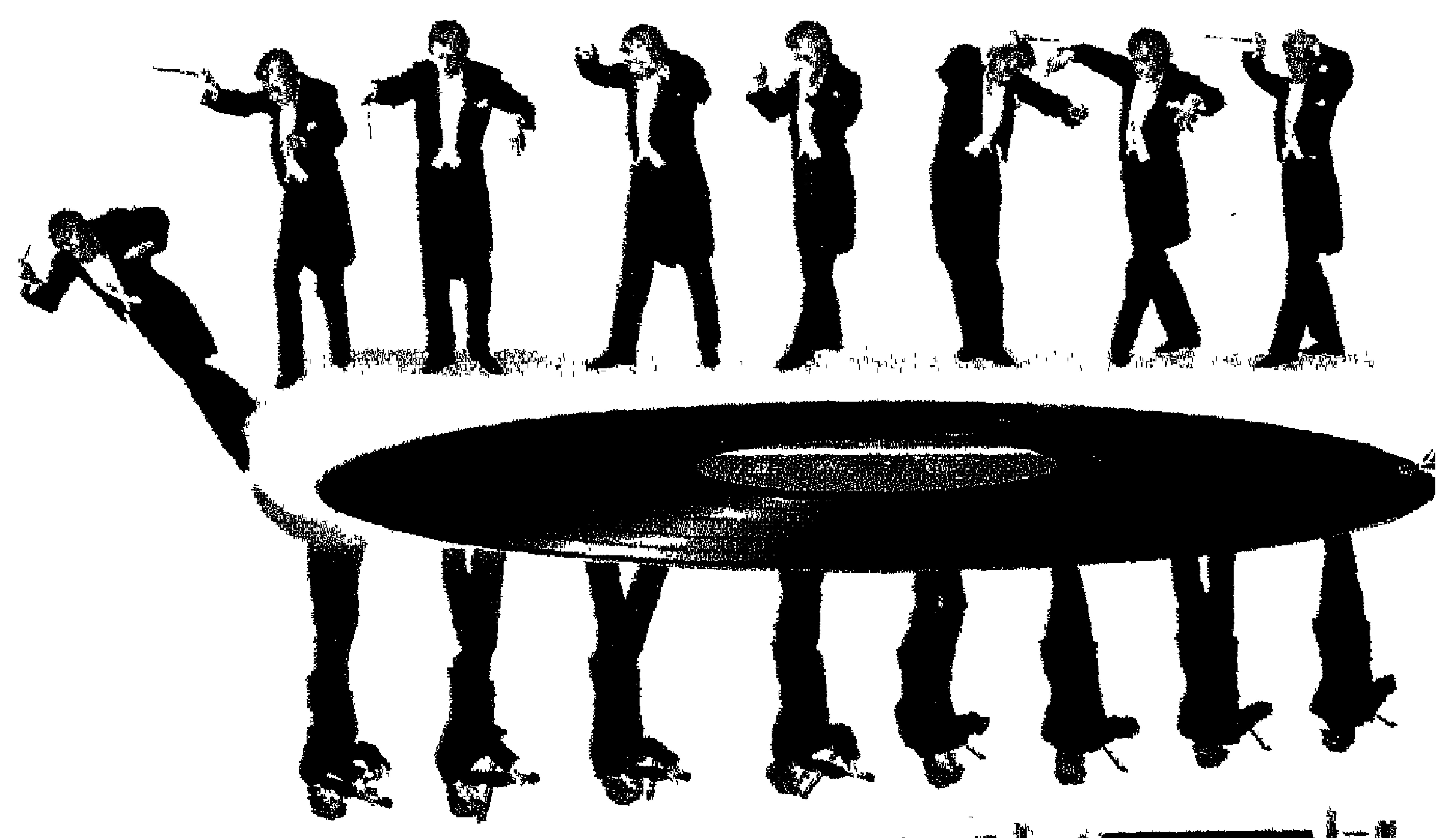
اذا كنت من عشاق الموسيقى، فستعجب بالتأكيد بجهاز شارب الجديد VZ-1600Z. ان ذراع الابرة المفرد يتحرك بخط مستقيم على جهتي الاسطوانة ليمكنك من الاستماع الى وجهي الاسطوانة من دون قلبها وبلا توقف. بالاضافة الى امكان التسجيل بكاسيت مزدوجة أو الاستماع من كاسيت الى كاسيت لزيادة متعتك الموسيقيّة.

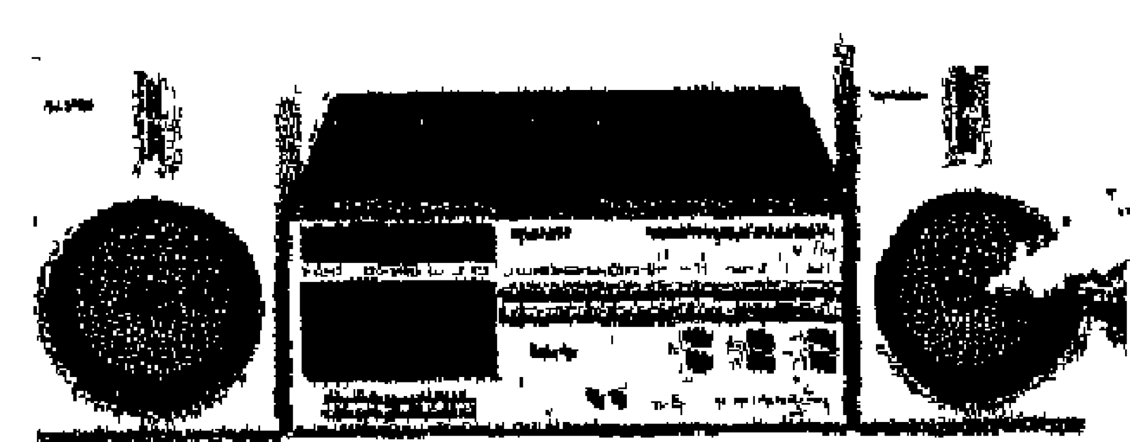
جهاز اسطوانات ستيريو VZ-1600Z يسمعك وجهي الاسطوانة من دون قلبها.

مزايا أخرى

- موازن تخطيطي ذو ٥ درجات صوتيّة. • طاقة صوتية ١٠٠ واط (PMPO).
- راديو ذو ٤ موجات : اف.ام / آي ام / موجة قصيرة ١ / موجة قصيرة ٢.
- متوافر باللونين الأسود أو الفضي.

اداء موسيقي متواصل على جميع الجهات





متوافر ايضا جهاز VZ-1500Z بكاسيت مفردة بالمزايا الآتية :


- تحكم منطقي كامل
- طاقة صوتية ١٠٠ واط (PMPO).
- راديو ذو ٤ موجات اف ام / اي ام / موجة قصيرة ١ / موجة قصيرة ٢
- متوافر باللونين الفضي او الاسود





**واجه عامل الرافعة خيارين اثنين:
فاما أن يقفز الى الأمان
ويعرّض عشرات الناس للموت،
واما أن يجازف بحياته
ويسقط بالرافعة
الى الحفرة**

Illustration: Dennis Lyall



كان عصر السبت الواقع فيه الثامن من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤ منعشاً حين وقف المارّة بالقرب من مبنى كارنيغي هول الشهير في مدينة نيويورك يحدّقون مذهولين، وقد ارتفع فوقهم أحد أطول الاشياء المتحركة في العالم. وكان ذلك رافعة إنشاءات صفراء اللون تزن مئتي طن، وقد بلغت ذراعها الضخمة مستوى الطبقة العشرين في أحد مباني الشارع الغربي السابع والخمسين. واستقرت الرافعة على حافة حفرة بعمق ثمانية أمتار وسط ذلك المشروع الذي سيؤول الى ناطحة سحاب من ٦٨ طبقة.

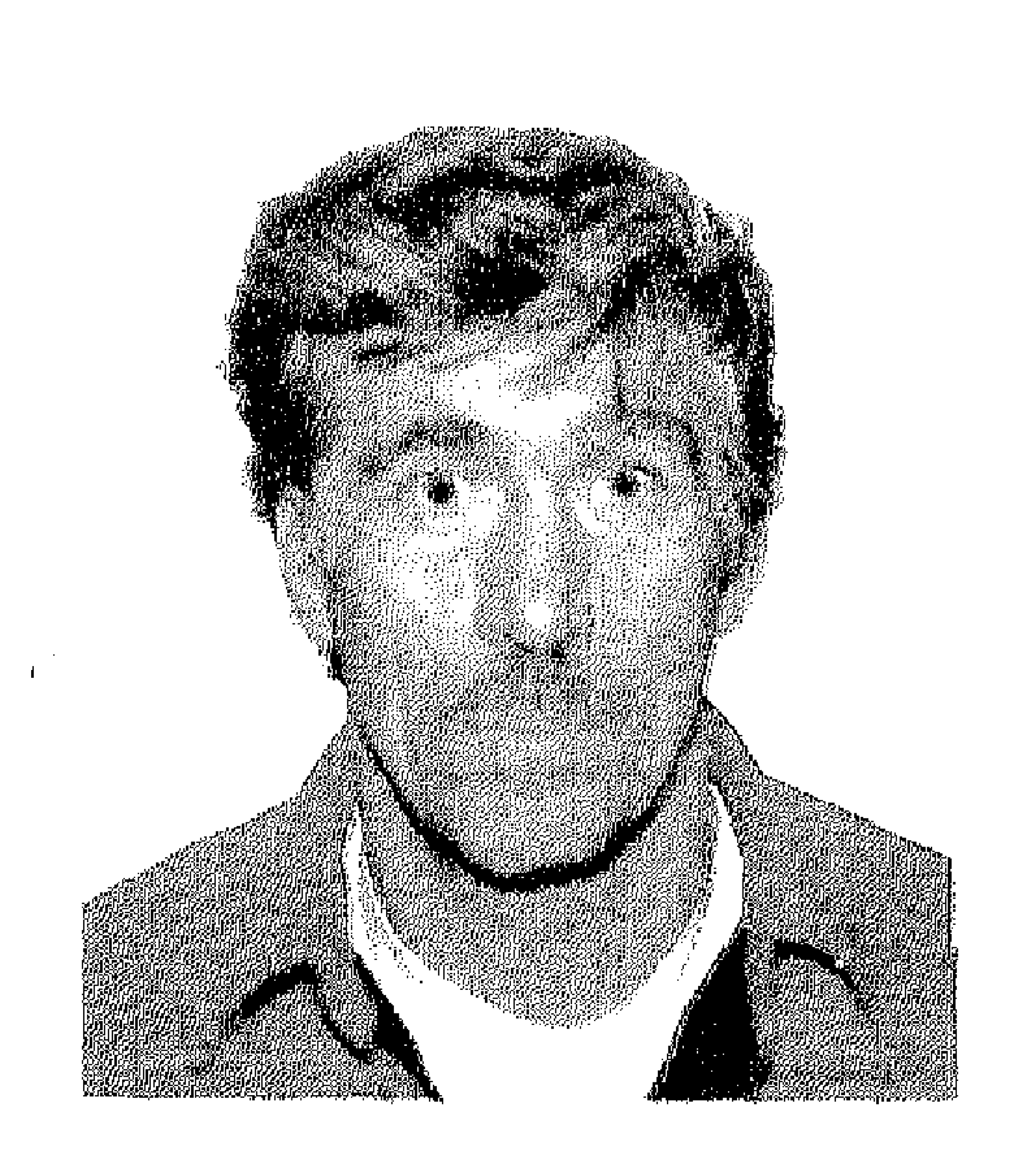
وفي حجرة الرافعة جلس توم أوبراين، وهو رجل ناحل موخّط الشعر في الخامسة والاربعين، وقد طارت سمعته كأحد أفضل عمّال الرافعات في المنطقة. وكان عمله المباشر رفع قرص دوّار ضخم من الفولاذ يشكل قاعدة رافعة صغيرة توضع فوق برج يشرف على موقع العمل.

وقال وكيل الورشة: "باشروا الرفع." وراح توم يراقب ثلاثة رجال وهم يربطون سلك الرفع بالقرص الدوّار.

وخلال السنوات الاثنتين والعشرين التي أمضاها توم عاملا على آلات من هذا النوع، رأى رافعتين مثقلتين بالحمولة تهويان. وقضى أحد العاملين تحت آلته فيما قفز الآخر خارجاً ونجا. لذلك كان ينتبه جيداً لوزن الحمولة.

وبعيد الثالثة عصراً أرسل الرجال الخمسة الواقفون على برج البناء خبراً بالمذياع يفيد بأنهم مستعدّون. ورفع عامل آخر يده إيعازاً ببدء العمل.

وكبس توم زرّ الرفع على مهل وأدار المحرّك الذي علا صوته بينما أخذ القرص الدوّار يرتفع عن الارض. ونظر توم الى الحمولة وهي تتلاشى حجماً خلال ارتفاعها الى السماء الزرقاء ثم عطف ذراع الرافعة يساراً فوق البرج.



المعلومات التي حصل عليها توم أفادته بأن وزن القرص الدوّار ١٧ ألف كيلوغرام، وهذا ضمن قدرة الرافعة. والواقع أن أحد المسؤولين أساء الحساب، اذ ان الوزن الصحيح كان ٢٤ ألف كيلوغرام.

ومن رأس البرج نظر الرجال الخمسة الى القرص الذي أصبح فوق رؤوسهم.

وكان توم أول العارفين أنّ في الامر خطأ، إذ سمع ارتفاعاً في هدير المحرّك رافقه انحراف ذراع الرافعة ببطء الى الامام.

وظنّ الرجال على قمة البرج أن الحمولة تُدَلّى نحوهم. والحق أنها كانت تسقط سقوطاً. وإذا استمرّت الحركة على ذلك النحو، فلا بدّ من أن يهلكوا ويهوي البرج، ثم تقع ذراع الرافعة بأمتارها الخمسة والسبعين على المباني المجاورة آتية على كل ما في طريقها.

وتابعت الرافعة انحرافها وأحسّ توم أنه على مؤخر سفينة ترفعها موجة عملاقة. وكان كل عرق في جسده يصيح: "اقفز!" وهمّ فعلا بالقفز من باب حجرته. وفي تلك اللحظة التمعت في مخيلته صور البنايات المجاورة تهوي على المارّة وتقتلهم وتصرع من في الحافلات والسيارات.

أيمكنه إذاً أن يتجنّب المأساة؟ ثم أيمكنه أن يطيق نفسه إذا هو لم يحاول؟

وكان على الارض شخص يدعى روي ليدجر، وهو صديق توم وعامل رافعة أيضاً. فنظر الى فوق بخوف وعدم تصديق وقال لنفسه: " يا إلهي! انها تهوي." ودبّ الذعر في العمال حوله وراحوا يركضون يميناً ويساراً.

وفي تلك الأثناء اتخذ توم أوبراين قراره. لقد رفض القفز الى الأمان.

وأخذ يحرّك العتلات والدوّاسات على عجل من أجل توجيه الثقل نحو الحفرة. وبعد قليل أحسّ قوّة تدفعه الى الهواء. لكنه اطمأن حين رأى القرص الدوّار يهوي الى الحفرة، تماماً حيث أراد أن يضعه. وتبعته ذراع الرافعة والحجرة وحتى حامل الرافعة الملامس للأرض. وارتحل الصوت الهائل الى المباني المجاورة، وركض المشاة مذعورين في كل اتجاه.

الشخص الوحيد الذي أصيب بأذى كان توم. وهو وجد نفسه معلّقاً رأساً على عقب في التجويف المعدني الذي يصل الذراع بالحجرة. والتهبت ساقاه كما من مشعل لحام. ورأى الدم ينفر منهما وهما عالقتان ضمن ذلك التجويف على مقربة من دوّاستي التحكّم. وأطبقت احدى الدواستين على رجله اليمنى كفأس.

النجاة هبة – مع سريان الألم في أوصاله تساءل توم عما اذا كانت ستتسنّى له مرة اخرى رؤية زوجته وأولادهما الثلاثة. وجعل يصلّي. وبعد قليل سمع صوتاً ضعيفاً ثم رأى الماء الموحل يرتفع قرب رأسه. وكانت الرافعة المنقلبة صدمت شبكة مياه. وتنهد توم قائلا: "يا إلهي! دعني أموت قبل أن أغرق."

وأحسّ يدين قويتين تدعمانه من تحت. ونظر فرأى صديقه روي ليدجر وعلى وجهه الذهول، وقد قفز الى الوحل لينقذه.

وبادره توم: "هل اذي أحد؟"

– لا، لا أحد سواك.

"نشكر الله."

وتجمع آخرون تحت. وهبّ بات كستالدو معاون ليدجر لاعتاق ساقي توم. وأخذ آلة لفكّ الدواستين، لكنهما كانتا ملويتين. وأُعطي عتلة، لكنه لم يستطع إدخالها تحت حديد الدوّاستين المرقّق والملتصق بالارض.

وانعكست أنوار سيارات الاطفاء والاسعاف على العجلتين الضخمتين الناتئتين من الحفرة. وغرق توم في دمه. وعاجله عامل طوارئ بالاوكسيجين وهو يحاول إنقاذ ما يستطيع إنقاذه في الوقت القليل الباقي.

وترك المعاون الطبي جيمس أوكيلي زميله مايكل روث عند جهاز الارسال في سيارة الاسعاف وأسرع في اتجاه توم. واشرأبّت قضبان الفولاذ من أساس البناية تنذره بالخطر إن هو انزلق فوقها. وفي تلك الاثناء كانت الرافعة ترخي ثقلها على حجرة السائق وتوشك أن تسحقها.

وعجب أوكيلي لرؤيته توم صاحياً. وقال: "لا عليك! سنخرجك من هنا." وتولى المعاون الطبي عَصب رأسه ويديه وذراعيه وصدره. ومن أجل اعادة ضغط دمه الى طبيعته أقحم حقنة وريديّة في ذراعه لاعطائه المحلول الملحي عبرها.

وكان توم على وشك الغياب عن الوعي. وناداه أوكيلي: "توم! توم!" فيما عيناه تغمضان. ولكن من الاهمية بمكان ابقاء المريض صاحياً. وفي تلك اللحظة انفتحت عيناه.

وسأله أوكيلي: "من أنت؟ أين أنت؟"

والتمعت عينا توم الزرقاوان. وأجاب بأنّة: "اني عامل رافعة يدرك واجبه. وأنا هنا في موضع عملي."

وأحبّ أوكيلي تلك الالتماعة وأخذها دليلا على تعلق توم بالحياة.

وبذل الاطفائي جو بيروتي محاولة أخرى لاعتاق رجلي توم. وبواسطة مطرقة وملزمة أمكنه نزع مسمار من الدوّاسة، لكنه لم يستطع انتزاعها هي.

[illegible] – كانت ١٥ دقيقة انقضت على الحادث. ووجد أوكيلي أن ضغط الدم لدى توم منخفض كثيراً، وهو ٩ على ٦، وأن النزف مستمر.

وحاول بيروتي اعتاق رجل توم اليسرى. لكن مسمار الدواسة الاخرى لم يتزحزح. وبمعاونة زميل له طرقه بشدّة فانقلع من مكانه وسقطت الدواسة في الحفرة.

وانقضت ٣٥ دقيقة على الحادث، وأخذت دقات قلب توم تتسارع ونفسه يضيق. وظناً من أوكيلي أن توم على وشك الوفاة، صاح فيه: "اياك يا توم والاستسلام. سنخرج من هنا في دقائق معدودات."

وصاح توم: "قدماي... انني أحتاج إليهما من أجل متابعة مهنتي."

وأجابه أوكيلي: "كل ما أستطيع ضمانه لك هو البقاء حياً."

وفي تلك الآونة كان عدد من الرجال تجمعوا فوق الرافعة ودلّوا آلة إنقاذ تعمل بالطاقة المائية، وفي استطاعتها قصّ الحديد القاسي كما لو كانت فتّاحة علب.

وقفز قلب بيروتي في أحشائه عندما شاهد الحديد فوقه يلتوي. وقُصّت الدواسة عن رجل توم اليمنى. وأخذها بيروتي بيده وهو لا يصدّق عينيه. وبعد انعتاق توم أخيرا ارتمى بين ذراعي

أوكيلي الذي تولى هو وآخران وضعه على حمّالة. وكانت رجله اليمنى معلّقة بركبتها عند العظم فقط، في حين النتوت اليسرى على نحو غير طبيعي.

ونظر توم من الحمّالة ورأى فردة حذائه اليمنى مستلقية على ركبته. وقال: "يا إلهي! ما هذا؟" لكنه لم يلبث أن نظر الى طرف الحمّالة ورأى سلكاً ناتئاً، فقال بمرح: "ارجو ليّه الى تحت لئلا يؤذيني." وابتسم أوكيلي لسماعه ذلك الكلام.

وفي المستشفى عمل عشرة أطباء وأربع ممرضات طوال ساعتين لابقاء توم حياً. والى حقن الدم، أمدّوه بالمضادات الحيوية لمنع الالتهاب والمورفين لتسكين الالم. ثم فصلوا ساقه اليسرى عن رجله. وبعد زوال الخطر عن حياته نقلوه الى مستشفى آخر حيث ارتأى جراحو التقويم أن هناك حاجة الى بتْر ساقه اليمنى أيضاً.

وعندما وصلت ايثل زوجة توم الى المستشفى في السادسة عصراً وأطلعت على حال زوجها الخطرة، امتلأت عيناها البنيتان بالدمع. وغرقت طويلا في أحد المقاعد واستغرقت في البكاء. ثم كفكفت الدمع ورسمت على وجهها ابتسامة واتجهت نحو غرفة زوجها.

ووجدته ملفوفاً بالعصابات. وبادرته والغصة في حلقها: "لقد اوقعت نفسك في داهية لا بأس فيها هذه المرة يا عزيزي." وكانت هي وتوم استعارا هذه الجملة من أحد أفلام الثنائي الساخر لوريل وهاردي، واستخدماها طوال السنوات الاربع والعشرين من حياتهما الزوجية لمواجهة المواقف العسيرة.

وابتسم توم بمرارة وأجاب كما في كل مرة: "وإذا لم يفعل المرء شيئاً، فهو لن يواجه أي صعوبة." وإذ ذاك أدركت ايثل أن زوجها مصمم على الصراع من أجل البقاء.

وحين دخل عليهما جو بيروتي في اليوم التالي قال توم لزوجته بحماسة: "هذا هو الرجل الذي أخرجني من الورطة." لكن بيروتي عقّب على كلام توم بالآتي: "بل أنت هو البطل الحقيقي. فلو لم تبعد ذراع الرافعة عن الشارع لقضى العشرات."

ومن أولئك الناس جو جوليانا الذي يقول: "اني مدين بحياتي لذلك الرجل الذي كان في استطاعته إنقاذ نفسه، لكنه فضّل إنقاذنا نحن."

مُلهِم التفاؤل – ترى ما الذي ردع توم عن القفز؟

انه لا يعرف تفسيراً لذلك. لكن المرء يتساءل عما إذا كان الدافع تلك الآية التي طالما سمعها توم في حداثته خلال الصلوات العائلية: "ليس لأحد حب أعظم من هذا: أن يقف المرء حياته لأجل أحبائه."

ولا يزال المعاون الطبي أوكيلي يعجب حين يتذكر ذلك العذاب: "على رغم آلامه كان ذاك الرجل يمدّني بالقوة وهو تحت الرافعة."

وقد دخل توم المستشفى مرارا بعد

الحادث وخضع لأكثر من جراحة لانقاذ رجله الاخرى. وهو يعرف أنه لن يستطيع تشغيل رافعة بعد الآن. لكنه يقول: "يمكن أن أعمل في مجال البناء والصيانة بعدما مدّتني خبرتي بما يكفي لتأدية عمل من هذا النوع."

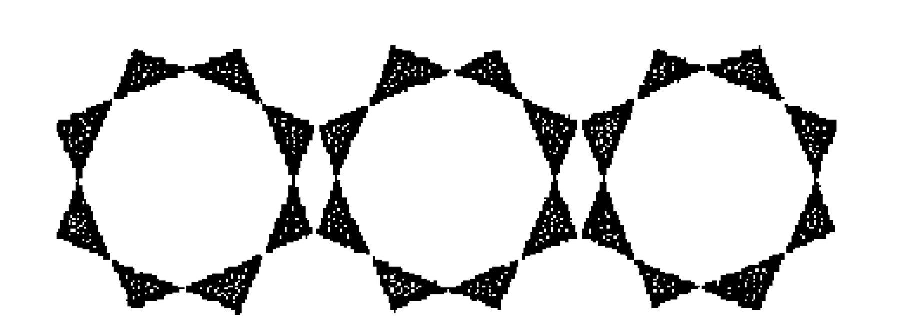
وكلما دخل المستشفى أدخل معه تفاؤله وموقفه الايجابي من الحياة. وطالما طلبت منه الادارة مساعدة المصابين الذين باتوا على حدود اليأس. وذات مرة ذهب في كرسيه الى جانب فتى فقد رجلا من جراء حادث على الدراجة النارية. وأخبره الفتى أنه لم يعد يطيق الحياة.

وأجابه توم: "اسمع: انك لا تزال تملك احدى رجليك. فلماذا لا تفكر في أولئك الذين يأتون الى هنا من غير سيقان ولا أذرُع ولا أعيُن؟ انك فتىً وسيم وذو عقل راجح. والافضل أن تنطلق مما هو لك."

وكان لذلك الكلام أفضل أثر في سامعه الذي غادر المستشفى برجل اصطناعية. ومرة قصد توم باعتزاز ليعرّفه الى صديقته.

وقبل أشهر حملت سيارة الاسعاف توم أوبراين وقطعت به مسافة ٩٠ كيلومتراً من منزله في هايلاند ميلز (ولاية نيويورك) الى منهاتن لاجراء جراحة أخرى. ومرّت بالموقع الذي فقد فيه رجله. وكانت ناطحة السحاب ارتفعت حتى الطبقة العشرين. ونظر توم الى الخارج ثم قال للمعاون الطبي المرافق: "آه كم أنا سعيد لأن أحداً لم يُصب بأذى." قال هذا وكأن جراحه هو لا تعني شيئاً.

■ ريتشارد شنايدر



العلم الحق

رافق المصور الفوتوغرافي كين هيمان عالمة الانثروبولوجيا مارغريت ميد في رحلتين الى جزيرة بالي الاندونيسية. وهو يقول فيها: "كانت تتفاهم مع السكان من غير كلام، مكتفية بنظرة من عينيها أو هزة من رأسها. وكانت تجلس بين القرويات ساعات، ويبدأ التفاهم بينهن بسهولة. وأهم ما في الأمر أن تلك العالمة الكبيرة كانت هناك لا لتعلّم أولئك الناس شيئاً، بل لتتعلّم منهم كل شيء."

جين هوارد، من كتاب "مارغريت ميد"

ثمة طرائق عدة لمساعدة الآخرين. لكن للحياة طريقة واحدة، وهي أن نساعد الآخرين.

هـ.ن.

صور من الحياة



حساب المحبة

كنت أزور أمي ومعي ابني ذو السنتين. فجاءها بائع الخبز وراح يثني على ابني. وقال ان لديه ثمانية أولاد. وأدهشني الأمر وقلت: "ان تعلقي بولدي من الكبر بحيث لا يمكنني أن أتصور قسمته على ثمانية."
وأجاب الرجل على الفور: "المحبة يا سيّدتي تحسب بالضرب وليس بالقسمة."

ك.س.

الحياة عطاء

سأل غنيٌّ صديقاً: "لماذا يرميني الكل بالبخل وهم يعرفون أني أوصيت بأن تذهب جميع أموالي الى الفقراء بعد وفاتي؟"
- حسناً، دعني أخبرك قصّة الثور والبقرة. اشتكى الثور للبقرة يوماً قائلا: "الناس يطرون لطفك وجمال عينيك على الدوام، فيما يستعملون جميع العبارات لذمّي. ولا شك في أنك تجودين عليهم بالحليب. أما أنا فأعطيهم لحمي كله. فلماذا لا يحبني أي منهم؟"
وأطرقت البقرة قليلا ثم قالت: "ربما كان ذلك لأني أنا أعطي خلال حياتي."

مجلة "الشروق"

العربة والطائرة

بعد حصوله على رخصة طيّار راح زوجي يحدّث والدي المزارع عن حسنات الطيران ويغريه بالركوب معه. وما برح والدي يرفض وزوجي يقنعه. ولما سأله زوجي عن سبب رفضه أجاب: "الواقع أني اعتدتُ المركبات التي يمكن سحبها أو دَفْعُها اذا هي توقفت."

ع.م.

أمنية شيخ

في مأدبة عائلية عقد رهان بين عجوز وحفيده على عظمة الدجاجة التي يزعم أنها تجلب الحظ. وكان أن وقعت العظمة في اتجاه الشيخ. فاكتأب الحفيد لأن أمنيته لن تتحقق، لكن الجد قال له بلياقة وعطف: "لا عليك يا ولدي! فقد كانت أمنيتي أن تنال أنت أمنيتك."

ل.ل.

نظرة سريعة الى هذا الطائر الذي ارعب الناس في "دراكولا"

الوطواط

رادارٌ طائرٌ

حدث ذلك عند الغسق في ليلة صيف دافئة وقد عبقت رائحة الزهر في الأثير الساكن. وكنت صبياً أتمشى في ممر ضيق. فجأة طار فوق رأسي شكل أسود يشبه فراشة كبيرة. وبعد لحظات ظهر مرة أخرى وهو يصطاد الحشرات وينعطف الى يميني ويساري. وشعرت بقربه وبرفة جناحيه على خدي. وقفت مسحوراً والطائر الشارد يرقص في الهواء حتى عمّ الظلام المكان. كان الراقص خفاشاً (وطواطاً). وقد أثار دهشتي وزاد رغبتي في معرفة المزيد عنه. انه من أروع الحيوانات الثديية، ونحن نجهل الكثير عن بنات جنسه.

الخفافيش كائنات فريدة. انها الثدييات الوحيدة الطائرة حقاً. وهي تستخدم أصابعها وقوائمها الامامية برشاقة وخفة. عظام هذه القوائم دقيقة وطويلة جداً تشبه عيدان الثقاب، وهي مكسوة بغشاء رقيق يمتد الى القائمتين الخلفيتين.

يناور الخفاش ببراعة ويبز في ذلك أي طائر. كما يستطيع الانعطاف بزاوية قائمة في فسحة تفوق طوله بقليل. ويؤدي حركات بهلوانية وينقض على فريسته في هجمة لولبية ويلتقط الحشرات المائية من سطوح البرك.

واذا كنت تعيش في بريطانيا أو البرازيل أو العالم العربي أو الصين أو أي بلد آخر، فان الليل ملك للخفافيش. فهي تعيش في كل مكان ما عدا المناطق القطبية. وهناك ٩٥٠ نوعاً معروفاً منها تمثل ربع مجموع أنواع الثدييات. ويختلف حجمها باختلاف حجم أجنحتها. وأضخمها "ثعلب بسمارك الطائر" الذي يقطن في بابوا نيوغينيا ويبلغ طوله ١،٦٧ متر. وأصغرها خفاش افريقيا الغربية وخفاش كيتي الذي أكتشف في تايلاند عام ١٩٧٣، ولا يزيد طول هذين على ١٥ سنتيمتراً، وجسمهما أكبر قليلا من جسم النحلة.

ولا جدل في أن الخفاش من البشاعة بحيث لا يمكن فوزه في أي مباراة جمال. ونادراً ما يمتدحه المغنون والشعراء. وقد كتب الاديب البريطاني د. هـ لورانس قصيدة عن خفافيش "معلقة ورأسها الى أسفل مثل خرق بالية مقرفة."

ومع ذلك فنحن مدينون لها بالكثير. انها صيادة ماهرة للحشرات وتبتلع كميات كبيرة من الآفات الزراعية. أجنحتها تصفق ١٨ مرة في الثانية وقلوبها الصغيرة تنبض ألف مرة في الدقيقة. ويطير الخفاش في الغسق وهواء الليل ويمسك البعوض والخنافس والذباب بواسطة ٣٨ سناً كالابر، أو يغرفها من الهواء بواسطة الغشاء الرقيق بين قائمتيه الخلفيتين وجناحيه. ويقول الخبير البريطاني الدكتور روبرت ستيبنغز من معهد البيئة البرية، وهو حجة في شؤون الخفافيش: "يستطيع الخفاش ازدراد أكثر من ٣٥٠٠ حشرة في ليلة واحدة."

سر الخفافيش – ثمة اختصاصيون كثيرون بالخفافيش، أحدهم عالم

◀ خفاش "بيبستريل" الشائع في بريطانيا. وفي الصورة الدخيلة خفاش بأذني فأر، وهو نوع منقرض واقعاً.

Photo. Stephen Dalton. Inset: Udo Hirsch / Bruce Coleman Ltd.

الطبيعة وليم هدسن الذي مرّ باثنين منها يعيشان في ممر ضيق في هامبشير قبيل غروب الشمس. ورفع عصاه فوق رأسه عندما طارا حوله فأثاره أن يكتشف ان في إمكانهما تفاديها بسهولة.

ولم يتمكن العلم قبل أواخر الثلاثينات من معرفة الطريقة التي يمكن الخفاش أن يتفادى بها العصا. ففي جامعة هارفرد عمد عالم حياة وفيزياء امريكي هو دونالد غريفن الى استخدام اجهزة تمكن اذن الانسان من التقاط الذبذبات الاسرع من الصوت. ووجد في السكون الظاهر في المختبر أن الخفافيش الفاغرة الافواه تخرج أصواتاً تشبه أصوات العصافير وتبلغ ١٠٠ ألف ذبذبة في الثانية على الاقل. وبعد ذلك أجرى تجارب بسيطة فأغلق عيون الخفافيش. لكنها تمكنت من الطيران ببراعة كالسابق. وعندما منع عنها السمع باغلاق آذانها اصطدمت الخفافيش بعوائق سلكية. فمثل محطات الرادار، تحلل الخفافيش أصداء الاصوات التي ترتد اليها عن الاجسام لتطير في الجو بدقة فائقة.

وفي احدى التجارب تمكنت الخفافيش من الطيران غير مكترثة عبر شبكة من الممرات المعقدة بين الاسلاك. وفي تجربة أخرى برهنت أنها وان تكن تملك أدمغة أصغر أحياناً من حبة فاصوليا لكنها أمهر من جهاز الرادار المعروف. ففي امكانها أن تفرق بين المواد المختلفة. وألقيت اليها ديدان وقطع بلاستيك معاً في الهواء، لكنها تمكنت بواسطة أجهزتها الطبيعية والموجات الصوتية التي ترتد اليها عن الاجسام أن تقتنص الديدان دونما خطأ.

وألهمت الخفافيش العلماء صنع جهاز يلتقط الصدى لمساعدة العميان. ويعمل الجهاز بطاقة كهربائية تغذيها بطارية في حجم الجيب، ويتألف من مجموعة صغيرة من الاجهزة الالكترونية ونظارتين تبثان من جسرهما فوق الانف موجات أسرع من الصوت بعرض ٦٠ درجة. ويتحول الصدى أصواتاً موسيقية داخل سماعتي الأذن.

ويقول العالم جيم ماكافرتي من ادنبره: "كلما انخفضت نبرة الصوت بت أقرب الى الشيء وهكذا يمكنني أن أكون صورة في ذهني لما يحيط بي."

ولا تزال الخفافيش تحتفظ بسر واحد هو قدرتها العجيبة على السبات العميق وكأنها على بعد خطوة عن الموت. ويقول الدكتور ستيبنغز: "ترتفع حرارة جسم الخفاش في الطيران الى نحو ٤٢ درجة مئوية، في حين تبلغ حرارة الانسان العادي ٣٧ درجة مئوية. وبعد هبوط الخفاش تنخفض حرارته بسرعة لتسهيل عملية الهضم، وبعد ذلك تنخفض أكثر لتبلغ درجة الجو المحيط. وأحياناً تنخفض الى درجة التجمد. وقد يتباطأ تنفسه الى ثمانية أنفاس في الدقيقة بدلا من ثمانية في الثانية. ولا يحتاج الخفاش الى أكثر من واحد في المئة من الاوكسجين الذي يستهلكه في وقت النشاط الكامل."

وتشير عظام الخفافيش التي عثر عليها في الحفريات وأحواض البحيرات والكهوف الى ان الخفافيش تطير منذ ٥٠

مليون سنة على الاقل، أي منذ العصر الحديث السابق (ايوسين). وهي ربما تطورت من الحيوانات الآكلة الحشرات التي كانت تتسلق الاشجار وتنزلق بين الاغصان. وبعد ذلك تكونت لها أجنحة.

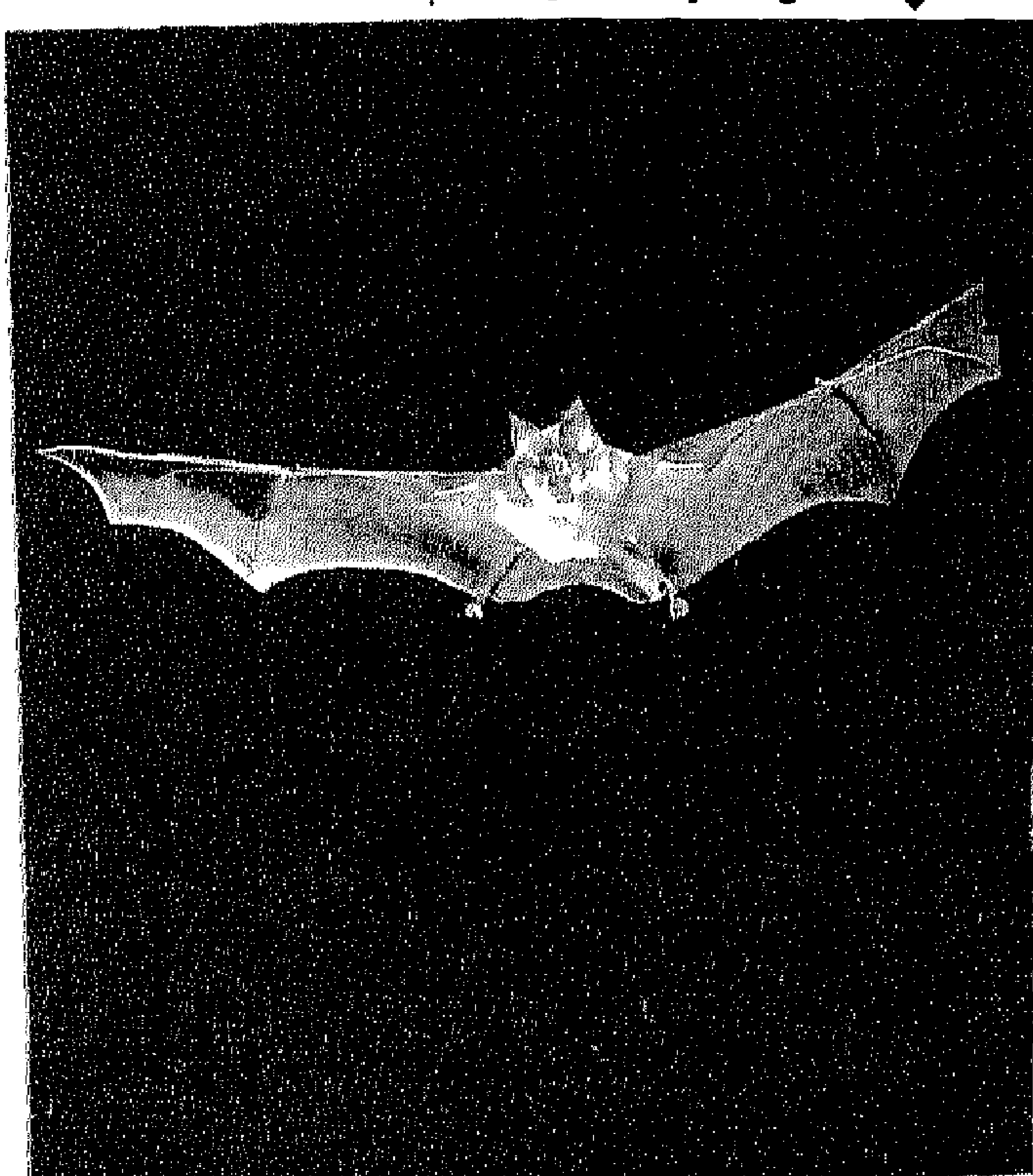
أصغر من حصاة – قليل من الحيوانات أدخل التراث الشعبي. ولكن في الشرق الاقصى يعتبر الخفاش جالباً للحظ ويبشر بالصحة والسعادة وطول العمر. وقد عاش بعض الخفافيش ٣٠ سنة. ومع ذلك يخاف الناس الخفاش في مناطق كثيرة، لانه مخلوق لا يظهر الا في حلكة الليل. والناس يربطون بينه وبين اللامعقول. واذا وضع أحدهم عين خفاش في جيب سترتك فذلك، في زعمهم، يجعلك غير مرئي. والخفاش المصاص الدماء في قصة "دراكولا" المرعبة التي كتبها برام ستوكر وانتجت فيلماً سينمائياً جعل الالوف من البشر يترددون في اطفاء أنوارهم ليلا.

وعلماء الاحياء الذين تخصصوا بالثدييات يدافعون عن الخفافيش بحماسة. يقول مايكل طومسون: "جميع مخاوف الناس من الخفافيش لا أساس لها من الصحة. "هناك فعلا ثلاثة أجناس من الخفافيش المصاصة الدماء، وهي تكاد تكون محصورة في أمريكا الاستوائية. ونادراً ما تهاجم الانسان. أما القصص الزاعمة أن الخفاش يعلق بشعر النساء، فقد قرر ايرل كامبروك أن يدحضها نهائياً عام ١٩٥٩. فجمع أربعة خفافيش من أجناس مختلفة وأفلتها في شعور ثلاث متطوعات جسورات. لكن



▲ مستعمرة الخفافيش الطويلة الآذان.

▼ خفاش "حدوة الحصان"، سمي كذلك لشكل خطمه.



Photos: (Top) Mike Leach, All Natural History photographic Agency.
(Bottom) Stephen Dalton

الخفافيش طارت باباء حرة في الفضاء.

ويقول الدكتور ستيبنغز: "الخفافيش حيوانات ذكية واجتماعية. ولها فراء ناعم يغطي جسمها. وهي تنظف نفسها يومياً مثل القطط. انها أمّات مخلصات. ومعظم الخفافيش يتزاوج في الخريف او بداية الشتاء. وهي تملك قدرة نادرة على تأخير الاخصاب مما يساعد الانثى على تغذية النطفة في رحمها طوال فترة السبات الشتائي. وتقبع مجموعات الخفافيش طوال أيام الشتاء في جوف الاشجار أو الكهوف أو المصانع المهجورة أو أنفاق السكك الحديد. وتحشر نفسها في شقوق أو صدوع أو تتعلق بأصابع قائمتيها الخلفيتين وتتدلى مقلوبة. وذلك يحميها من الفيضانات والقوارض ويستدعي جهداً لا يستهلك سوى مقدار ضئيل من الطاقة.

ولا تستطيع أنثى الخفاش الاباضة قبل الربيع. وبعد تلقيح البيضة يدوم الحمل مدة تراوح بين ٦ و١٠ أسابيع. ومع نهاية يونيو (حزيران) تضع الاناث صغارها وتكون الذكور غادرت المكان. وتلد كل أنثى صغيراً واحداً يكون عرياناً وأعمى وقصير الجناحين، وربما كان أصغر من حصاة. وترضعه باستمرار ليل نهار وتلفه بحنان بأحد جناحيها وكأنه حرام صوفي. وهي عادة تعلقه عالياً في الوكر قبل خروجها في طيرانها الليلي لالتقاط الحشرات التي تأكلها لانتاج حليب غني يغذيه. واذا شعرت بخطر فانها تحمله وتطير به.

وينمو الخفاش الصغير بسرعة. فبعد أيام قليلة ينبت فراؤه ويفتح هو عينيه. ومن أسبوعه الثالث يستطيع الطيران. وفي الاسبوع الخامس يفطم الحليب نهائيا. وعندما يبلغ الشهر الثالث تتركه أمه فيصبح مستقلا.

ويقول الدكتور ستيبنغز وهو من مؤلفي كتيِّب "التركيز على الخفافيش": "ان وجود خفافيش في عليتك شرف مميز. فالخفافيش تنتقي سكناها بدقة، فهي تفضلها نظيفة وبعيدة عن مجاري الهواء. وتكره الغبار وخيوط العنكبوت. انها لا تبني أعشاشاً ولا تخرب المنازل، وترد حسن الضيافة بتنظيف البيت من الحشرات، خصوصاً تلك التي تنخر أعمدة الخشب في سقوف المنازل. وهي تدخل الغرف أحيانا، لكنها تكون خفافيش صغيرة لا تملك الخبرة الكافية في الطيران."

وأحياناً تدخل الخفافيش المنازل من دون ارادتها. ففي يونيو (حزيران) عادت قطتنا ذات مساء بأنثى خفاش أمسكتها في حديقة بيتنا. وهي كانت سليمة لم تؤذ. فنظرت اليّ بعينيها السوداوين محتجة على هذا الهجوم الوحشي بزعيق حاد. وحملتُ الخفاشة الضعيفة ولمست فراءها الكث اللماع وأعدتها الى الحديقة حيث رميتها في فضاء الليل الى الحرية.

فمن يستطيع ايذاء هذه السيدة الموهوبة؟

■ **جيري كامبريدج**

أقوى حجر في البناء هو أدنى حجر في الأساس.

جبران خليل جبران



لم يفقه أبي
لماذا اخترت مهنتي.
واليوم أدركت السبب

إبْن الجَزّار

كل عائلة تستمتع بنكاتها الخاصة. والنكتة في عائلتي ان والدي لا يعرف تماما كيف اكسب رزقي.

كان والدي جزاراً، كذلك والده وأعمامه وأخوته. وهو تزوج فتاة محاسبة في الملحمة (المجزرة) حيث كان يعمل. وكان أخوتها جميعهم جزارين. وعندما ولدت أقسمت والدتي أنها ستدعني أمتهن أي عمل أريد الا تجارة اللحم.

وفي طفولتي كنت ارسم طوال الوقت. وفي معظم الاحيان كنت أرسم طائرات مثل جميع الاطفال. وهذا جعل والدتي تقرر ادخالي مدرسة الفنون. وقبل ان اعي ما يحصل لي كنت اقطع كل صباح مسافة ساعة ونصف ساعة من منزلي في احدى ضواحي مدينة نيويورك الى ضاحية اخرى حيث تقع مدرسة الفنون والموسيقى.

وكان والدي يقدمني الى زبائنه قائلا:

"هذا ابني الفنان." وكنت أعمل معه في متجر اللحم كل يوم سبت من فترة دراستي الثانوية. ومن الطبيعي أن يعتقد أنني سأنضم اليه بعد تخرجي. لذلك صعق عندما أخبرته أنني حصلت على منحة لمتابعة تخصصي في مدرسة كوبر للفن في نيويورك، لأنه تحقق عندئذ من أنني جاد في امتهان الفن. وقال: "جزارون، بقالون، اسكافيون. هذه هي أبواب الرزق. والجزارون هم الافضل. لأن الناس يأكلون باستمرار. أما الفنانون فانهم يجوعون."

ولم يجدِ شرحي له أنني سأعمل في الفن التجاري وليس كرسام. ولم يفقه اختياري هذه المهنة. فالفنان في عرفه هو الفنان. والفن لا يطعم خبزاً.

وبعد عشر سنين باع والدي متجر اللحم وتقاعد. وكنت أعمل مديراً فنياً لمجلة "لايف" وقد تزوجت ورزقت طفلين وانتقلت الى منزلي الجديد في الضاحية. وزارنا والدي لرؤية المنزل، ولاحظت نظرة استغراب على وجهه لأنه لم يفهم كيف استطاع "الفنان" ان يقدم الكساء والطعام والمأوى الى عائلته.

كنت اعرف أنه فخور جداً بي، اذ سمعت رأيه من جيرانه الذين أخبروني أنه يباهي دائماً بابنه "الفنان الذي يرسم لمجلة لايف." وكان والدي يشتري المجلة أسبوعياً ويتصل بي ليسألني: "ماذا رسمت للمجلة هذا الاسبوع؟" وأشرح له أنني لم أرسم أي شيء، بل انني اصمم الصفحات واضع الصور في أماكنها. وأسمعه يتمتم وكأنني في نظره اتقاضى مالا في مقابل خدع كاذبة، ولا بد من أن يفتضح أمري في نهاية المطاف.

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٢ توقفت مجلة "لايف" عن الصدور. وكنت في منزلي أستمع الى مذيع النشرة الاخبارية يعلن توقف المجلة حين رنّ جرس الهاتف وعرفت أنه والدي. وبعد حديث قصير سمعت رأيه: "لو كنت جزاراً لما كنت عاطلا عن العمل الآن." وهو حاول جهده كي يقول رأيه بلطف، لكنني كنت أعرف مراده وشعرت بحبي له أكثر وفرحت لسماعي رأيه لأن ذلك يعني أنني ما زلت بخير. وسألني: "هل تذكر كيف يقطع اللحم؟"

- نعم يا أبي.

"الناس يأكلون باستمرار كما تعرف."

وأمضيت السنوات الاثنتي عشرة الماضية أعمل مديراً فنياً لدار نشر. وكل شهر يتسلم والدي بالبريد نحو عشرين كتاباً تنشرها الدار. وهو يتصل بي هاتفياً ليقول انه معجب جداً برسومي على الغلافات. ولم أعد أشرح له أنني أصمم الغلافات فقط بينما يتولى آخرون رسمها، بل أشكر له مديحه أعمالا لم أنجزها.

وتكررت نكتة العائلة قبل أسابيع قليلة في بيتي. فقد اتصل ابني (٢٨ عاماً) من لوس أنجلس حيث يعمل مكتشفاً للمواهب في شركة كبيرة. وكان تلقى عرضاً سخياً من مؤسسة منافسة وطلب رأيي في قبوله الوظيفة الجديدة. قلت له: "افعل ما تراه مناسباً لمستقبلك المهني." لكنني تحققت من أنني لا أعرف الكثير عن عمله كي أقدم اليه النصح.

وتذكرت اتصاله بي من الجامعة قبل ثماني سنوات حين أخبرني انه يريد أن ينخرط في عالم التمثيل. وتمتمت الكلام

المعتاد: "انها حياتك والقرار قرارك." لكنني بعد اقفال الخط التفت الى زوجتي وقلت لها: "التمثيل؟ كيف سيكسب رزقه؟ لماذا لم ينتقِ الطب أو المحاماة أو الهندسة؟"

وأجابت زوجتي: "أو ربما تجارة اللحم. فالناس يأكلون باستمرار."

لا بد أن ابني اتخذ القرار الصحيح، لأنني عندما زرته في مكتبه شعرت بأهميته. كانت سكرتيرته تقاطع جلستنا لتسأله عما اذا كان يريد أن يرد على مكالمة هاتفية من فلان أو سواه. وكانت تذكر أسماء رنانة يعرفها الجميع. وظننت لبعض الوقت أن ابني الصغير يحاول خداعي وأن سكرتيرته تصطنع الامور للتأثير فيّ. ورمقني هو بعدما شاهد على وجهي نظرة تساؤل اعتدت رؤيتها على وجه أبي. يبدو ان الآباء لا يفقهون طبيعة عمل أبنائهم ما لم يمارس هؤلاء أعمال آبائهم.

ان الحب العميق المداني للألم يجعل الرجل خائفاً على مستقبل أبنائه. فكيف يمكن هذا الولد الذي لم يكن يحسن ربط شريط حذائه أن يؤتمن على أي عمل؟

ويوماً ما سيخبر حفيدي والده ماذا سيعمل ليكسب رزقه. وسيتصل ابني بي لينقل الي الخبر، وسأقول: "انصحه بأن يعمل جزاراً. فالناس يأكلون باستمرار."

للمناسبة، لم يعد والدي يقول: "ابني الفنان." بل أصبح يقول: "حفيدي مكتشف المواهب." وهو مشترك الآن في مجلة أسبوعية تغطي أخبار السينما والمسرح وأهل الفن.

■ جين لايت

سيرة اسكافي

بعد انتقالي الى العاصمة الامريكية واشنطن مررت يوماً أمام محلّ صغير لتصليح الاحذية كُتب على مدخله: "نصلح أحذيتكم وأنتم تنتظرون."

وأعطيت حذائي للاسكافي في الداخل، وسألته كيف باشر تلك المصلحة. ولم ينقطع عن الكلام طوال نصف الساعة التالي وهو يخبرني قصته منذ البداية، في محل والده في ايطاليا.

ولما انتهى وسألته عن المبلغ المستحق رفض أن يتقاضى شيئاً وقال: "لقد أدخلت البهجة الى قلبي يا سيدتي. فمعظم الزبائن يسألونني عن عملي، لكنهم يقاطعونني ليرووا سيرة حياتهم. أما اليوم فقد جاء من يصغي الى سيرتي انا المتواضعة."

ب.م.

ليس على وجه الارض نقطتان تبعد احداهما عن الاخرى بعد اليوم عن أمس.

ر.ن.



لا تذكر ترايسي لاي جيفري، وقد بلغت الثانية عشرة، يوماً خلت فيه حياتها من المراكب وأحاديث البحر. لقد أمضى والدها ليز (٣٧ عاماً) وهو الرياضي المديد القامة الذي يعمل اطفائياً في المطار، ثماني سنوات في الاعداد لرحلة طويلة مع عائلته عبر المحيط.


وكانت ترايسي وأمها فرجينيا (٣٧ عاما) وشقيقها الاكبر دارن، وهو تلميذ مجتهد ذو خمسة عشر ربيعا، بذلوا وسعهم في بناء يخت (١) استعداداً للمغامرة الكبرى. وباع آل جيفري منزلهم لتمويل المشروع، وأقاموا في بيت متنقل على عجلات ريثما يصبح في امكانهم أن يعيشوا على متن اليخت بعد تزويده التجهيزات النهائية. وتلقوا لذلك دروساً في الابحار والملاحة، فيما عمل ليز من دون كلل ملاحاً في يخوت أخرى ليكسب الخبرة اللازمة.

اليوم الأحد الموافق ٣ مايو (أيار) ١٩٨١. ريح خفيفة صالحة للابحار تداعب حبال أشرعة اليخت "جيدا" الذي يبلغ طوله ١٤،٣ متراً فيما كان ليز جيفري يدفعه من مرساه في جنوب ملبورن الى خليج بورت فيليب الذي تغمره أشعة الشمس الصافية. لقد حصل ليز على اجازة من عمله، وانضم صديقه الحميم ستيوارت غرينو، وهو رجل عملي مرح في الحادية والثلاثين، الى الطاقم المقتصر على آل جيفري في رحلة لاستكشاف الساحل الشرقي لاوستراليا من فيكتوريا الى كوينزلاند.

---

(١) سفينة مخصصة للمتعة أو السباق.

Illustration: Phil Belbin, Illustrator


"تذكر، تذكر!" هكذا صرخت البنت الصغيرة
في ظلمة اللجة وهي تبحث في ماضيها
عن الذكريات المشتركة التي تبقي
أباها واعياً

ومضت الايام الخمسة الاولى بسلام بعد مغادرة ملبورن. ولكن في ليلة الثامن من مايو (أيار) حين كانت "جيدا" تمخر العباب مبحرة من خليج ريفيوج الى ايدن، التقط ليز انذاراً اذاعياً يتوقع هبوب ريح بسرعة ٤٠ عقدة (٢) صباح اليوم التالي. وكانت "جيدا" صمدت أثناء التجارب وسط ريح بتلك السرعة وأمواج بلغ علوها أربعة أمتار، لذا لم يشغل الامر بال ليز كثيراً. واتخذ سبيله قاصداً جزيرة غابو، وكانت أقرب ملجأ. وحتى ان لم يبلغ الجزيرة قبل العاصفة فهو كان موقناً أن يخته يستطيع النجاة.

ولكن بحلول عصر اليوم التالي تلبدت السحب في الجنوب الغربي وسودت صفحة السماء. ولبرهة وجيزة خمدت الريح في سكون مريب. ثم ضربت العاصفة عنيفاً. وأخذت الامواج تلطم ظهر اليخت وتخطت الابرة مقياس سرعة الرياح الذي يقيس السرعات حتى ٥٠ عقدة (٩٣ كيلومتراً في الساعة). وترجحت "جيدا" مترنحة وهي ترتج كلما أصابتها موجة عاتية.

الأمل الوحيد – نزل ليز الى أسفل وأبلغ زوجته وولديه أن يرتدوا سترات النجاة. وما لبثوا أن أصيبوا بدوار البحر. وغالبت فرجينيا الغثيان الذي انتابها، وحاولت جاهدة أن تبدو واثقة بنفسها. وكان ليز وستيوارت على متن اليخت يكافحان للتحكم بمساره وقد غشى بصرهما رشاش الماء فيما تعالى الصرير. فجأة، وكالنار تطلق من بندقية، انفجرت الاشرعة المبسوطة مزقاً. وللحال توقفت الدفة عن العمل. وأخذت "جيدا" تترجح والريح والامواج العاتية تتلاعب بها وتهدد بابتلاعها في ثوان.

وصاح ستيوارت: "ما العمل الآن؟" وهرع ليز الى أسفل لتخفيف سرعة المحرك الى حدودها الدنيا. ولوهلة استطاع الرجلان تثبيت اليخت في مكانه.

وتناوب ليز ستيوارت ادارة الدفة لساعة ونصف ساعة، وازدادا تعبا فيما اليخت يعتلي ذروة الموجة للحظة ثم يغطس الى قرارتها وكأنه على سكة مزلقة.

وقرابة الرابعة والنصف تفقد ليز عائلته وألقم المحرك آخر دفعة من الوقود. واذ بتمايل مفاجىء يقذف به الى باب يفضي الى قعر السفينة. وتلمس طريقه بجهد عائداً الى الدفة وألم ممض يفت صدره. ولم يدر ما أصابه آنذاك، لكن السقطة كسرت ضلعين من أضلاعه ومزّقت احدى رئتيه محدثة نزفاً داخلياً.

قارب علو الموج خمسة عشر متراً وبدأت الشكوك تخامر ليز في النجاة. وتناول جهاز الارسال وبث نداء استغاثة. وبعيد الخامسة والنصف حلقت طائرة استكشاف على علو منخفض فوق اليخت. وانساب عبر جهاز الارسال صوت الربان كيفين راسموس مطمئناً: "اتجه صوب بوينت هكس. وحاول أن تبقي الجميع هادئين." وأجرى ليز حساباً سريعاً. فمن دون أشرعة ومع نقص الوقود، من غير المؤكد أن تستطيع "جيدا" قطع مسافة ١٣ كيلومتراً الى بوينت هكس.

(٢) العقدة وحدة للسرعة تساوي ميلا بحرياً واحداً في الساعة، والميل البحري يساوي ١٨٥٢ متراً.

وبعد خمس عشرة دقيقة لاح من خلال الظلام شعاع مؤاس من منارة بوينت هكس. وبقبق المحرك وتوقف، فأخذ ليز يلعن حظه. لقد نفد الوقود. وألقى المرساتين محاولا ابقاء اليخت في موضعه، فلم تعلق أي منهما بقعر. انهم باتوا جميعاً تحت رحمة البحر.

وأخبرهم راسموس أن طوافة تتجه نحوهم وستحاول انقاذهم باستعمال الونش (رافعة آلية). قال: "عليك أن تكسر الصاري، لأنه اذا بقي مترجحاً هكذا فلن تقترب الطوافة ابداً." وفكر ليز ملياً: ماذا لو لم تنتشلهم الطوافة؟ عندئذ يكون الشراع البديل المتدلي من الصاري أملهم الوحيد. ثم ان على الصاري هوائي جهاز الارسال وهو صلتهم الوحيدة بالمنقذين. وقرر ليز وقد بللته المياه الا ينزل الصاري، فالمجازفة في ظنه كبيرة.

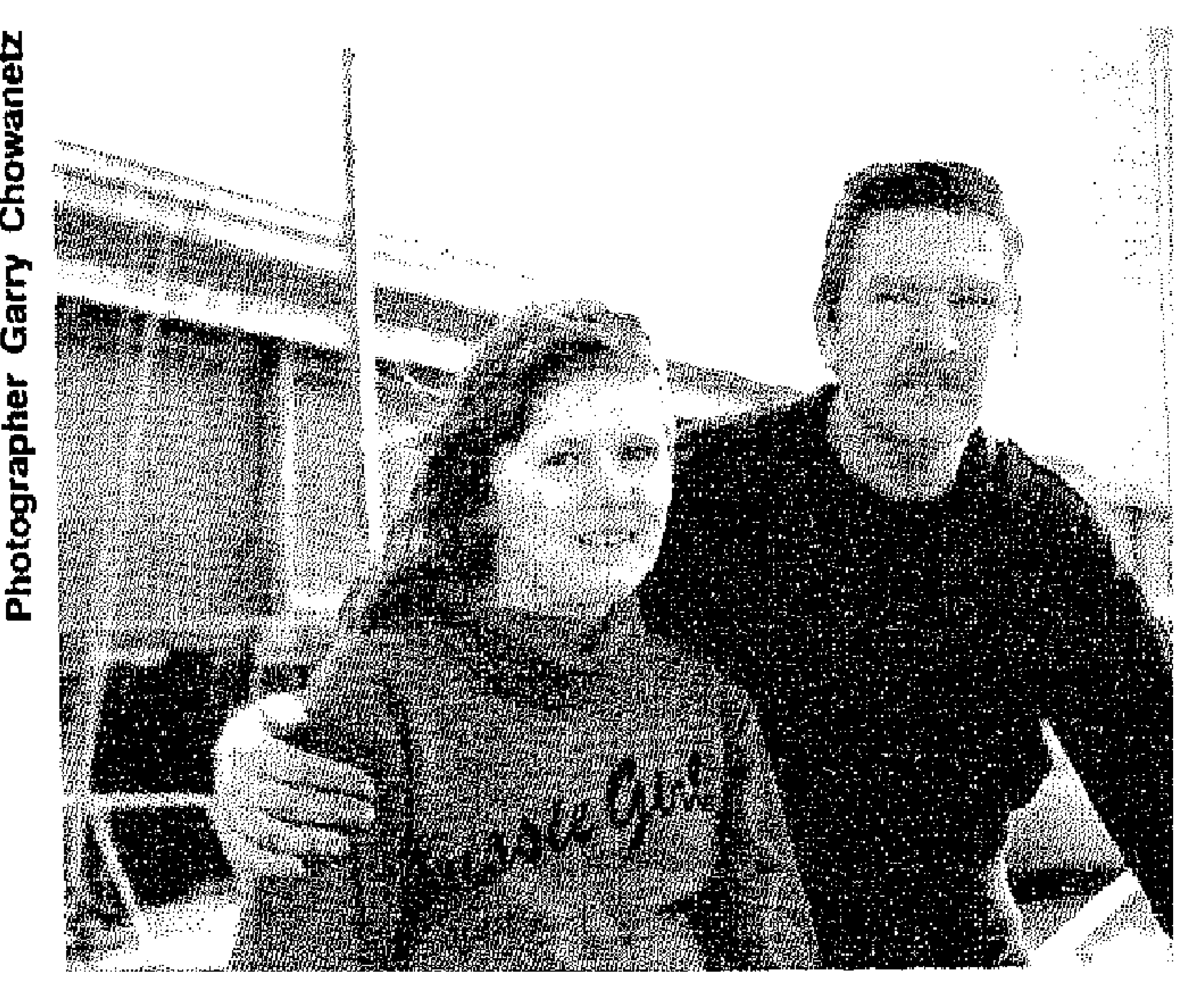
ووصلت الطوافة. ومع أنها لم تستطع التحليق فوق السفينة فانها ألقت برميل وقود سعته ٢٠٠ ليتر. وحاول ليز وستيوارت أن يمسكا بالبرميل لكنه توارى عن الانظار. وهبت العاصفة في جنون جديد وهي تسوق اليخت نحو عرض البحر. واضطر ربان طائرة الاستكشاف وقد تضاءل وقوده الى الرحيل. وخيّم الظلام فيما غادرت الطوافة المكان أيضاً بعدما عجزت عن المساعدة.

وحملت الريح اليخت الى عرض البحر. وأرسل ليز نداءات استغاثة أخرى. وأجاب المتطوعون في مالاكوتا بولاية فيكتوريا على بعد ٦٠ كيلومتراً الى الشمال انهم ينظمون حملة انقاذ تنطلق مع أول شعاع من نور الفجر. وكانت الساعة لا تزال التاسعة والنصف مساء. وتساءل ليز: هل تقوى "جيدا" على البقاء حتى الفجر؟

فوات الأوان – بعيد منتصف الليل صعد ليز الى ظهر اليخت متفحصاً الاضرار. وكان الشراع الرئيسي ممزقاً بعدما قاوم الامواج. واذ حرر الاشرعة بضربة سكين صدم لما رآه: كان عمود مقدم اليخت، وهو سارية من فولاذ يبلغ طولها ٣٤٠ سنتيمتراً ووزنها ٣٦٠ كيلوغراماً، معلقاً بمزلاج واحد فقط. وكالمطرقة كان العمود يهدد بحفر ثقب في بدن "جيدا" الاسمنتي. وزحف ليز الى الركن وصاح مخاطباً ستيوارت: "اذا ضرب العمود ضربته فعلينا أن نهجر اليخت." وبسرعة أذاع ليز الاخبار الى مالاكوتا. وجاء الرد: "ان زورق قطر عابرا للمحيطات ينطلق نحوكم، لكن وصوله قد يستغرق خمس ساعات." وزعق ليز في المذياع: "لا أعتقد أن لدينا أكثر من خمس دقائق." وجاءته رسالة أخرى: ثمة ناقلة نفط على بعد ساعة فقط تسرع في اتجاههم. انه بصيص من الامل هزيل، ولكن يمكن التشبث به. وصاح ليز منادياً فرجينيا: "سننجو باذن الله."

وكوسيلة للنجاة عند هجر السفينة قرر ليز وستيوارت ان يطوق الجميع انفسهم بحبل تكون فرجينيا والولدان في وسطه على تباعد مترين وكل من الرجلين على احد طرفيه بحيث يكون ترتيبهم هكذا: ليز تليه فرجينيا ثم ترايسي ودارن يليهما ستيوارت.

واذ امتطى اليخت ذروة موجة رأى ركابه أنوار الناقلة "آرثر فيليب" التي



ترايسي لاي ووالدها ليز جيفري: رباطة جأشها في الملمات أنقذت حياته.

تزن ٣٧ ألف طن. وأخذت الناقلة تتباطأ وخفت سرعة محركاتها ودنت من اليخت ثم ألقي سلم حبال على جانبها.

وراح اليخت ينخع بجنون قرب الناقلة. وعانقت فرجينيا ولديها ثم صعدت وليز الخطوات الاولى على السلم المتدلية من الناقلة. وتشبثا متقلقلين ريثما يتبعهما الآخرون.

وفي الاسفل وقفت ترايسي لاي على استعداد للحاق بأمها على السلم. ثم ابتعدت السفينتان على نحو مفاجيء وغطست ترايسي لاي في لجة البحر وهي تجر أمها. واذ كان دارن وستيوارت لا يزالان مربوطين اليهما فقد حاولا أن يسحباهما الى اليخت. ووقف ليز يرقب المنظر مرتعباً وهو يقبض باحكام على السلم فيما زوجته وابنته تصطدمان مرة بعد مرة بجانب الناقلة. وصاح: "يا الله، انهما تنسحقان." واذ لم يعد يقوى على التشبث سقط هو أيضاً في البحر. وحين طفا رأى دارن وستيوارت لا يزالان يجاهدان لجذب ترايسي الى ظهر السفينة. لكن التيار ما لبث أن جرف الثلاثة في القناة الضيقة بين السفينتين، فجذبوا ستيوارت ودارن معهم الى الماء.

انهم الآن قريبون من مؤخر الناقلة. وأمسك دارن قطعة خشب محاولا ان يهدىء روع أمه: "سنكون بخير يا أماه، سنكون بخير."

ثم عاين ستيوارت المتألم من قدمه المسحوقة، وسبح فأضحى قريباً من ترايسي لاي كي يطمئنها. لكن الفتاة التي لم تعرف الحياة من دون مراكب أو بحر كانت هادئة تلاعب المياه الى جانب أبيها وهي واثقة بأنهم سينجون عما قريب.

وقاربت الساعة الاولى والنصف بعد منتصف الليل فيما الجميع ينساقون بعيداً عن الناقلة. وراح ليز يفتش جيوبه بحثاً عن علبة ثقاب مانعة للماء، فيشعل العيدان ليتبين الجمع مكانهم في الظلمة الداجية. وكانت الناقلة تتحرك ببطء وقد أنزل منها طوف نجاة. لكن الاوان فات. فقبل أن يبلغ الخمسة الطوف فاجأهم التيار وأخذ يجرهم تحت السفينة.

الساعات البطيئة – اندفعت ترايسي لاي تحت سطح الماء والحبال تربطها الى أبيها والآخرين. وأطبقت شفتيها وهي تدافع حافزاً لا يقاوم على التنفس وعيناها مغمضتان باحكام. وأحست أنها تدور في دوامة هائلة وهي تصطدم بجسم الناقلة الاملس ثم ترتد عنه. واكتنفها

الاخضر الباهت. وراح رأسها يدور وألم مبرح يغل في صدرها ورئتاها على وشك الانفجار.

فجأة انبثق رأسها من بين الامواج على الجانب الآخر من الناقلة، فشهقت متلهفة الى الهواء. وكانت سترة النجاة اختفت. ثم رأت أمها طافية ورأسها الى أسفل فأخبرت أباها ببساطة وهو يترجج في مكان قريب: "أمي ماتت." ولم تدر ما تقول غير ذلك. ثم دنت وتشبثت بسترة أمها.

تلقى ليز الخبر آليا وهو يكاد لا يعي ما حوله. ولم ير أثراً لابنه وصديقه، فهما أفلتا من الحبل. وفي العتمة رأت ترايسي لاي الناقلة تبتعد.

ثم رأت أباها يغيب عن الوعي، فصاحت به مدركة أن عليها أن تبقيه متيقظاً: "انتبه! لا يجوز أن تنام." وأخذت تبحث في ذاكرة حياتها القصيرة عن كل لحظة خلاف أو دعابة تقاسمتها مع والدها. قالت: "أتتذكر كيف أنك لم تسمح لنا بالخروج الى الردهة لنلعب بالكرة؟ حسناً، كنا نذهب الى هناك خفية كل يوم." وغمغم الاب. "وحينما تظاهرتما أنت وستيوارت بالعراك لتضحكانا، لم تكن لتحني رأسك اتقاء للضربة، والرعاف السائل من أنفك أضحكنا ملء قلوبنا."

ومضت الساعات بطيئة وهما يصعدان ويهبطان مع الامواج، تارة على أعلى الموجة وأخرى في قرارتها. وكانت ترايسي لاي تزداد رشداً وتكبر بسرعة. قالت كاذبة: "أظنني أسمع صوت مركب." ورفعت رأسها: "هناك أشخاص يبحثون عنا. نحن ناجون بلا شك." وتابعت: "أنظرا ها هو الشاطىء. في وسعنا أن نسبح حتى نبلغه." وأدرك ليز أن ذلك مستحيل. لكن هذر ترايسي لاي حقق غايته اذ أبقاه صاحياً.

انبلج الفجر رمادياً فيما هما يتمايلان في موضعهما والحبل يصل بينهما. بنت صغيرة ورجل في نصف اغماءة وجثة امرأة. وراقبت ترايسي لاي الطوافة وهي تعود. وألقي طوف نجاة انتفخ حين لامس سطح الماء. وتمسكت به هي ووالدها غير قادرين على التسلق اليه من فرط التعب. وغطس مساعد الربان في البحر وسبح الى الطوف قائلا: "حسناً، ستكونان على ظهر السفينة في وقت قريب. وبعد ذلك انتشل المنقذون جثتي دارن وستيوارت. وحاولوا انقاذ اليخت لكن الريح عصفت فتحطمت سلسلة القطر وابتعد اليخت مستسلما للبحر المترامي الاطراف.

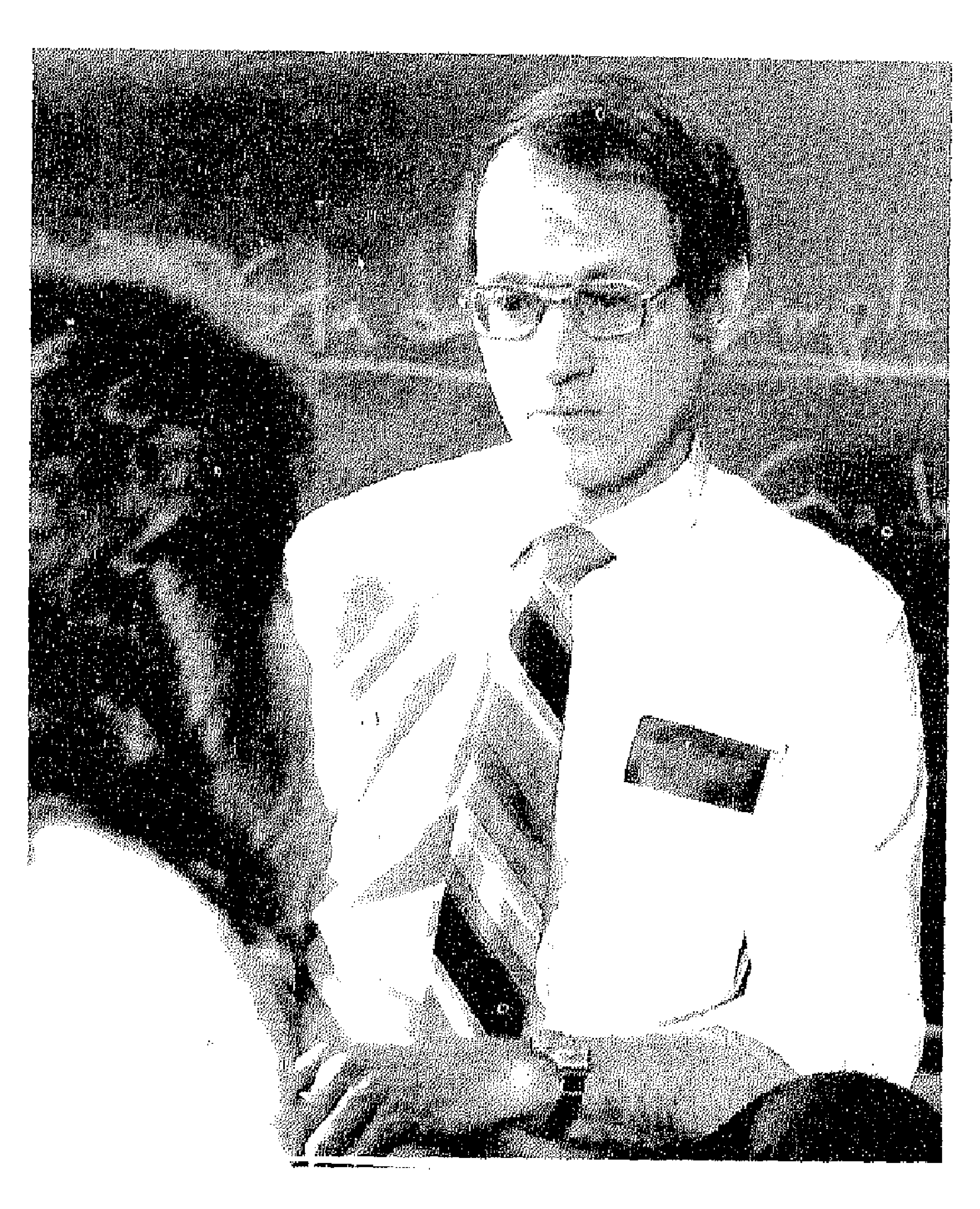
ومنحت الجمعية الانسانية الملكية في أوستراليا ترايسي لاي ميداليتها البرونزية للشجاعة عام ١٩٨١. وقال المسؤول كولن بانستر: "ان شجاعتها في الملمات مثال رائع لصفاء تفكير الاحداث وجرأتهم."

واليوم تعيش ترايسي لاي ووالدها في مركب في ملبورن، وهما منهمكان في الاعداد لحياة جديدة. ان قلة من الناس يربطها ما يربط هذه الفتاة ووالدها من وثاق متين. وقد تزوج ليز ثانية، وها هو يرنو الى ابنته بحب مشدوها بالروح القوية التي دفعتها الى انقاذه. ويناجي نفسه: "أيتها الصغيرة، اني لاتساءل: هل تعرفين حقاً أني مدين لك بحياتي؟"

■ كريس بريتشارد

قُمْ للمُعلّم

معظمنا أصاب النجاح لأنه وجد معلماً ناصحاً حينما احتاج اليه



لماذا تدرّس؟ وجه الي صديق هذا السؤال حين أخبرته أني رفضت نقلي الى منصب اداري في المدرسة. وقد أذهله رفضي ما كان واضحاً أنه خطوة الى أعلى، الى المال والسلطة.

أنا بالتأكيد لا أدرس لأن التدريس أسهل عليّ، فهو أشق المهن التي جرّبتها لتحصيل قوتي. فأنا عملت ميكانيكياً لآلات الحفر ونجاراً وكاتباً وادارياً في جامعة. وبالنسبة الي التدريس مهنة متعبة للنظر ومجهدة للاعصاب ومثبطة للعزيمة. متعبة للنظر لأني مهما سهرت لتحضير درس اليوم التالي لا أشعر أني أصبحت مهيأ لالقائه. ومجهدة للاعصاب لأني أكون دائماً مشدوداً ومتوتراً حين أدخل غرفة الصف وفي احساس جازم بأن الطلاب سيكتشفون كم انا غبي. ومثبطة للعزيمة لأني حين أخرج من الصف بعد انقضاء الساعة أحس أني كنت مضجراً أكثر من العادة.

أنا لا أدرّس لاعتقادي أن عندي الاجوبة عن كل الاسئلة، أو أن لدي المعلومات التي أشعر بدافع الى تقاسمها مع

Condensed from Alumni Magazine Consortium (November '84), © 1984 by Johns Hopkins University, Baltimore, Md. Photo: Bernhard J. Suess

الطلاب. ويدهشني أحياناً أن تلاميذي يدوّنون بعض الملاحظات عما أقوله في الصف.

لماذا ادرّس اذاً؟

أدرس لأني أهوى وتيرة العمل المدرسي. فأشهر العطلة الصيفية توفر لي فرصة مزج التفكير بالبحث والكتابة. وهذه هي العناصر الاساسية للوصفة التي اعتمدها في التدريس.

أدرس لأن التدريس مهنة تقوم على التغيير. وحتى ان ظلّت المواد هي نفسها فأنا أتغيّر. وأهم من ذلك أن تلاميذي يتغيرون.

أدرس لأني أهوى الحرية في ارتكاب أخطائي الخاصة وتعلّم دروسي منها واثارة نفسي وتلاميذي.

وكمدرّس، أنا سيّد نفسي. اذا شئت أن أجعل تلاميذي يؤلفون الكتب التي سيدرسون فيها، فمن يمنعني؟ مثل هذه الكتب قد تؤدي الى اخفاق ذريع، لكننا جميعاً نستطيع أن نتعلّم من اخفاقاتنا.

أدرس لأني أحب طرح الاسئلة التي يجهد الطلاب أنفسهم للاجابة عنها.

أدرّس لأني أريد أن أتعلّم. وحياتي الحقيقية كمعلم تستمر ما دمت أتعلّم. ومن أهم مكتشفاتي المهنية أني أدرّس على أفضل وجه ليس ما أعرفه بل ما أريد أن أتعلمه.

أدرّس لأني أستمتع باكتشاف طرق داخل مهنة "البرج العاجي" لكي أخرج أنا وأخرج تلاميذي من هذا البرج الى عالم الواقع. درّست ذات يوم برنامجاً بعنوان "الاعتماد على النفس في المجتمع التقني." وقرأ تلاميذي الخمسة عشر ما كتبه امرسون وثورو وهاكسلي. واحتفظوا بمذكرات يومية. وطالعوا صحفاً كثيرة. وكتبوا أبحاثاً.

لكننا أسسنا شركة أيضاً واقترضنا مالا من أحد المصارف واشترينا بيتاً متداعياً ومارسنا الاعتماد على النفس في ترميمه. وفي نهاية الفصل الدراسي بعنا البيت وسدّدنا القرض ودفعنا الضرائب ووزعنا الارباح على أعضاء الفريق.

طبعاً ليس هذا برنامجك التقليدي لتعليم اللغة الانكليزية. لكن ١٥ شخصاً سيكونون في المستقبل محامين ومحاسبين ورجال أعمال وجدوا أنفسهم يقرأون كتاب "والدن" للأمريكي هنري ديفيد ثورو بادراك جديد. عرفوا لماذا ذهب الى الغابات وكيف بنى كوخه ولماذا ابتهج بتجربته التي اراد أن يخبر الناس بها. كما عرفوا لماذا غادر الغابات في نهاية المطاف. انه تذوّق مياه بركة "والدن" وحان الوقت لينتقل الى مصادر أخرى للرحيق.

أدرس لأن التدريس يمنحني النهج والتنوع والتحدي والفرصة للاستمرار في التعلّم.

غير أني أغفلت أهم الاسباب التي تجعلني أدرّس.

من هذه الاسباب فيكي، تلميذتي الاولى التي تخرجت بدرجة دكتوراه. وهي كانت شابة ونشيطة. وقد عجزت عن تخطي الاثارة التي نجدها في الادب لمواجهة قسوة الدراسة العليا. بيد أنها أجهدت نفسها في وضع رسالتها (اطروحتها) عن شاعر شبه مغمور عاش في القرن الرابع عشر. وكتبت بكثير من

العناء مجموعة مقالات وأرسلتها الى المجلات الأدبية. فعلت كل ذلك بمفردها مع مساعدة بسيطة مني بين حين وآخر. لكني كنت بقربها حين أنهت رسالتها وبلغني أن مقالاتها قبلت للنشر. فحصلت على وظيفة ونالت منحة مالية من جامعة هارفرد لتؤلف كتاباً يطوّر أفكاراً أفرخت في ذهنها وهي تتتلمذ عليّ.

والسبب الثاني هو جورج، أحد أنبه الطلاب الذين علّمتهم أبداً. بدأ كطالب هندسة ثم تحول الى اللغة الانكليزية بعدما أدرك أنه يحب الناس أكثر مما يحب الاشياء. وتابع الدراسة حتى نال درجة ماجستير. وهو الآن يدرّس اللغة الانكليزية للصفوف الثانوية.

وهناك جين التي فرّت من المدرسة فأرجعها زملاؤها لأنهم رغبوا في أن ترى معهم نهاية مشروع "بيت الاعتماد على النفس". وهي اخبرتني لاحقاً أنها مهتمة بالفقراء الذين يعيشون في المدينة. وهكذا ذهبت لتصبح محامية تطالب بالحقوق المدنية.

ثم هناك جاكي عاملة التنظيفات التي تعرف بالحدس أكثر مما يتعلّم معظمنا بالتحليل العلمي. وهي قررت انهاء دراستها الثانوية ودخول الجامعة.

هذه هي الأسباب الحقيقية التي تدفعني الى التدريس. انها هؤلاء الناس الذين يكبرون ويتغيّرون أمام عينيّ. فبصفتي مدرساً أجدني حاضراً في لحظة بدايتهم. وهل في الوجود ما هو أكثر اثارة من أن تكون في جوار ذلك الكائن عندما تدب فيه نسمة الحياة؟

ان "ترقيتي" التي تخرجني من التدريس تسبغ عليّ المال والسلطة. لكني أملك المال فأنا أتلقى أجراً على عملي الذي أجد فيه أكبر متعة، وهو قراءة الكتب والتحدّث الى الناس وتحقيق الاكتشافات وطرح أسئلة مثل "ما أهمية أن تكون ثرّياً؟"

كذلك عندي السلطة. فلي سلطة التوجيه والنفخ في الجذوة لتتقد وطرح الاسئلة العسيرة والثناء على محاولة الاجابة عنها وادانة الاختباء خوفاً من مواجهة الحقيقة واقتراح الكتب التي ترشد الى سواء السبيل. وأي سلطة أخرى تؤدي هذه الغايات؟

بيد أن التدريس يوفر شيئاً آخر الى جانب المال والسلطة. انه يوفر المحبة. وليس فقط محبة العلم والكتب والافكار، ولكن أيضاً محبة ما يحسه المدرّس تجاه التلميذ النادر الذي يدخل حياته ثم يبدأ تنفس نسمة الحياة. وقد تكون كلمة "محبة" غير مناسبة وكلمة "سحر" أفضل منها في هذا المقام.

أنا أدرس لأني، في وجودي قرب هؤلاء الناس حين تدب فيهم نسمة الحياة، أجدني أحياناً أتنفّس هذه النسمة معهم.

■ **بيتر بيدلر**

الكاتب استاذ اللغة الانكليزية في جامعة ليهاي بولاية بنسلفانيا. اختاره المجلس الأمريكي لتقدم التعليم كأفضل مدّرس للعام ١٩٨٣.

النزول عن منصة الانتصار أصعب كثيراً من ارتقائها.

صحيفة "ال تمبو"، روما

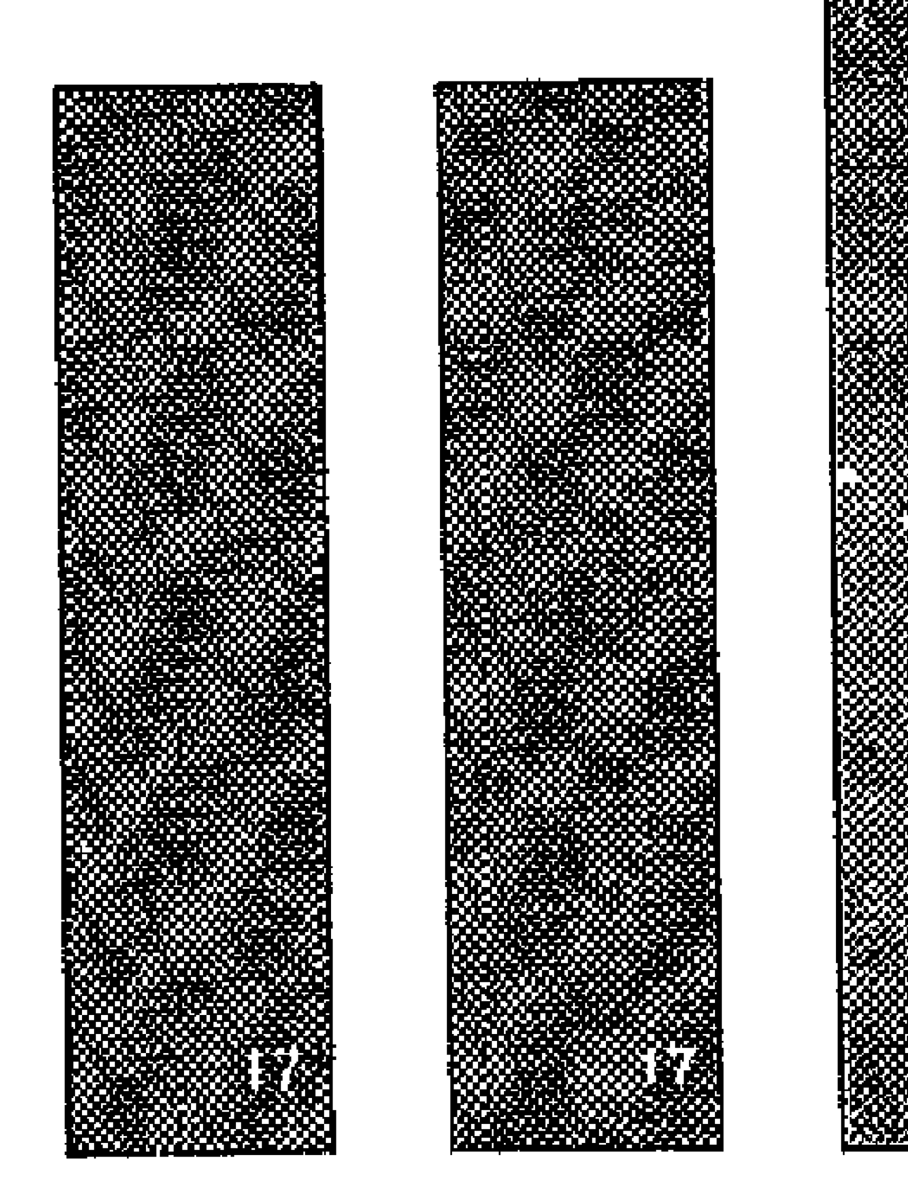
'The Sky is Our Limit

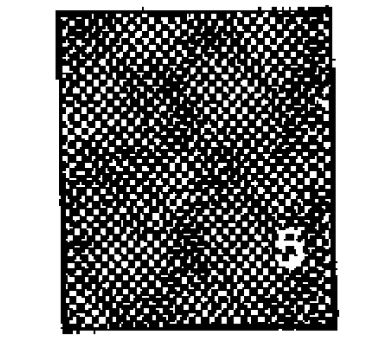


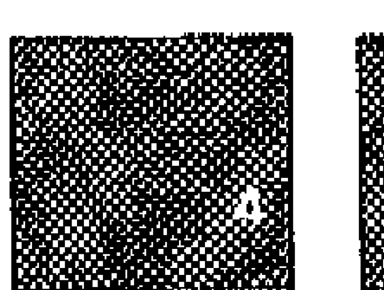
WE LEAD.

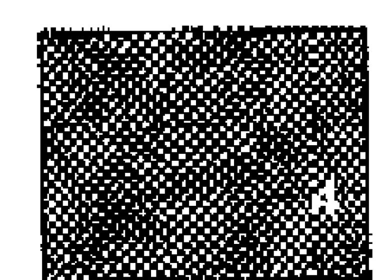
AND BY FAR

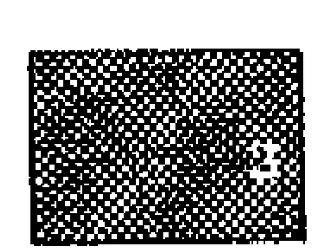
% OF TOTAL NEWSWEEKLY MAGAZINES SALES IN GREATER BEIRUT
EXTRACT OF A BOOKSHOPS SURVEY CONDUCTED BY C.E.P.
IN SEPTEMBER 198
SPONSORED BY LES EDITIONS ORIENTALES, LA REGIE LIBANAISE DE PUBLICITE,
H&C/LEO BURNETT, L'ORIENT-LE
STRATEGIES AND TAMAM

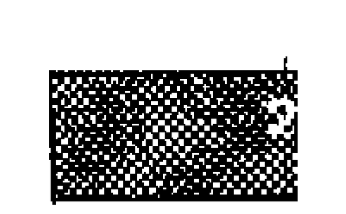


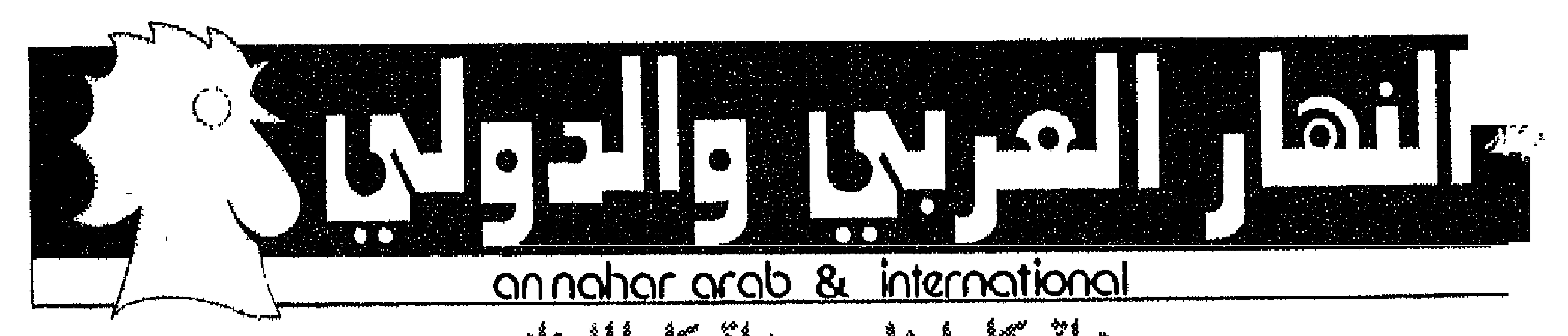












مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative TAMAM S.

ها هي خارجة من المقلاة لتذوب في فمك



الـزلابـيـة شمس على المائدة

داخل مطعم "لاغاليرن" في قرية كليدر بمقاطعة بريتاني الفرنسية، تصب مونيك لوستي العجين الرخو الممزوج بالحليب والمطيبات في "صاج" كبير مستدير الشكل. والى كل طاولة في المطعم جلس 'الزبائن يلتهمون قطع الزلابية (★) المقلية والناضجة بالكراميل أو بالشراب المثلج المشبّع بالليمون والموز والمحشوة بالجبن الازرق أو اللحم المهروس أو المربّى. وفي الوقت عينه يكرعون شراب التفاح من قوارير كبيرة بأسرع من أن تلبيهم النادلات اللاتي يهرعن جيئة وذهاباً. وفي فصل الصيف يقدّم مطعم لاغاليرن ألف قطعة زلابية يومياً طوال

(★) Pancakes

Illustration: Lisa Goldrick

سبعة أيام في الاسبوع ويوفر لزبائنه الاختيار بين ١٨٢ صنفاً من الحشوات.

وسكان مقاطعة بريتاني مولعون بالزلابية. فالمزارعون منهم يفتّونها في صحاف الفطور مع القهوة والحليب، والمتسوقون يلتهمونها وهم يتجولون في السوق، والسياح يقفون صفوفاً أمام الاكشاك التي تبيعها. ولا تتخلف بقية انحاء فرنسا عن هذا الركب كثيراً، ففي باريس وحدها نحو ألف مطعم متخصص بصنع الزلابية التي تسمى "كريب".

قدح وذم – لا يعرف أحد على وجه الدقة أين بدأ صنع هذه الزلابية ومتى. وهي قد تكون أقدم أشكال الخبز قبل اكتشاف الخميرة: دقيق معجون بالماء ومخبوز على حجار حامية. والزلابية تبرز في شكل او آخر في مآكل جميع الأمم. وتكون قطعها كبيرة أو صغيرة وسميكة أو رقيقة ومحشوة أو صرفاً. وهي تصنع من دقيق الذرة الخشن أو من الدقيق الابيض الناعم، وتحضر بأساليب متنوعة تذهل العقل.

في الهند تصنع زلابية صغيرة من دقيق الرز تدعى "آبام"، فتقدّم مشبعة بالسمن حتى "ليبقى منه على أصابعك ما يكفي لتلميع أثخن شاربين" بحسب القول المأثور. ويصنع المكسيكيون والكولومبيون زلابيتهم التي يدعونها "تورتيّا" من دقيق القمح أو الذرة ويحشونها بالفلفل الحار واللحم المهروس أو لحم الدجاج المطيّب بالافاويه. أما أهالي ويلز في بريطانيا فيدخلون دقيق الشوفان في اعداد عجين الزلابية، وفي فصل الشتاء يستعملون الثلج – ويا للغرابة – بدلا من البيض. ومن أوستراليا تأتينا زلابية وردية اللون بفعل الشمندر (البنجر) المسلوق والمهروس الذي يدخل في تحضيرها.

ومهما بدت لك زلابية شعب من الشعوب غريبة، فخير لك أن تحتفظ برأيك لنفسك. فحين قال دليل فرنسي في مدينة نيويورك ان الزلابية التي يقدّمها مطعم صيني هناك "لا تزيد على ثخانة أصبع" رفع عليه صاحب المطعم الحانق دعوى قدح وذم. ولكي يدعم دعواه أحضر الطاهي الذي يعمل لديه الى قاعة المحكمة ليشرح أسلوبه في صنع الزلابية الرقيقة. واقتنع المحلّفون بحجته وحكموا لصاحب المطعم بعشرين ألفاً وخمسة دولارات بدل عطل وضرر. وقد أحيلت الدعوى الآن على محكمة الاستئناف.

وعبر القرون اكتسبت الزلابية خصائص مميزة في أذهان بعض الناس. ففي بريطانيا يقولون انك اذا التهمت قطعة زلابية يوم الثلثاء الذي يسبق أربعاء الرماد رافقك الحظ الحسن بقية السنة (لكن عليك أن تأكلها قبل الثامنة صباحاً والا كان لها مفعول عكسي). وفي بلدة بري الشهيرة بجبنتها يقال انك اذا أطعمت دجاجاتك أول زلابية تصنع في ذلك اليوم فانها تبيض لك بيضاً وافراً. وفي يوم الشموع الذي يصادف الثاني من فبراير (شباط) في منطقة بروفانس الفرنسية يقال انك اذا أمسكت بقطعة نقود في يدك اليسرى وأنت تلتهم الزلابية الاولى، تصبح ثرياً.

وتسللت الزلابية الى كلام الناس

المتداول. فالفرنسي حين يتكلم عن رجل ضعيف الشخصية يقول: "انه ينقلب بسهولة كالزلابية." وقولك في أسوج (السويد) "انه زلابية" يعني أنه شخص بائس. وعندما يصف البافاريون (ألمانيا) شيئاً بالسخف يقولون انه "شمارن"، وهو اسم زلابية بسيطة تصنع من البيض والدقيق والملح.

تراث شعبي - أوسع أصناف الزلابية انتشاراً قد يكون "الكريب" الفرنسي. والكلمة مشتقة من اللاتينية وتعني "الملتوي" أو "المتموج". والزلابية الفرنسية الحلوة تصنع من الدقيق الابيض وترش بأي مطيبات تخطر في بالك، ومنها الصلصة والثمار، وتقدّم في أنحاء أوروبا. وحين تصنع بصلصة البرتقال وعصير الليمون توقد فتغدو ما يمكن اعتباره أشهى حلوى تؤخذ بعد الطعام في العالم كله وتدعى "كريب سوزيت". ويقال ان هذه الاكلة الفاخرة أعدت في باريس أول هذا القرن تكريماً للممثلة سوزان رايخنبرغ التي اشتهرت على المسرح باسم "سوزيت".

والزلابية الثقيلة الشهية المصنوعة من الحنطة السمراء ذات مذاق مدهش مع أي شيء، بدءاً بالسمك المقدّد والجبن الابيض والقريدس (الاربيان) وكبد الدجاج وانتهاء بالجبن الاخضر (الروكفور) والديك الرومي وقلوب الخرشوف (الارضي شوكي) والقنبيط. ولك أن تطلق لنفسك العنان فتأكل زلابية مدّبجة تفصل بين قطعها طبقات من ثمار البحر والأفوكادو والكريما الحامضة.

ومن أوروبا الشرقية خرج نوعان آخران من الزلابية وانتشرا في أرجاء العالم: البلنتز والبليني. وتحتفظ ربة البيت بوصفة خاصة لصنع البلنتز، فتلفّ العجين حول الجبن قبل قليه ثم تتوّجه بالثمار والمربى أو الكريما الحامضة. أما البليني الروسي المصنوع من الحنطة السمراء والخميرة فهو أصغر حجماً وأثخن وأكثر ملحاً من معظم أصناف الزلابية الاخرى، ويتوج بالسمك المقدد والبصل وسمك السلمون المدخن وحتى الكافيار. وهو طعام قوي يجعلك قادراً على تحمل الطقس القارس.

وفي الولايات المتحدة وكندا لا تزال الزلابية طعاماً تقليدياً منذ أيام استيطان براري الغرب، ولا غرو في أن تصبح جزءاً من التراث الشعبي. وفي القصص التي يرويها الحطابون الامريكيون في معسكرات قطع الاشجار يحلفون أن أضخم زلابية في العالم صنعها حطاب عملاق اسمه بول بونيان، ملأ ثماني جبّالات اسمنت بالعجين ليقري رجاله. وعمد طهاة ينتعلون رقاقات من اللحم المقدّد الى التزلج على صاج جبّار لطلائه بالشحم. وعندما دوى النفير تدفقت موجة عجين عارمة من الجبالات. وكان بعض الطهاة عاثري الحظ اذ طغت عليهم الموجة قبل أن يهربوا.

سباق الزلابية - قد يكون الاسكندينافيون في أوروبا أبطال التهام الزلابية. وتأكل عائلات أسوجية أكداساً من "البانكاكا" والزلابية الصغيرة المحشوة بالمربى كوجبة رئيسية مساء

كل خميس، خصوصاً في أشهر الشتاء. وهي عادة ترقى الى العصور الوسطى حين كان يوم الخميس يقع بين يومي قطاعة عن تناول الزفر. ويفضل الدانمركيون زلابيتهم محشوة بالفانيلا والشراب المثلج والزبيب والبرقوق والدرّاق المقطع، بينما يصنع النروجيون زلابيتهم أحياناً من العجين المحتوي على الحليب المختر والرز المسلوق. أما الفنلنديون فطعامهم المميز هو الزلابية المطلية بمربى التوت. وحتى في ايطاليا حيث معجنات "الباستا" هي السيدة المطلقة، أخذت الزلابية تكتسب شعبية منذ القرن الرابع عشر. والايطاليون يدعونها "كريسبيلي" أو "فريتاتيني"، وهي تحشى بالسبانخ والجبن أو سمك السلمون.

وفي تحد سافر للذواقة يهتم بعض الناس بالركض بالزلابية اكثر من اهتمامهم بأكلها. وفي العام ١٩٨٤ في يوم الثلثاء السابق لاربعاء الرماد، كنت في أولني القريبة من لندن لمشاهدة أشهر سباق زلابية في العالم. وهناك أمام فندق "بول" اصطفت ٢٠ امرأة يرتدين المآزر التقليدية ويعتمرن اللفاعات. وكانت كل واحدة تحمل في يدها مقلاة صغيرة فيها قطعة زلابية أعدتها في بيتها، وكان عليها أن تقذفها في الهواء فوراً قبل السباق وبعده. والسباق هو الجري مسافة ٣٨٠ متراً في الشارع الذي ازدحم جانباه بالمتفرجين.

وعبرت الفائزة في السباق خط النهاية بعد ٦٤،١ ثانية وقذفت بزلابيتها عالياً في الهواء. وفيما الجمهور يهتف ويصفق استحساناً تسلمت الفائزة جوائز بلغت قيمتها ٢٠٠ جنيه استرليني ومن بينها حوالة بقيمة ٣٥ جنهياً في شكل قطعة زلابية.

وتجرى سباقات الزلابية في أنحاء بريطانيا يوم الثلثاء السابق لاربعاء الرماد. لكن سباق أولني هو أقدمها، اذ لا يزال يقام منذ العام ١٤٤٥ حين غفلت امرأة عن الوقت - كما جاء في الاسطورة - وهي منهمكة في صنع زلابية. ثم سمعت قرع الاجراس يبشر بحلول العيد فاندفعت خارجة من بيتها وهي تحمل المقلاة. وهكذا كانت أولى متسابقات الزلابية.

قد لا يصبح سباق الزلابية من المباريات الاولمبية، بيد أنه سيبقى رمزاً لطيفاً للبهجة والرضا اللذين تجلبهما هذه القطع الحلوة المستديرة للناس في أرجاء العالم.

■ وليم كيرنز



عقلية تجارية

اتصل رجل بمحل للمأكولات الجاهزة وطلب عدداً من الأصناف للعشاء وقال: "اذا كان الطعام جيداً، فسأرسل اليكم حوالة بقيمته." فرد المسؤول: "ان طريقتنا تقوم على تسلم الحوالة أولا، فاذا كانت صالحة أرسلنا الطعام."

صحيفة "لوس تيمبوس"، بوليفيا

هل تذكر ما فعلت حين كنت في الخامسة من العمر؟

خواطر مختال صغير

بريد الغرام

في أحد الأيام كنا نلعب لعبة ساعي البريد. وختم مايكل وصديقتي سو الرسائل فوضعتها أنا في حقيبة مدرسية قديمة وانطلقت. وعندما عدت سألتني أمي ماذا كنا نلعب فأجبتها: "لعبة ساعي البريد. لقد وضعت رسائل في جميع صناديق البريد في الشارع."

وبدت أمي قلقة: "أي رسائل؟"

- رزمة كاملة وجدتها أنا ومايكل في خزانتك. كانت مربوطة بشريط حرير أحمر.

وشحب وجه أمي فسألها والدي عما يجري فقالت: "آه، لا شيء مهماً، كل ما في الامر انه وضع رسائل الغرام التي كتبتها الي في صناديق البريد في الشارع."

وللحال أعلن والدي رغبته في الانتقال الى منزل آخر.

برك الوحل

ان برك الوحل الصغيرة ممتعة حقاً. فلا أكاد أخطو فيها حتى يتطاير الماء في الجهات فيغطي أخي الصغير مايكل أو صديقيّ ستيفن وسو. ثم يقفزون هم في البركة فأتسخ أنا من رأسي الى أخمص قدمي. وهذا أمر سيىء عندما تكون ثيابي جديدة كما حدث نهار أمس. ولقد ركضت



Illustration: Michael Smollin

الى البيت بأقصى سرعتي فكدت أن أصطدم بالسيدةساندرز وأوقعها.
وسألتني: "الى أين أنت راكض؟"
– الى أمي في البيت. سوف تصفع قفاي لأني وسخت ثيابي.
"لا تقل لي انك تركض اليها لتضربك."
– بالتأكيد. يجب أن أكون هناك قبل وصول أبي وإلا تولى هو ضرب قفاي!

الصينيون الصغار

كنت أوبخ كلما أدرت كرتنا الأرضية، الا اذا تمكنت من ايقافها قبل أن يكتشف أبي وأمي الأمر فأدعي أنني أبحث عن مكان معين كما فعلت ذلك اليوم.
سألني والدي: "عمّ تبحث؟"
– عن أكبر بلد في العالم.
"في الصين أكبر عدد من الناس. وهناك اكثر من مليار صيني. وهم كثر الى حد أن صينياً صغيراً يولد في كل مرة نتنفس.
ولاحظ أبي أن مايكل يتنفس بسرعة فسأله: "ماذا تفعل؟"
أخذ مايكل نفساً آخر وقال مفسراً: "انني أصنع صينيين صغاراً."

كتاب "سانتا كلوز"

التقينا سانتا كلوز (بابا نويل) في المدينة وسمح لي بالجلوس في حضنه. قال لي: "أخبرني يا بني، ماذا تريد أن تكون هديتك هذه السنة؟"
– أولا، أريد كل شيء لم أتلقّه العام الفائت. ثم أريد رقعة شطرنج وحلبة سباق وكرة ومسدس ماء وعلبة عدة حقيقية وحفارة ضخمة وسيارة اطفاء تدور تلقائياً وثياب كاوبوي ومزلاجين و...
قال سانتا كلوز: "هذه لائحة كبيرة. دعني ألقي نظرة على كتابي لأرى اذا كنت صبياً مطيعاً."
قلت بسرعة: "إنسَ أمر الكتاب. المزلاجان كافيان."

كلب جديد

كنت ممدداً في السرير مع كلبي المحشو "بلاش" عندما رغبت فجأة في الحصول على كلب جديد، لأن "بلاش" كان غبياً جداً وطائشاً يقع على الأرض كلما رميته في الهواء وطلبت منه البقاء هناك.
قلت: "أمي، يلزمني بلاش جديد."
– ولكن لماذا؟ بلاش لم يهترىء بعد.
"وأنا لم أهترىء أيضاً، صح؟"
– كلا يا عزيزي. لا تكن سخيفاً.
"لكنك حصلت على طفل آخر عندما ولدت مايكل،مع انني كنت جديداً."

تاجر ناجح

في دار الحضانة كان الأطفال الأكبر سناً يبيعون أوراق اليانصيب لتمويل مخيمنا الصيفي. وقلت انني سأبيع عشر بطاقات. كذلك فعل أولاف، مع أننا نسكن في شارع واحد.
وعندما وصلت الى البيت قلت لأبي: "هل تود شراء ورقة؟ ثمنها دولار واحد ويمكنك الحصول على اثنتين بدولارين. وقد تربح غطاء طاولة ناعماً أو جائزة جميلة أخرى."

Condensed from «Guck mal, Mami! Guck mal, Papi!» © 1980 by Will Breinholst and published by Gustav Lubbe Verlag Gmbh, Bergisch Gladbach, Germany

واشترى أبي ورقتين: "كيف ستبيع الاوراق الباقية بحق السماء؟"

أجبته وأنا أسرع خارجاً: "اذا كان أولاف يستطيع بيعها فأنا أستطيع ذلك ايضاً."

وعدت بعد برهة وقد بعت معظم أوراقي: "أنظر يا أبي. لم يبق سوى ورقتين! الا تريد شراءهما؟ اذا فعلت غلبتُ أولاف، فهو باع ثلاث أوراق فقط." وهكذا اشترى أبي الورقتين الباقيتين.

وبدا أبي فخوراً بي وسألني: "انه عمل جيد يا بني. من اشترى الاوراق الباقية؟"

– أمي!

محضر ضبط

تحدثت اليوم الى شرطي حقيقي. كان أبي مسرعاً فأوقفتنا سيارة شرطة. وبدأ أبي يلعن حظه وأنزل زجاج النافذة. أراد الضابط رؤية اجازته، فمددت رأسي من الخلف وقلت: "اذا كنت تريد تسجيل مخالفة يا حضرة الشرطي فأرجو أن تسرع والا بللت ثيابي." وكان هذا صحيحاً.

قال الشرطي لأبي: "حسناً. تابع سيرك بأقصى سرعة ممكنة، ولكن ابق ضمن الحدود!"

وكان أبي مسروراً الى حد أنه أعطاني قطعتين من الشوكولاته عندما عدنا الى البيت.

أسلوب لطيف

مايكل يقدم على أفعال غبية كثيرة، لكن هذا عائد الى صغر سنه. ولكن عندما يقدم على عمل غبي حقاً، فعلي ايصال الخبر الى أمي بألطف أسلوب ممكن وإلا تملكها الرعب. ووقع مايكل عن السلم ذات يوم فقلت لها: "أمي. لقد نزل مايكل السلم من دون أن يستعمل قدميه."

■ فيلي براينهولست

الدرس الذي لا ينسى


يتذكر أحدهم يوم عادت أخته المتزوجة الى البيت وقالت لامها: "لقد جئت الى هنا كي اعلّم زوجي درساً." وأجابت الام على الفور: "اذا شئتِ أن تعلّميه درساً حقيقياً، فالأحرى أن تعودي الى البيت وأذهب أنا لأعيش معك."

ج.ب.

مريضة متطلبة

اعتاد طبيب التفاهم مع مريضة متقدمة في السن وثقيلة السمع بكتابة ملاحظاته على ورقة. وذات يوم دخلت عيادته وهي تقول: "اذا كان لديك ما تخبرني اياه، فأرجو أن تطبعه مساعدتك على الآلة، إذ يبدو أن خطك ليس أفضل حالا من سمعي."


ب.ك.



زمان هتلر

ملخص من كتاب بقلم وليم شايرر

Condensed from «20th Century Journey. Vol II The Nightmare Years. 1930-1940,» copyright © 1984 by William L. Shirer, published by Little, Brown and Co., Boston, Mass.


Heil dem
كتاب الشهر

في مايو (أيار) من هذا العام مرّت أربعون سنة على انتهاء الحرب العالمية الثانية في أوروبا. وانقضى حلم أدولف هتلر بإقامة نظام سياسي يعمّر ألف سنة، وغدت مدن المانيا حطاماً عقب الحرب، ولقي القادة النازيون حتفهم أو زُجوا في السجون. ولكن كيف نشأ الصراع وما هي جذوره؟ مؤلف هذا الكتاب من أكثر الاشخاص جدارة بالاجابة عن أسئلة من هذا النوع. وهو كان مراسلا صحافياً واذاعياً في تلك الأثناء، وتنقل بين فيينا وباريس وجبهات الحرب المختلفة. لكنه أمضى معظم وقته في برلين، يغطي أخبار هتلر وانتصاراته الاولى. وغدا كتابه "قيام الرايخ الثالث وانهياره" حجة في الموضوع. وفي هذا الجزء الثاني من مذكراته التي لقيت رواجاً كبيراً، يعود الى الأحداث التي رافقت بداية حياته كزوج وأب وصحافي يشق طريق النجاح. وهذه الذكريات كلها مرتبطة بالزعيم النازي ومحاولته السيطرة على أوروبا والخراب الذي جرّته تلك المحاولة



Illustrations: Christopher Calle. Photo Insets: Wide World Photos; UPI / Bettmann; U.S. Army Signal Corps; Ullstein Bilderdienst

"برلين، ٢٥ أغسطس (آب) ١٩٣٤ - غداً يبدأ فصل جديد بالنسبة اليّ..."

لم أعرف وأنا أكتب ذلك السطر على عجل في مفكّرتي مساء وصولي وزوجتي من باريس الى برلين أنه سيكون فاتحة فصل طويل ومرعب. وبالنسبة اليّ والى الملايين سواي على هذا الكوكب الصغير، كان العقد الممتد بين ١٩٣٠ و١٩٤٠ زمناً من الاضطراب المتفاقم. وغدا عملي كمراسل صحافي أمريكي في أوروبا وآسيا متعلقاً أكثر فأكثر بالثورات والانتفاضات والتعصب والعنف. ولا بد للمراقب من أن يجد في هذه الامور دلائل حتمية على وشوك اندلاع الحرب.

تلك السنوات كانت أشبه بكابوس. وكان لي من العمر ست وعشرون سنة في بداية العقد. وخلال السنوات الخمس السابقة عملت مراسلا صحافياً في معظم العواصم الاوروبية الرئيسية، بدءاً بباريس التي وصلت اليها بعيد تخرجي في احدى جامعات ولاية آيوا.

وفي فيينا تزوجت وخسرت وظيفتي. ومكثت سنة في قرية اسبانية ساحلية. ومن هناك راقبت تداعي الجمهورية الاسبانية اليانعة وقرأت في الصحف أخبار أدولف هتلر وتوليه شؤون المانيا. وعدت الى باريس في الوقت المناسب لتغطية أخبار انتفاضة فاشية. ومن هناك توجهت الى برلين، وكانت مصدراً للأخبار آنذاك. وقد احتلت أخبار هتلر ونظامه عناوين الصحف في العالم الى حد طمسها أخبار فرنسا وبريطانيا وايطاليا الموسولينية وروسيا الستالينية.

ولم نكد نصل الى العاصمة الالمانية عام ١٩٣٤ حتى طُلب مني الذهاب الى نورمبرغ لتغطية الاجتماع السنوي الحاشد للحزب النازي. وكان ذلك خير مدخل الى عالم الرعب الذي باشر أدولف هتلر تأسيسه. وطوال أسبوع من شهر سبتمبر (أيلول) ذاك تسنى لي أن أراقب عن كثب ذلك الرجل الغريب الذي عدّه الكثير من الالمان عبقرياً ومنقذاً، وفي طليعتهم مئات الالوف من قادة حزبه وأعضاء فرقه الشعبية ذوي القمصان البنية وفرقه الخاصة أو النخبوية ذوي المعاطف السود.

وتوقع الكل أن يكتسي اجتماع سبتمبر (أيلول) أهمية خاصة، لا بل أن يكون متفجراً. فقد كان صيف ١٩٣٤ دموياً وحاسماً بالنسبة الى الديكتاتور النازي. وفي ٣٠ يونيو (حزيران) أقدم هتلر على تصفية قادة الفرق الشعبية، وأولهم رئيسها ارنست روهم صديق هتلر الحميم الوحيد. وبعد ذلك أمر باغتيال عدد من قدامى الاعداء السياسيين، وبينهم سلفه في المستشارية الجنرال كورت فون شلايخر وزوجته.

وقبل مغادرتي برلين الى نورمبرغ تحسست مخاوف المواطنين من ذلك الاجتماع. وقيل لي ان هتلر كان يخشى انتقام اعضاء الفرق الشعبية لقادتهم المغدورين. وكانت تلك الفرق على الدوام بمثابة العمود الفقري للحركة النازية بعدما أعانت زعيمها على تسلم مقادير البلاد. اما الآن فقد تولد لديها شعور بأنه خانها.

والواقع ان الايام الاولى التي أمضيتها في برلين ولدت في نفسي انقباضاً ربما

كان مصدره معرفتي المدينة في عزها السابق. وعجت في رأسي الذكريات، حين كنت أصرف الليل بطوله في مقاهي الارصفة مع شبان من جيلي ونبحث في أي موضوع بلا قيد ودونما اكتراث. وبدا لي أحياناً أن الحياة في برلين أكثر حرية وإثارة منها في لندن وحتى في باريس. اما الآن فقد هيمنت الفكرة النازية على عقول الكثيرين من معارفي القدامى وباتوا يحدثونني بجدية حول ضرورة تأسيس مجتمع قوي متحرر من سموم الليبرالية والاشتراكية والشيوعية. ولم أصدق أول الامر ان اولئك الالمان هم الأشخاص أنفسهم الذين أحببتهم وأُعجبتُ بهم يوماً. وبدا أن الحرية - حرية المرء في ان يقول ويكتب ما يود ويصوّت لمن يشاء وينتمي الى الجمعية التي يختار - لم تعد تعني لهم ما كانت تعنيه. ومن حسن الحظ ان قلة منهم لم تتبدل. لكن معظم هذه القلة ظلت حريصة في ما تقول ولم تضع ثقتها في الآخرين.

[illegible]

رأيت أدولف هتلر للمرة الاولى عند غروب الشمس في الرابع من سبتمبر (أيلول). وهو دخل نورمبرغ مثل امبراطور روماني، وعلى جانبي الطريق كتائب الالمان تؤدي له التحية وتهتف بحماسة بالغة. وارتفعت في المدينة ألوف الرايات النازية، يتوسطها الصليب المعقوف، وقد رفرفت فوق المباني القوطية البديعة. وامتلأت الشوارع باللونين البني والأسود.

وارتدى هتلر معطفاً واقياً من المطر لا يختلف كثيراً عما كنا نرتديه نحن المراسلين الأجانب آنذاك. ولم يحمل وجهه المترهل أي تعبير متميز. وتساءلت عن الدافع الذي حدا تلك الجماهير المحمومة على التعلق حتى الموت بصاحب ذلك الوجه العادي الوضيع. والحق ان حماسة الناس الملتهبة صعقتني. وكنت رأيت الألوف المؤلّفة في الهند تهب لرؤية المهاتما غاندي وفي روما تزحف لتحية بنيتو موسوليني. لكن هذا الحشد كان يختلف عنها جميعاً.

ودوّنتُ في مفكرتي الآتي: "بعد أحداث اليوم الأول، بدأت أدرك بعض عوامل النجاح الرائع الذي أحرزه هتلر."

وكان الاجتماع الصباحي في قاعة لويتبولد الضخمة أكثر من عرض غني، إذ تميز بما يشبه الاندفاع الجهادي او الصوفي.

بدت القاعة بحراً من الأعلام الزاهية الملونة. وفجأة توقفت الفرقة الموسيقية عن العزف. وران سكون عميق على الالوف الثلاثين الذين غصت بهم القاعة على رحبها. ثم أدت الفرقة معزوفة عسكرية رافقت دخول الزعيم. وسار هتلر وسط القاعة وقد شخصت اليه ستون ألف عين وارتفع عدد مماثل من الأيدي.

والتمعت أنوار المصابيح المتوهجة على المنبر. وارتفعت وراء هتلر وحاشيته الراية النازية نفسها التي حُملت خلال مسيرة ميونيخ المخفقة عام ١٩٢٣. ووقف هناك نحو خمسمئة عنصر من الفرق الشعبية. ولما سكتت الموسيقى وقف رودولف هس نائب الفوهرر وتلا بجلال أسماء الشهداء النازيين من ذوي القمصان البنية الذين قضوا في الشوارع

إبان الصراع على السلطة. ولفّ القاعة صمت رافقه إحناء الرؤوس إجلالا.

ووسط ذلك الجو قرأ أحد الرسميين إعلان هتلر للشعب، الذي وصفه مكتب الاعلام النازي بأنه أخطر تصريح للفوهرر حتى ذلك الحين والذي جاء فيه: "ان طريقة الحياة الالمانية تقررت للسنين الألف المقبلة."

وصعقتني كلماته، الا أنها أثارت حماسة الجماهير داخل القاعة. ونهض الثلاثون ألفاً كلهم يحيون زعيمهم.

وفي اليوم الخامس من المهرجان عرض الفوهرر القوات الصاعقة التابعة للفرق الشعبية، وذلك للمرة الاولى بعد حملة التطهير الدموية في يونيو (حزيران).

الا أنه لم يتعرّض لأي محاولة اغتيال ذلك اليوم، كما لم يتعرض لمحاولة من هذا النوع، على حدّ علمي، طوال السنوات الست ونصف السنة التي تقيّد خلالها بالسلام. وطالما تساءل الديبلوماسيون والمراسلون الأجانب عن السبب. فقد كان اغتياله سهلا. أما عدم الاقدام عليه من جانب أقرباء ضباط الفرق الشعبية وأصدقائهم، بمن فيهم خاصة الجنرال فون شلايخر وزوجته، فيكشف الكثير عن هذه البلاد وعن سيطرة هتلر عليها.

ولدى عودتي الى برلين حاولت إعادة النظر في انطباعاتي الأولية. والواقع أن هتلر، من حيث المظهر، كان مختلفاً عما توقعت. والسر يكمن في عينيه. فهما ثاقبتان ولهما فعل المنوّم المغناطيسي. وبدا أنهما تجمدان الشخص الذي تنظران اليه، فترعبان بعضهم وتسحران البعض الآخر، ولاسيما النساء. لكنهما، في الحالين، تهيمنان على من تحدقان اليه.

وخلال وجودي في نورمبرغ كنت أرى قادة الحزب المتقدّمين في السن والذين صرفوا سنوات طويلة في رفقة هتلر تجمد أوصالهم اذا همّ الفوهرر بمخاطبة أحدهم. وظننت بادىء الأمر أن الالمان وحدهم يتصرفون في حضرته على هذا النحو. غير أني ذات يوم، خلال حفلة استقبال للديبلوماسيين الأجانب، لاحظت المندوبين الرسميين، واحداً بعد الآخر، يقعون أسرى عينيه الثاقبتين. وكانت مرتا دود ابنة السفير الأمريكي الصغرى أوصتني، قبل مغادرتي نورمبرغ، بأن أراقب عيني هتلر. قالت: "انك لن تنساهما بعد ذلك الحين."

صوت الفوهرر

كمثل نظراته، كانت كلمات هتلر مهيمنة هي أيضاً، على الأقل بالنسبة الى الالمان. وطالما بدت لي أفكاره تافهة. لكن الاسبوع الذي أمضيته في نورمبرغ جعلني أدرك أن المهم ليس ما يقوله، بل طريقة قوله اياه.

كان يبدأ بصوت منخفض رتيب، وهو يزن كل كلمة من كلماته. ويتحدث عن الماضي وعن بدايته الوضيعة كجندي عادي فقير في نهاية الحرب العالمية الاولى. وينتقل الى فترة الصراع التي ميزت السنوات الاولى من زعامته للحزب النازي والفوضى التي أعقبت الحرب العالمية الاولى في ألمانيا وعزمه القوي على ايقاظ أرض الآباء من ذل الانكسار ورد عظمتها الجرمانية الأصيلة إليها.



نظام كاسيت واحد
لايفي بمتطلباتك ؟
إحصل على كاسيت مزدوج من سانيو!
C35 نظام جهاز ستريو نقال قوي الطاقة ٥٠ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، غرافيك اكواليزر ٥ موجات، ٤ مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
C40 نظام جهاز ستريو نقال قوي الطاقة ٥٠ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، غرافيك اكواليزر ٥ موجات، مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
MW23K قوة ٢٠ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، غرافيك اكواليزر ٥ موجات، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
MW220K قوة ١٤ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، غرافيك اكواليزر ٣ موجات، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين.
MW200K قوة ٨ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين.
MW22K قوة ٢٠ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
MW19K قوة ٢٢ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، غرافيك اكواليزر ٥ موجات، AMSS، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
MWS400K قوة ١٤ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، نظام ٤ مكبرات صوت.
MW730K قوة ١٤ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين.
MW24K قوة ٣٢ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، AMSS، نظام ٦ مكبرات صوت باتجاهين قابلة للفصل.
MW770K قوة ٢٠ واط (P.M.P.O.)، دبلجة سريعة، ترجيع أوتوماتيكي، نظام ٤ مكبرات صوت باتجاهين.
مُسجّل كاسيت مزدوج/ راديو ستريو ٤ موجات.
يمكنك الآن التسجيل، الدبلجة والإحتفاظ بأحبّ الموسيقى إليك مع مسجل كاسيت مزدوج /راديو ستريو MW/SW1/SW2/FM من سانيو. إنها عملية سهلة بسهولة الكبس على الزر- ضع شريطين في الستريو وستنساب الموسيقى بدون إنقطاع من الشريط الأول إلى الشريط الثاني. مشكلتك الوحيدة مع مجموعة مسجلات سانيو ذات الكاسيت المزدوج هي الإختيار بينها!
SANYO سانيو

SP-85

وأخبرني صحافي ألماني خبير أن صوت الفوهرر العميق ليس عطية من الله. فصوته الأصلي رفيع. لكنه تدرب خلال السنوات على تعميقه ومنحه مقداراً من الترجيع والدويّ على غرار منشدي الاوبرا.

ومع بلوغه ذروة كلامه كان صوته يرتفع تدريجاً، فيكتسب نغمة صاخبة. ثم يباشر الصياح على نحو هستيري حتى يبلغ، كما قال صحافي ايرلندي بتعبير غير محتشم، "الرعشة الصوتية الكبرى." وكان يصيب المستمعين شيء كبير من تلك العملية.

ولقد تأكدت من أمر واحد على الأقل بعد ذلك الاسبوع في نورمبرغ، وهو أننا جميعاً - ولاسيما زعماؤنا السياسيون وصحافتنا - قلّلنا من شأن هتلر وسلطانه على الأرض الالمانية. ولئن بدت أفكاره غير واقعية وشريرة في الغالب، الا انه آمن بها، لا بل تعصب لها، كما حمل شعبه على الايمان بها والتعصب لها أيضاً.

ولم أسمع شيئا في نورمبرغ عن فقدان الحرية الشخصية وبقية الحقوق الديموقراطية. ويبدو أن الالمان لم يجدوا في ذلك الأمر تضحية تذكر. فهم كرّسوا أنفسهم للفوهرر ونظامه المتسلّط. غير أن الغرب الليبرالي الديموقراطي لم يتنبه للأمر، ولا تنبّه له كذلك الاتحاد السوفييتي.

وعجبت لدى وصولي الى برلين كيف ان رسائلنا الصحافية لم تراقب، علماً أن الاعلام الالماني خضع لرقابة صارمة. وشرح لي زميل أمرا لم ألبث أن تحققت منه بنفسي، وهو أن على المراسل الصحافي أن يتحفظ حيال كل كلمة يكتبها عن النظام النازي، وإن لم يكن عليه إحالة رسالته على أي رقابة قبل إبراقها. واذا وجد هتلر أو وزير الدعاية في حكومته جوزف غوبلز لاحقاً أن الرسالة غير مقبولة من حيث كلامها عن النظام، فهذا معناه ترحيل كاتبها نهائياً من البلاد. وقررت منذ البداية أن أقول الحقيقة كما هي، على أن أرحل من تلقائي متى وجدت ذلك مستحيلا.

دائماً على حق

في ذلك الخريف والشتاء الأولين بدأ تعرُّفي الى الرجال المحيطين بالفوهرر، وأحدهم هيرمان غورينغ الرجل الثاني في النظام، وهو بدين ومحب للعيش، ويواكيم فون ريبنتروب الذي أصبح وزيراً للخارجية، وهنريك هيملر الذي أخفى تحت قناع البساطة والتواضع شخصية عنيفة. وكان هيملر هذا قائداً للفرق النخبوية الخاصة التي تألف منها حرس هتلر والتي كانت في طور التحول شرطة قوية. ولم يكن هيملر يرتاح الى غير الألمان. وبدا لي انه غير مؤهل للترقي في منصبه. أما وزير الدعاية غوبلز فكثيراً ما كنت أراه وهو يعقد المؤتمرات الصحافية المهمة. ولم أتحمله شخصياً، ولم أختلف في هذا الأمر عن معظم الرجال المحيطين بالفوهرر. الا أن هتلر نفسه قدر ولاء غوبلز التام له، كما أكبر مواهبه وقدرته على إنجاز المهمات التي توكل اليه.

وكان سلطان غوبلز كبيراً بسيطرته على وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة واليه كان يعود القرار الأخير في الموسيقى والكتب المسموح بها وفي معارض الرسم والنحت، كما في

المسرحيات والأفلام. وهكذا غدا الانتاج الثقافي مسيّراً من الدولة، لا بل من غوبلز بالذات.

وخلافاً لمعظم الرجال المحيطين بالفوهرر كان غوبلز ذا ثقافة جامعية رفيعة. لكن المصغي الى خطبه او قارىء كتاباته لم يكن يعثر على أثر تلك الثقافة. وبدا أنه لا يعرف شيئاً البتة عن الشعوب الاخرى. وذلك ضعف شارك فيه جميع النازيين النافذين. وطرأ لي أن ذلك الضعف لن يلبث أن يخلّف عواقب سيئة للرايخ الثالث وبقية العالم. وليس أخطر من الجهل في صياغة السياسة الخارجية. وهذا أمر أعطى ريبنتروب البرهان البيّن عليه. ومنذ معرفتي الاولى به قدرتُ عدم كفايته وخموله وحماقته وافتقاره الى المرح. وكان يتكلم الفرنسية والانكليزية اللتين اكتسبهما في حداثته وهو يتجول على القدمين في سويسرا وفرنسا وبريطانيا وكندا. الا أن اطّلاعه على تينك اللغتين لم يرافقه ادنى علم بتلك البلدان.

لماذا اذاً وقع اختيار هتلر عليه كوزير للخارجية؟

جوابي عن هذا السؤال كان ولاءه الأعمى لسيده. وهناك من الجنرالات من عبّر أمام هتلر عن آراء مخالفة لرأيه. لكن ذلك بالنسبة الى ريبنتروب كان بمثابة خيانة. وهو لم يشك أبداً في أن الفوهرر كان دائماً على حق.

بعد أربعة أشهر من وجودي وزوجتي في ألمانيا حان عيد رأس السنة. واجتمعنا مع عدد من الزملاء لاستقبال العام الجديد. وقر رأينا على أن هتلر، بعد إحكام قبضته على الاوضاع الداخلية في المانيا، لن يلبث حتى يوجه أنظاره الى الشؤون الخارجية. وطالما قال انه سيعيد الى المانيا مكانها الصحيح تحت الشمس. ولكن كيف؟

صبيحة ١٦ مارس (آذار) ١٩٣٥ أقدم هتلر على مفاجأة من "مفاجآت السبوت" عندما ألغى تقيده بالبنود العسكرية لمعاهدة فرساي. وأعاد فرض الخدمة العسكرية التي ألغتها المعاهدة. وأعلن عزمه على إنشاء جيش شعبي من نصف مليون متطوّع، متحدياً شروط فرساي التي حصرت الرقم بمئة ألف كحد أعلى. وكانت المعاهدة حظّرت على المانيا اقتناء الدبابات والمدفعية الثقيلة والطائرات الحربية. لكن هتلر تجاهل تلك القيود.

خطاب "سلمي"

في مفكرتي دوّنت الآتي ذلك المساء: "ما الذي ستفعله لندن وباريس في ضوء هذه الخطوة؟"

ولكن يا له من تساؤل غبي! فإن باريس ولندن لم تفعلا شيئاً. وكان في استطاعة الجيش الفرنسي وحده أن يجتاح ألمانيا، الأمر الذي يعني نهاية الرايخ الثالث ونهاية أدولف هتلر. وهذا حق للفرنسيين في حال خرْق معاهدة فرساي.

ومن أجل تهدئة الخواطر في الخارج، خصوصاً في لندن وباريس وروما، قرر هتلر اعلان تقيده بالسلام. وكان خطابه مساء ٢١ مايو (ايار) من أفصح خطبه وأبرعها وأكثرها تضليلا. وأستطيع قول مثل هذا

الكلام لأني سمعت معظم خطبه وهو كان يقول شيئاً ويفعل شيئاً آخر.

وفي صبيحة خطابه "السلمي" ذاك كان هتلر اتخذ تدابير سرية في شأن الدفاع والاقتصاد، قائمة على التنظيم العسكري الصارم والاقتصاد الحربي المتقشف. وهو تعمد حديث السلام لدغدغة مشاعر العالم الخارجي، لكنه في الوقت نفسه كان يستعدّ لشن الحرب في أسرع وقت ممكن.

قرار الاحتكام

ثم ان هتلر، قبل ثلاثة أسابيع من خطابه "السلمي" الذي تعهد فيه أن تحترم المانيا "من غير قيد ولا شرط" الالتزامات التي فرضتها عليها معاهدة لوكارنو، بما فيها جعل أرض الراين منطقة منزوعة السلاح، أصدر تعليمات لقيادته العسكرية العليا تقضي باعداد الخطط اللازمة لاحتلال أرض الراين عسكريا. ومعاهدة لوكارنو التي وُقّعت في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٥ تضمن سلامة حدود بلجيكا وفرنسا مع ألمانيا، بما في ذلك منطقة الراين المنزوعة السلاح وهي قطعة من الأرض الالمانية على الضفة الغربية لنهر الراين، تُضاف إليها قطعة بعرض خمسين كيلومترا على الضفة الشرقية. وفي كلتا القطعتين لا يحق لألمانيا حفظ الوحدات العسكرية أو إقامة التحصينات الحربية. وهذه المنطقة المحايدة منحت فرنسا وبلجيكا بعض الحماية في وجه غزو الماني مفاجىء كمثل الذي حدث عام ١٩١٤

وكنا نحن المراسلين، لحسن الحظ، جاهلين نيات هتلر. وتناهى اليّ من حين الى آخر ان ثمة استعدادات عسكرية سرية تقوم بها المانيا في أرض الراين. وجاءني معظم تلك الاشاعات من السفارة الفرنسية على هيئة تقارير تتحدث عن مخازن سرية للأسلحة والذخائر ومطارات حربية وسكك حديد جديدة. وعلى رغم أن السفير الفرنسي كان في نظري أفضل المبعوثين الأجانب اطّلاعا في برلين، فاني لم أحمل تلك الأخبار محمل الجدّ لأسباب مختلفة.

أما اليوم فقد كشفت لنا الوثائق الالمانية التي صودرت بعد الحرب أن هتلر، في الأول من مارس (آذار) ١٩٣٦، اتخذ قرار اجتياح الراين، الأمر الذي ولّد خوفا في قيادته العسكرية العليا من أن تقضي فرنسا بسهولة على القوة الالمانية الصغيرة المعدة للتوجه الى الراين. وهزىء هتلر بمحاذير جنرالاته. وفي اليوم التالي أصدر أمرا نهائياً بالاجتياح. وعلمت في ما بعد أن الجيش الالماني كان مستعداً للانسحاب اذا واجه مقاومة فرنسية.

واستهل الالمان زحفهم فجر السابع من مارس (آذار) ١٩٣٦.

ووصف مراسلنا في مدينة كولونيا الالمانية ذلك الزحف بأنه أشبه بعرض عسكري فقد سار الجنود الالمان وراء نافخي الأبواق.

وفي كولونيا كما في سواها من المدن وقفت الجماهير المحمومة تحييهم وترشقهم بالزهر. ولم تصدر أي اشارة الى رد فعل من القوات الفرنسية عبر الحدود.

وكان اليوم سبتاً، ويبدو أن هتلر اعتاد

ترك مفاجآته للسبوت. وبما أن صحف الأحد الصباحية في الولايات المتحدة كانت تطبع باكراً، فلم أنفك عن إرسال تقريري مقطعاً مقطعاً بالهاتف الى مكتبنا في باريس كيما يتم توجيهه الى نيويورك في الوقت المناسب. وكنت كل مرة أسأل عما يزمع الفرنسيون فعله، فيأتيني جواب المراسل في باريس: "لا شيء حتى هذا الحين." وعند تحويل المقطع الأخير من تقريري ذلك المساء، جاءني الجواب:

"أن الحكومة الفرنسية اتخذت قراراً بعد الاجتماع طوال النهار بالقيادة العسكرية."

وهنا قلت: "إذاً قرّ قرارهم على الهجوم."

– لا، بل ارتأوا ألا يفعلوا شيئاً من هذا القبيل، وأن يكتفوا بالاحتكام الى عصبة الأمم.

ولم أُصدق ما سمعت.

التحدي المثير

إذ تعود بي الذاكرة الى تلك الأيام، أجد أن غزو الزعيم النازي أرض الراين كان ضرباً من المقامرة. لكنها مقامرة ضمنت له النصر. وهو نصر لم أتوقع نتائجه الطويلة المدى آنذاك. فإن قعود فرنسا عن رد الهجوم الالماني وعدم إقدام بريطانيا على مساعدتها في ذلك جرّا هزيمة على الغرب تفرّعت منها الهزائم اللاحقة جميعاً

أجل، ففي مارس (آذار) ١٩٣٦ كان في إمكان فرنسا وبريطانيا إسقاط الطاغية النازي ونظامه بأهون الوسائل ومن غير اللجوء الى حرب حقيقية. لكن ذلك لسوء الحظ لم يحصل.

وفي يوليو (تموز) ١٩٣٧ ذهبتُ وزوجتي تس في إجازة الى لندن وباريس والجنوب الفرنسي. وتحدثنا في شؤون مستقبلنا وشجونه ونحن على وشك أن نصبح ثلاثة، إذ كانت زوجتي حبلى.

وعدت الى برلين في مطلع أغسطس (آب) على أن تنضم الي تس في سبتمبر (أيلول). وفي ٢٤ أغسطس (آب) أُعفيتُ من وظيفتي.

وأحسست حجَراً ثقيلا في معدتي وأنا في طريقي الى المكتب. وعلى طاولتي رأيت برقية تقول: "أتستطيع أن توافيني مساء ٨/٢٧ للعشاء في آدلون؟" وقد ذيلت بتوقيع اد مارو من شبكة كولومبيا الاذاعية «CBS» . وقد حدد المكان في محلة آدلون.

وفيما أنا أسير الى موعدي ذلك المساء نحو الرجل الذي افترضت أنه مارو، وجدت في وجهه الوسيم وشعره الأسود وعينيه القاتمتين ما ذكّرني بنجوم هوليوود وسرعان ما اكتشفت في وجهه وصوته أمراً مختلفاً.

وبدأنا الحديث عن المؤسسات الاذاعية في الولايات المتحدة. قال ان أهمّ شيء حولها هو إمكاناتها المستقبلية التي لن تلبث أن تتحقق يوماً وأضاف: "اني أبحث عن مراسل متمرّس لنسلّمه مكتباً سنفتحه في أوروبا، اذ لا أستطيع تغطية جميع الأخبار الاوروبية من لندن. فهل يهمّك الأمر؟"

واجبت وأنا أُحاول كبح الحماسة التي انتابتني: "أجل، ان الأمر يهمني."

– لقد نسيتُ أمرا صغيرا، وهو متعلّق بالصوت. انه عنصر لا يمكن تجاهله في الاذاعة. والشركة تود معرفة طبيعة صوتك أولا. وسنعالج ذلك الاسبوع المقبل.

ولا بد من أن يكون القلق ظهر على وجهي. فقد واجهني هذا الرجل، في اللحظة النهائية الحاسمة، بما بدا إنقاذا لمستقبلي. الا انه عاد وجعل من الصوت شرطا ضروريا لقبولي.

وكنت متوتر الأعصاب وأنا أخضع لاختباري الاذاعي في برلين يوم الأحد الواقع فيه الخامس من سبتمبر (أيلول). وتكلمت أمام المذياع بأوضح ما أستطيع وأنا أحاول تذكّر التعليمات التي أعطانيها مارو في آخر الاسبوع الماضي، وأهمها ألا أقرأ كما من كتاب.

وكنت متأكدا من ضعف موقفي. وقلت لنفسي: "لتذهب شبكة CBS الى الجحيم. فأني سأركب السفينة الاولى المتجهة الى نيويورك وأباشر البحث عن عمل هناك."

موقفات أطفال

رن جرس الهاتف في منزلي مساء الجمعة. وكان مارو على الخط من لندن وقال: "لقد جاءنا الجواب من نيويورك. وهم يعتقدون أنك شخص رائع لهذه المهمة."

وأثار لديّ كلام مارو انطباعا أن في الامكان تحقيق الكثير عبر طريقة الاذاعة العصرية هذه. وكانت التقارير الاذاعية أمراً جديداً في ذلك الحين. وهي تتفوّق على الأخبار الصحافية لأنها تبلغ المستمع لحظة حدوث الخبر. وفي الامكان نقل أصوات تظاهرة في باريس أو احتفال في الفاتيكان أو خطاب يلقيه هتلر في برلين أو موسوليني في روما وقت الحدث نفسه. لذلك كنت أنتظر مباشرة عملي الجديد في أسرع وقت.

وسرعان ما خبا ذاك الأمل. وكتبت في مفكرتي: "ثمة أمر محبط حول هذا العمل، وهو أنه لا يحق لزميلي مارو أو لي اذاعة التقارير مباشرة. وتقضي تعليمات المكتب الام في نيويورك بأن نوكل ذلك الأمر الى مراسلين. أما نحن فنديرالعمل ونشرف عليه."

وشرح مارو موقف الشركة قائلا ان قراءة التقارير بأنفسنا تعني أننا نتبنى ما يرد فيها. لكن ذلك لم يقنعني.

وسألني عما اذا كنت أختار جنيف أو فيينا مقرا. ووقع خياري على فيينا. فهي مدينة أكبر وتحوي أقواما أكثر وموقعها يقرّبها من العواصم الاوروبية الاخرى، فضلا عن أنها مسقط رأس زوجتي وفيها تم لقاؤنا وزواجنا. ووافق اد على الأمر، وذهبنا الى فيينا.

وفي الأشهر الاولى التي تلت عودتي بدا واضحا أن نظام المستشار النمسوي كورت شوشنيغ يرزح تحت أثر المدّ النازي الآتي من المانيا. ومن المؤسف أن تكون مدينة فيينا الجميلة الجليلة المتمدنة غدت مكانا بائساً خلال السنوات الماضية. وكما دونت في مفكرتي يوم عيد الميلاد عام ١٩٣٧، بدت المدينة وأناسها على "فقر رهيب... العمال يخيم عليهم التجهُّم، بمن فيهم أولئك الذين لم يخسروا وظائفهم. والشحّاذون يظهرون عند كل قارعة طريق "

وانهمكت وزميلي في بث جوقات الأطفال. وفي الوقت نفسه حاولت تتبّع الأخبار، خصوصاً في برلين وفيينا، تينك العاصمتين القديمتين اللتين ظهرتا في فبراير (شباط) ١٩٣٨ على وشك السقوط. وكان هتلر الذي أمضى ردحاً من شبابه في فيينا، يحث النازيين النمسويين على اغتصاب السلطة. وذلك ضروري لتحقيق هدفه الأول، ألا وهو وحدة النمسا والمانيا.

"هتلر يأتي غداً"

قلت لنفسي. "ربما استطعت إقناع الشركة بتغطية أخبار النمسا في أيامها الأخيرة. واذا أفلح هتلر في غزوها، فهو سيحقق أكبر انتصاراته حتى ذلك الحين." وطلبت السماح لي بفترة إذاعية من ١٥ دقيقة. لكن طلبي رُفض، وأمرت بمتابعة تقديم جوقات الاطفال، على أن تنقل الحفلة التالية من صوفيا عاصمة بلغاريا في ٢٤ فبراير (شباط).

ولدى عودتي من صوفيا في السادس والعشرين من ذلك الشهر استقبلني زميل في محطة القطار قائلا اني غدوت أباً لطفلة وُلدت ذلك الصباح. وأضاف أن الولادة تمت بجراحة قيصرية لانقاذ حياة الام والوليدة، وأن حال زوجتي ليست خطرة. وأسرعت الى المستشفى.

وأعترف بأني وقفتُ أمام طفلة من أجمل الأطفال لكن منظر تس آقلقني. وهي لم تصحُ بعد من آلامها لكي تستطيع النطق بوضوح وأمضيت معظم الايام اللاحقة بجانبها وراودني شعور بأن العناية التي يقدمها المستشفى ليست جيدة. ويبدو أن المستوى هبط لأن المسؤولين تأثروا بما يجري في العالم.

وبذل شوشنيغ محاولة أخيرة لانقاذ النمسا من هتلر. وألقى خطاباً في اينسبروك في ٩ مارس (آذار) أعلن فيه أن استفتاءً سيجرى حول ما إذا كان المواطنون في النمسا يريدون "بلداً حراً، مستقلا، اشتراكياً، مسيحياً، متحداً."

وفاتني ذلك الاعلان التاريخي، إذ كنت في المساء نفسه أركب قطاراً الى يوغوسلافيا لنقل حفلة أطفال أخرى. وعدت في ١١ مارس (آذار). وقرابة الرابعة عصراً هرعت الى المستشفى لرؤية تس. ولما قطعت الطريق لركوب القطار الجوفي أوقفني حشد من نحو ألف شخص، جلّهم من الذين يرتدون البزات النازية. الا انهم لم يكونوا من ذوي البأس. وصرخ شرطي واحد فيهم، فتفرّقوا في لحظات.

ولدى عودتي في السادسة مساء أدهشني أن أجد الوضع تبدل فجأة. فقد كان هناك جمع من النازيين المتحمسين الذين وقفوا يصخبون في الظلام. ووجدتني أشق طريقي بينهم الى أن بلغت المكتب "السياحي" الالماني الذي غدا بمثابة مقرّ للنازية النمسوية وقد ارتفعت فوقه صورة هتلر مؤطرة بالزهر. ولم تبدُ الوجوه غريبة علي، أنا الذي حضرتُ احتفال نورمبرغ. فالعيون والأفواه والوجوه هي هي، بحماستها وعصبيتها، تهتف بحياة هتلر وتدعو الى شنق شوشنيغ. والحق أن أعضاء الفرق الشعبية في نورمبرغ لم يهتفوا بهذه الحماسة.

وتساءلتُ عما حدث بهذه السرعة.



ونظرتُ الى الوجوه القريبة وسألتُ أصحابها عما يجري. الا أن اندفاعهم حال دون اي جواب. واخيراً قالت امرأة في منتصف عمرها: "الاستفتاء... ألغي. وفي تقديرنا أن هتلر سيأتي غداً. انه أمر رائع."

ولكن ماذا لو قررت بريطانيا وفرنسا وايطاليا، بمساعدة تشيكوسلوفاكيا، إعلان الحرب ضده وإيقافه عند حده؟

وهكذا وجدت نفسي وسط الشارع في فيينا أمام قصة هي أهم حدث صحافي في حياتي حتى ذلك الحين.

وفي ساعة متقدمة من ذلك المساء، اتصل بي اد مارو من فرصوفيا (بولونيا). ولما رويت له ما يجري قال: "طر الى لندن صباح غد، وأنا آتي الى فيينا."

ولم يتطرّق أي منا الى السماح لنا بنقل الأخبار، بل أخذنا الأمر كما لو كان مفروغاً منه.

وطوال اليوم التالي، وهو السبت الواقع فيه الثاني عشر من مارس (آذار) ١٩٣٨، حاولت أن أجد مكاناً على طائرة متجهة الى لندن. وعند بلوغي المطار في السابعة صباحاً، وجدت الشرطة السرية الالمانية (الغستابو) احتلت المبنى الرئيسي في المطار. الا أن أحد قادة الطائرات الحربية نصحني بأن أجرّب حظي في طائرة للخطوط الجوية البريطانية، وهي تقلع الى لندن بعد وقت قصير. لكن تلك الطائرة كانت ملأى بالركاب. ثم وجدت مكاناً لي على طائرة لشركة "لوفتهانزا" الالمانية تقلع الى برلين في التاسعة صباحاً. ومن هناك أخذت طائرة هولندية الى لندن. ولما وصلت الى المكتب أخبرتني السكرتيرة الانكليزية أن شركة «CBS» تنتظر أن أقدم تقريري في الحادية عشرة والنصف تلك الليلة، أي السادسة والنصف مساء بتوقيت نيويورك.

وكان ذلك انجازاً، فللمرة الاولى تسمح الشركة لأحد مديريها بأن يذيع خبراً بنفسه. ولم أصدق ما يجري، حتى بعد ذهابي الى استديوهات الاذاعة البريطانية «BBC» التي نقلت الخبر الى

اذاعتنا. وفي تمام الحادية عشرة والنصف سمعتُ معلق الاذاعة يقدمني بالآتي:

"قبل ٢٤ ساعة أو نحوها اقتحمت القوات النازية النمسا. وفي وقت الاجتياح كان وليم شايرر، مدير إذاعتنا في أوروبا الوسطى، موجوداً في فيينا. وقد طار عصر اليوم الى لندن ليقدّم شهادة عيان لا رقابة عليها لما حدث... ويسرنا أن ننقل مستمعينا الى لندن."

وهكذا بدأت رسالتي الهوائية السياسية الاولى منذ انضمامي الى شبكة «CBS».

غادرت لندن في نهاية أسبوع محموم، أحزنني خلاله أن يكون هتلر حقق مرة أخرى ما يصبو إليه من غير أن يحرّك البريطانيون والفرنسيون ساكناً. واستقبلني مارو ذلك المساء في المطار. وعرفت منه أيضاً أن ذلك الاسبوع في فيينا أحدث كآبة لديه بعد رؤيته الجماهير الصاخبة والجنون الهتلري وسادية الصبية الألمان في الشوارع.

والمؤسف أن النمسويين، وهم عاطفيون بطبعهم، باتوا يتصرفون بقسوة تتجاوز قسوة الالمان. وقد أنساني منظرهم في الشوارع مناظر رفقائهم في برلين ونورمبرغ.

واتفقتُ ومارو على أن أنتظر حتى تتعافى زوجتي، ثم أنقل مقري الى جنيف كيما أستطيع البث من غير رقابة نازية. ولا بد من أن تكون مرحلة تحرُّك أدولف هتلر مصدراً غنياً للأخبار. ومن الواضِح أين ستكون ضربته التالية. وقد سجلتُ الآتي في مفكرتي بتاريخ ١٤ ابريل (نيسان): "لا شك في أن تشيكوسلوفاكيا هي هدف هتلر الآن، اذ ان المانيا باتت تطوّقها من ثلاث جهات."

وكان خروجنا من فيينا أشد مأسوية مما توقعنا، إذ لم يبق سهلا مغادرة البلاد بعدما احتلتها القوات الهتلرية. وكانت الشرطة السرية تطوف أنحاء البلاد خلسة بحثاً عن الأشخاص المشبوهين، وبينهم الأجانب الذين يحاولون تهريب أموالهم متحدين القانون. وفي ظهيرة العاشر من يونيو (حزيران) توجهت مع تس وطفلتنا الى المطار. وأوضحت لرئيس الغستابو هناك أن زوجتي تعاني ضعفاً جسدياً يمنعها من الوقوف، وأن علي أنا الحضور لتفتيش حقيبة ثيابها فيما تنتظر هي على مقعد. وطلبت من تس أن تبقى هناك حتى يحين وقت التوجه نحو الطائرة.

الا أن رئيس الشرطة السرية ارتاب في أمري حين وجد أن تس لا تحمل جواز سفر أمريكياً على رغم أنها زوجتي. والتزاماً مني الحفاظ على هدوء أعصابي وصفتُ له بهدوء قانون الجنسية الأمريكي آنذاك. لكنه صاح في وجهي: "إذا كانت نمسوية، فأين جواز سفرها الألماني؟" لكن تس كانت رفضت الحصول على جواز ألماني. وهنا رجوته أن يلقي نظرة على تأشيرة الخروج التي ختمها رئيس الغستابو في فيينا. ومن حسن الحظ أن أثر ذلك كان كبيراً عليه. لكنه عاد يقول ان على تس الوقوف اسوة بسائر الركاب ليتم تفتيش حقيبتها.

وهممت برفع صوتي، فأشار الشرطي على أحد المفتشين كي يقتادني بعيداً.

وأُخذت الى غرفة سمعت فيها الاهانة من ضابطين. وبعد ذلك نُقِلتُ الى غرفة مجاورة حيث قيل لي: "انتظر هنا." وأغلق الباب في وجهي وسمعت صوت القفل. ومرت دقائق خمس، ثم عشر، ثم خمس عشرة، بدت مثل ساعات. وخُيل اليّ ان الوقت حان كي تقلع طائرتنا الى جنيف.

وفي تلك اللحظة سمعت بكاء تس وهي تقول: "اسمع يا بيل، انهم يأخذونني عنوة... أين أنت؟"

وطرقت على الباب. وأمكنني أن أسمع وأرى من النافذة طاقم الطائرة السويسرية يتجه نحوها. وبعد وقت بدا طويلا جداً دخل رجل في ملابس مدنية وأخذني عبر رواق يصل غرفة الانتظار بمدرج الطائرات. وحاولت العودة لأرى تس، لكن الباب أُقفل.

وبعد قليل فتح باب آخر خرجت منه زوجتي وقد أمسكتها ممرضة بيد وحملت الطفلة باليد الاخرى. وكانت تس تصرّ أسنانها وهي تحاول أن تكظم غيظها. وصاحت: "لقد جردنني من ملابسي ومزقن بعض الضمادات عن جروحي. يا لهن من بغايا." ولم أكن سمعتها تلعن أو تشتم قبل ذلك الحين.

ودفعنا الباب المؤدي الى الخارج. وكانت الطائرة جاثمة على بعد خمسين متراً وقد انطلق الهدير من محرّكيها الاثنين. وبعد قليل كنا داخلها وبدأت تتحرك.

ها نحن، بعد الكابوس النازي المقيت، نتجه نحو سويسرا - سويسرا الصحة والمدنية والحرية. أجل، ها نحن ذاهبون الى جنيف الأنيقة النظيفة الرصينة التي طالما نظرت اليها كما لو كانت جنة أرضية.

ووافانا مارو من لندن. ولا أنسى عصر ذلك اليوم من يونيو (حزيران) حين ركبنا نحن الثلاثة زورقاً بخارياً عبر البحيرة الى لوزان. وبعد غداء متأخر وقفنا على دفة الزورق ورحنا نتجاذب أطراف الحديث ونروي الطرائف ونفكر في المستقبل، وأحسسنا أننا في ريعان الشباب ولا هم في حياتنا.

ولكن تبين في ما بعد أن ذلك اليوم كان من أيام الهدوء الأخيرة قبل سنوات سبع طويلة سنشهد فيها حرباً لم تشهد البشرية مثيلا لها.

خيانة في ميونيخ

أخبر هتلر العالم الخارجي أن المانيا لا تضمر نيات عدوانية تجاه تشيكوسلوفاكيا. لكننا عرفنا لاحقاً أنه استعمل لغة أخرى مع جنرالاته. ففي ٢٨ مايو (أيار) ١٩٣٨ قال في برلين: "لديّ إرادة راسخة في محو تشيكوسلوفاكيا عن الخريطة." وأمر قادة جنده بإعداد الخطط لانجاز هذه المهمة قبل الاول من أكتوبر (تشرين الاول). وما ان لجأ الألمان الذين يعيشون في المنطقة الحدودية الواقعة بين مقاطعتي بوهيميا ومورافيا، وعددهم ثلاثة ملايين ونصف مليون، الى أعمال الشغب ضد حكومة براغ حتى أصرّ الفوهرر على وجوب ضم تينك المقاطعتين الى المانيا.

والتنازل عن المقاطعتين يعني هدم الاقتصاد التشيكوسلوفاكي لأنه يحرم

البلاد من المناجم والصناعات، كذلك من حدودها الحصينة مع ألمانيا. وعلى رغم هذا كله علمت في الاول من يونيو (حزيران) أن رئيس الوزراء البريطاني نيفيل تشامبرلين قرر دعم هتلر في مطالبته بتلك الأراضي. وفي تقديره أنه لا الفرنسيون ولا السوفييت سيبرّون بتعهدهم تجاه تشيكوسلوفاكيا حمايتها في حال تعرضها لهجوم ألماني، الأمر الذي يعني أن بريطانيا لن تستطيع تأمين هذه الحماية بمفردها.

وظلت بريطانيا طوال شهر أغسطس (آب) تحث الحكومة التشيكوسلوفاكية على تقديم مزيد من التنازلات. وفي مطلع سبتمبر (أيلول) كان الرئيس التشيكي ادوارد بينيش منح مندوبي التشيكيين الألمان كل ما طالبوا به. الا أن هتلر لم ينشرح للنتيجة، فهو استغل تلك القضية لاخفاء نيته الحقيقية، الا وهي تحطيم تشيكوسلوفاكيا.

وانتظرت أوروبا كلها بقلق فيما تابع تشامبرلين وهتلر فصول المسرحية. وتم عرض الفصل الاول في ١٥ سبتمبر (أيلول) عندما طار تشامبرلين الى بيرختشغادن، وهو منتجع هتلر في جبال الألب. وأحس التشيكيون خيانة في الأمر، وهم كانوا على حق. وجلّ علمهم كان أن هتلر اقترح إجراء استفتاء لتقرير مصير التشيكيين الألمان، وأن تشامبرلين أقر بذلك في حين "رفضه" التشيكيون.

وبدأ الفصل الثاني في غودسبرغ إحدى أجمل مدن الراين التي بلغتها في ٢١ سبتمبر (أيلول). وكان هتلر حلّ في فندق دريسن. ووجدته في مزاج عصبي لا يُحسد عليه. وكنت أتناول فطوري على شرفة الفندق نفسه في الثاني والعشرين من ذلك الشهر عندما مر بي الفوهرر فجأة. وكلما خطا بضع خطوات كان يرفع كتفه اليمنى بنزق ومعها تهتز ساقه اليسرى. وقلت لنفسي: "لا شك في ان هذا الرجل على وشك الاصابة بانهيار عصبي."

في ذلك اليوم تم لقاء بين تشامبرلين وهتلر. وبعدما أمضى رئيس وزراء بريطانيا ساعة يفاخر بنجاح البريطانيين والفرنسيين في الضغط على التشيكيين لتقديم التنازلات المطلوبة، سأله هتلر: "هل أفهم من هذا أن البريطانيين والفرنسيين والتشيكيين جميعاً وافقوا على التنازل عن هذه الارض للألمان؟"

وأجاب تشامبرلين مبتسماً: "نعم"

قال هتلر: "اني آسف جداً. لكن هذه الخطة لم تعد ذات بال."

وتذكر مترجم هتلر لاحقاً أن تشامبرلين جلس مندهشاً وقد بان الغضب على وجهه الشبيه بالغراب.

لقد أصرّ الزعيم النازي على احتلال ذلك الجزء الالماني من تشيكوسلوفاكيا احتلالا عسكرياً قبل الأول من اكتوبر (تشرين الاول) الذي يفصله عنه تسعة أيام.

تحذير بريطاني

لدى عودتي الى برلين في نهاية ذلك الاسبوع الواقع فيها الرابع والعشرون والخامس والعشرون من سبتمبر (ايلول)، وجدت الجو مشبعاً بالتفاؤل. ولكن مع حلول الاثنين غاب ذلك الشعور، إذ أعلن أن الحكومة التشيكية رفضت طلبات هتلر

الصادرة من غودسبرغ، كما وجدتها فرنسا غير مقبولة ودعت في نهاية الاسبوع الى تعبئة عسكرية جزئية. ونتيجة لتلك التطورات انتابت الفوهرر نوبة غيظ من أشد ما عاناه في حياته الصاخبة. وعبّر عن ذلك الغيظ في خطاب ألقاه في قصر الرياضة مساء اليوم نفسه.

وكنت جالساً في المقصورة فوق منصة الخطباء مباشرة وأنا أترجم تلك الكلمات الالمانية العاصفة وأنقل الترجمة مباشرة عبر الموجة القصيرة الى نيويورك. وأكد هتلر مرتين أن تلك كانت مطالبته الجغرافية الأخيرة في أوروبا: "اننا لا نريد احتلال تشيكوسلوفاكيا. لكننا نريد استعادة الجزء الالماني منها قبل الأول من أكتوبر (تشرين الاول)." وهذا يعني أن لدى الرئيس بينيش خمسة أيام يتنازل خلالها عن تلك المنطقة.

ومن مقعدي أمكنني أن أرى أن الحركات العصبية ما زالت ظاهرة في قسمات هتلر. وظننت غير مرة أنه على وشك الاصابة بسكتة قلبية أو دماغية. وكتبت في مفكرتي ذلك المساء: "للمرة الاولى طوال سنوات مراقبتي إياه، بدا لي أن هتلر فقد السيطرة على نفسه كلياً هذا المساء."

دودنان مخيرنان

في اليوم التالي وجه المبعوث البريطاني تحذيراً يقول فيه ان بلاده ستقف الى جانب فرنسا اذا هي جُرّت الى الحرب بسبب المسألة التشيكية. وصاح هتلر: "سأحطم تشيكوسلوفاكيا شرّ تحطيم. واذا ضربت فرنسا وإنكلترا، فلتفعلا ذلك. لكنه أمر لا يعنيني من قريب او من بعيد."

واتصل بي اد مارو من لندن ليقول ان الخنادق تحفر في حديقة هايد بارك في قلب العاصمة البريطانية، كما يتم إبعاد الأطفال وإخلاء المستشفيات من نزلائها كيما يتسنى لها استقبال الجرحى في حال نشوب حرب. وأضاف اد أن الأوامر العسكرية أصدرت في الثامنة من مساء اليوم الفائت لتعبئة البحرية، وأعلنت عبر الأثير في الحادية عشرة والدقيقة الثامنة والثلاثين قبيل منتصف الليل.

وكان هتلر حدد موعداً أخيراً لتنفيذ طلبه، وهو الثانية عصر الثامن والعشرين من سبتمبر (أيلول). وقرابة الظهر لاحظتُ الديبلوماسيين يتسارعون الى مقر المستشارية. وكان واضحاً أنهم يبذلون المحاولات الأخيرة لتجنب الحرب. ومع انتهاء المهلة بعد الظهر أعلن هتلر تأجيل هجومه ووافق على الاجتماع في اليوم التالي بالزعيم الايطالي موسوليني وبرئيسي الوزراء البريطاني والفرنسي ولم يُدع التشيكيون الى ذلك الاجتماع.

وولد لدي ذلك الاجتماع المرتجل كآبة تفوق الوصف. وبدأ الرياء مع بداية اللقاء في مكتب هتلر الخاص في المستشارية. وقال موسوليني انه حمل معه من روما "اقتراحاً محدداً". ولم يخفَ على تشامبرلين ونظيره الفرنسي ادوار دالادييه أن ذلك الاقتراح صيغ بإيعاز من هتلر نفسه وأنه يعكس مطالبه التي أعلنها في غودسبرغ وسبق أن رفضها التشيكيون والبريطانيون والفرنسيون.

وفي إمكان المرء أن يعذر هتلر على

النتيجة التي خلص بها بعد الاطراء الذي أغدقه على اقتراح الدوتشي كل من دالادييه وتشامبرلين. وقد وصفهما لاحقاً بأنهما "دودتان حقيرتان."

وفي الدقيقة الثلاثين بعد منتصف الليل فرغ المختصون من ترجمة بنود "اتفاق ميونيخ"، وجلس الزعماء الأربعة لتوقيعه. وهكذا حصل هتلر على كل ما طلبه وحقق نصراً بيّناً. وبينما هو يهمّ بالانصراف أمكنني أن أقرأ علامات الانشراح عليه. فقد التمعت عيناه وراح ينزل السلم مختالا وقد غاب القلق عن وجهه.

"انصرّفوا بوحشية"

رحّب البريطانيون، صحافة ونواباً وشعباً، برئيس وزرائهم العائد واستقبلوه كبطل. وقال لدى وصوله: "ها نحن نعود من ألمانيا حاملين السلام المشرّف. وأقدّر انه سلام لزمننا كله." غير أن ونستون تشرشل وقف في مجلس العموم ليصف اتفاق ميونيخ بأنه "إخفاق ذريع شامل." وأرغم على الصمت حتى سكتت الأصوات المستنكرة. وبعد ذلك نال تشامبرلين ثقة النواب بأكثرية ٣٦٦ صوتاً في مقابل ١٤٤.

وفي فجر الخامس عشر من مارس (آذار) ١٩٣٩ أرسل هتلر قواته لاحتلال تشيكوسلوفاكيا وتنفيذ وعيده بمحو تلك الديموقراطية الصغيرة عن الخريطة. ولم تبذل بريطانيا العظمى ولا فرنسا أقلّ جهد لانقاذها.

ومن أجل أعطاء تشامبرلين حقه، لا بد من الاعتراف بأنه اكتشف خداع هتلر له أخيراً. وفي ٣١ مارس (آذار)، بعد انقضاء ستة عشر يوماً على دخول النازيين العاصمة التشيكية، وقف الزعيم البريطاني في مجلس العموم ليقول: "في حال أي إجراء يهدد استقلال بولونيا، سيكون لحكومة صاحب الجلالة ملء الحرية في منح الحكومة البولونية كل دعم ممكن."

ودُهش هتلر بادىء الامر ثم اغتاظ للضمان المفاجىء الذي قدمه تشامبرلين الى بولونيا وتبعته الحكومة الفرنسية في تقديمه. وبلغته الأخبار وهو مع الاميرال فيلهلم كناريس رئيس الاستخبارات الالمانية المضادة الذي قال لاحقاً ان الفوهرر راح يذرع الغرفة والغيظ يقلّص عضلات وجهه وهو يتوعّد البريطانيين صارخاً: "سأضعهم على سفّود يتقلّبون على نار كاوية."

وفي الأول من ابريل (نيسان) أعلن على الملأ: "لا نية لدى المانيا في مهاجمة الشعوب الأخرى."

انه هراء حقاً... فبعد يومين فقط أعطى هتلر، في اجتماع أحيط بالكتمان الشديد، اسم "القضية البيضاء" لعملية غزو بولونيا.

وبعد أسبوع في بولونيا تولدت لديّ قناعة بأن شعبها لا يستطيع صدّ عدوان ألماني، وإن يكن سيحاول ذلك اعتماداً على بأس جيشه. ولكن هل يضع البولونيون جيادهم في مواجهة المصفحات الالمانية؟ لقد بدا الجنود البولونيون الذين رأيتهم على ثقة كبيرة بأنفسهم.

وكمثل معظم الناس بقيت متمسكاً

بأمل السلام. ولو عرفت ما كان هتلر مزمعاً قوله لقادة جنده الشهر التالي، ولو أدركت أن ثمة ريحاً جديدة تهب من موسكو، لما راودتني تلك الأحلام الخادعة.

وفي ٢٣ مايو (أيار) من ذلك العام جمع هتلر في مكتبه ضمن مركز المستشارية في برلين قادة الوحدات العسكرية الثلاث وكبار مساعديهم وأخبرهم على نحو مباشر أن الحرب باتت أمراً محتوماً. وقال ان عليهم الانقضاض على بولونيا "في أول فرصة سانحة" واحتلال بلجيكا وهولندا المحايدتين من أجل تأمين قواعد جوية وبحرية لشن هجوم شامل على بريطانيا. وأضاف: "الحرب مع بريطانيا وفرنسا ستكون حرب حياة وموت. ومن الخطر الظن أن في استطاعتنا ربحها بسهولة."

وصدرت اشارات علنية عن موسكو كان ينبغي أن تجعلنا نعي ان الاتحاد السوفييتي لن يقف تلقائياً الى جانب فرنسا وبريطانيا في حال تعرضهما لعدوان ألماني.

وفي ٢٥ مايو (أيار) وجه هتلر أوامره الى وزارة الخارجية الالمانية للمضيّ في محادثاتها مع الاتحاد السوفييتي. وأعلن سفيره في موسكو أنه ليس ثمة تصادم مصالح في الشؤون الخارجية بين ألمانيا والاتحاد السوفييتي، وأن الوقت حان من أجل "تطبيع" العلاقات بين البلدين، وأنه في حال نشوء عدم تفاهم حول المسألة البولونية، فإن المانيا "ستضع المصالح الروسية في الحسبان ما استطاعت الى ذلك سبيلا."

وفي أغسطس (آب) وردت برقية تفيد أن ستالين كان يدري جيداً ما يبيّت هتلر من نيات. وما قصده هتلر لم يكن يقلّ عن قسمة أوروبا الشرقية، بما فيها بولونيا، بين ألمانيا والاتحاد السوفييتي. وأدرك الفوهرر تمام الادراك ان الحلفاء لن يستطيعوا منع تلك الخطوة.

وهلل ستالين للاقتراح. وقال السفير الالماني ان وزير الخارجية السوفييتي فياشيسلاف مولوتوف استفسره عما اذا كانت الحكومة الالمانية مهتمة لعقد معاهدة عدم اعتداء بين البلدين. الا أن هتلر لم يجرؤ حتى ذلك الحين على بلوغ هذا الحد في العلاقات. غير أن الأمر راقه لأن معاهدة من هذا النوع تعني إبقاء الاتحاد السوفييتي خارج العمليات الحربية والتهويل على بريطانيا وفرنسا للبقاء خارجاً وتمكينه من أخذ بولونيا وحده. وأعلن هتلر المعاهدة في ٢١ أغسطس (آب) قبل عشرة أيام من تصميمه على غزو بولونيا.

وفاتني ذلك النبأ، ولم أصدقه بادئ الأمر حين نقله اليّ اد مارو هاتفياً في المساء. ولم يسبق إعلان المعاهدة أي تلميح بإمكان ابرامها.

ووقعت المعاهدة في ٢٣ أغسطس (آب). وكان هتلر قبل يوم واحد جمع قادته العسكريين وخطب فيهم بحماسة وهم على وشك اجتياح بولونيا. ومما قاله: "أقصوا الشفقة عن قلوبكم وتصرفوا بوحشية. ان المسألة متعلقة بثمانين مليون شخص يجب أن يحصلوا على حقوقهم. وكل من يتأمل في نظام هذا العالم يدرك أن مغزاه يكمن في تحقيق الأفضل من طريق القوة."

هذا اذاً موقف أدولف هتلر من الوجود. وهو لم يعبّر عنه على هذا النحو الواضح قبل ذلك الحين.

سقوط باريس

"الهجوم المضاد"!

هكذا سمى أدولف هتلر وقادته العسكريون عدوانهم ضد بولونيا فجر الجمعة في الفاتح من سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩.

وفيما اندفعت ألوف الدبابات التي تقل الجنود الالمان عبر الحدود، راحت مئات الطائرات الحربية الالمانية تمطر الموت والدمار من السماء دونما تمييز بين أهداف عسكرية وغير عسكرية. وطاولت قذائفها ملايين المدنيين في المدن والقرى البولونية. وكان ذلك أضخم أعمال التخريب الآتية من الجو.

وبعد يومين وأنا واقف تحت شمس الظهر المشرقة في شارع فيلهلم قبالة مركز المستشارية، بثت مكبرات الصوت فجأة أن بريطانيا أعلنت الحرب ضد المانيا. وبعد وقت ليس بطويل برّت الحكومة الفرنسية أيضاً بتعهدها تجاه بولونيا. وكان يحيط بي نحو ٢٥٠ شخصاً أصغوا بانتباه الى الاعلان. ولدى انتهاء تلاوته ظلوا واقفين بوجوم وهم لا يدرون أن هتلر دفعهم دفعاً الى حرب أوروبية.

وبدا واضحاً منذ أيام القتال الاولى في بولونيا أنه لن تكون ثمة "جبهة" كما كانت الحال في الحرب العالمية الاولى. وكان لواء المدرعات يتقدم بضعة كيلومترات يومياً، فيما تدهشنا الأنباء الواردة يوماً بعد يوم. وقد وُصفت تلك الحرب بأنها "حرب خاطفة". وفي أيام ستة سيطر الالمان على كراكوف، المدينة الثانية في بولونيا. وفي ٨ سبتمبر (أيلول) دخلوا فرصوفيا. ودوّنت الآتي في مفكرتي: "فيما يتم اجتياح بولونيا، يقول الالمان انهم لم يسمعوا طلقة رصاص واحدة في الجبهة الغربية."

وبعد ركود القتال العنيف في بولونيا دعا الألمان المراسلين الأمريكيين الى زيارة "الجبهة". و"صادف" أن كنا في دانزيغ لنسمع هتلر يلقي خطابه السلمي الأول. ومما قاله: "ليست لديّ أهداف حربية في بريطانيا وفرنسا." وسأل الله العلي "الذي نصر الألمان في حربهم أن يمنح الشعوب الاخرى ادراك عدم جدوى الحروب والتفكير في السلام."

خطاب سلمي، نعم، من ذاك الذي قضى على بولونيا بالحرب.

وفي تلك الأثناء باشر الجيش الأحمر عملياته في اتجاه بولونيا صباح السابع عشر من سبتمبر (أيلول).

واستمرت الحرب على ذلك المنوال طوال العام ١٩٣٩. وباستثناء بعض الهجمات البحرية لم يحصل أي هجوم أرضي أو جوي. وعندما تجرأت المقاتلات البريطانية على التحليق فوق برلين، لم تفعل ذلك بهدف إلقاء القنابل، بل لرمي المناشير. وهي كانت مكتوبة بلغة المانية ركيكة. ولكن مع اقتراب ربيع ١٩٤٠ بدا أن الحرب على وشك اكتساب الزخم وربما الانتشار. وهنا مقاطع مما دوّنته في مفكرتي وأنا في برلين:

"٩ أبريل (نيسان) - عند الفجر

اجتاحت القوات النازية دولتي الدانمرك والنروج المحايدتين بهدف "حماية حريتهما واستقلالهما" كما جاء في بيان رسمي... يا له من نبأ مذهل."

وفي فجر العاشر من مايو (أيار) ضرب هتلر غرباً. وجمع أقوى جيش شهدته تلك الجبهة لاجتياح ثلاثة بلدان صغيرة كان وعد بعدم التعرض لها، وهي هولندا وبلجيكا واللوكسمبور. وفي مفكرتي وصف مختصر لما حدث يوماً بعد يوم:

"١٤ مايو (ايار) - صعقتنا جميعاً الأخبار هذا المساء. فالجيش الهولندي استسلم بعد خمسة أيام فقط من المقاومة."

"١٥ مايو (أيار) - وجوه المراسلين والديبلوماسيين الأجانب تحمل اليوم علامات الانشداه، بعدما أعلنت القيادة الالمانية العليا أنها اخترقت خط ماجينو بالقرب من سيدان."

"٢٩ مايو (أيار) - استولى الالمان على مدن ليل وبروج واوستند. وقصفوا ايبر ودنكيرك... والأخبار اليوم تتوالى بلا انقطاع."

لقد أمّن هتلر لنفسه قواعد جوية في فرنسا وبلجيكا وهولندا، يمكن استخدامها لقصف بريطانيا. غير أني ما زلت متمسكاً بالأمل، وإن ظننت أنها النهاية بالنسبة الى الفرنسيين.

جاءتنا أنباء الاذاعة في الاولى بعد ظهر الرابع عشر من يونيو (حزيران) ببيان صادر عن القيادة العسكرية العليا قرأه أحد المذيعين: "الجبهة الفرنسية الممتدة من القناة الانكليزية (بحر المانش) الى خط ماجينو انهارت تماماً، الأمر الذي قضى على نية القادة الفرنسيين الأساسية الرامية الى الدفاع عن العاصمة. لذلك تمّ إعلان باريس مدينة مفتوحة. وقد باشرت القوات المنتصرة الزحف عليها."

ثأر هتلر

بينما أنا أغادر مكتبي في الاولى فجراً بعد رسالتي الاذاعية الأخيرة، طلب مني هارالد ديتريتش، وهو ألماني شريف وصديق ومدير قسم الارسال بالموجة القصيرة، مرافقته الى باريس في سيارته المرسيدس. وعرفت أنه دعاني على رغم معارضة وزارة الدعاية لذهابي، وهي منظمة تلك الرحلات الى الجبهة.

والذهاب الى باريس في ذلك اليوم الصيفي الجميل الواقع فيه السابع عشر من يونيو (حزيران) لم يكن بالأمر المبهج. وفيما نحن نقطع الشوارع الأليفة حيث أمضيت سنوات حياتي الذهبية وأنا في أواسط العشرين، أحسست ألماً ناخراً في معدتي. ووددت لو أني لم آتِ. ومما زاد ألمي أن مرافقينا من العسكريين الالمان كانوا مغتبطين.

أما شوارع باريس، وهي عادة تعج بالناس في هذه الساعة من أيام الصيف، فكانت مهجورة وقد سدلت الستائر بإحكام على واجهات المحلات المقفلة. ولم يظهر في الطرق أي رجل أو امرأة أو طفل.

وفجأة برز أمامنا منظر لا يُنسى: ساحة الكونكورد ونهر السين ومجلس النواب. وفوق بناء المجلس رفرف الشعار النازي وقد بدت وراءه قبة الانفاليد حيث ضريح نابوليون.

اشترك في يانصيب كندا العالمي الشهير

مليون دولار نقداً*

قد تكون من نصيبك

جوائز فورية تصل الى ١٠،٠٠٠ دولار!

▪ ١١٦ سحباً في السنة! ▪ جوائز مقدارها ٣٠ مليون دولار كل شهر!

٣٦٠ مليون دولار يربحها المشتركون سنوياً في ثلاثة سحوبات كندية رئيسية. وفي كل شهر يربح المشتركون اربع جوائز بقيمة مليون دولار. أكثر من ٥٠٠ من حاملي أوراقنا السعيدي الحظ صاروا أصحاب ملايين خلال السنوات الخمس الماضية. والآن بات في امكانك الاشتراك في سحوبات اليانصيب الكندي، وهي السحوبات التي تعتبر صاحبة الرقم القياسي في المبالغ التي تدفعها للرابحين في العالم. اشترك لمدة سنة واحدة ويصبح لك الحق في الاشتراك في ١١٦ سحباً. ففي كل شهر، ولمدة ١٢ شهراً متتالية، تتسلم البطاقات المشروحة في ما يأتي:

الـ٦٠٠ دولار، قيمة اشتراكك، تخولك في كل شهر ولمدة ١٢ شهراً الاشتراك في عدد مدهش من سحوبات يبلغ مجموعها ١١٦ سحباً:

- بطاقة يانصيب "سوبر".
- بطاقتان اقليميتان (بروفنجال).
- خمس بطاقات "وسترن - اكسبرس"
- بطاقات جوائز فورية تصل قيمتها الى ١٠،٠٠٠ دولار، وهي تبقى في حوزتك للاشتراك في السحوبات السنوية.

تصلك بطاقاتك في كل شهر ضمن مغلف مختوم... وهي تختم حال طباعتها بواسطة نظام الكمبيوتر الخاص بيانصيب الحكومة الكندية الاقليمية. والبطاقات لا تحمل اسماء او عناوين، والارباح لا تخضع للضرائب.

فبطاقات اليانصيب الكندية هذه هي فريدة في نوعها، اذ ان جميع السحوبات تجرى على البطاقات المبيعة فعلاً، وليس على ارقام كمبيوترية قد تكون بينها ارقام بطاقات غير مبيعة.

نسبة حظك في الربح هذه السنة هي واحد من أربعة!

اليانصيب الكندي يقدم احتمالات غريبة مستحبة. فخلال الـ١٢ شهراً المقبلة تكون لديك:

- ٤٨ فرصة لربح مليون دولار.
- ١٢٠ فرصة لربح نصف مليون دولار.
- ٤٨٠ فرصة لربح ١٠٠،٠٠٠ دولار.
- ٤٨٠ فرصة لربح ٥٠،٠٠٠ دولار.
- ١٥٢٤ فرصة لربح ١٠،٠٠٠ دولار.
- آلاف الفرص لربح ٥٠ دولاراً حتى ٥،٠٠٠ دولار.

زائداً، جوائز فورية تصل الى ١٠،٠٠٠ دولار بالاضافة الى السحوبات المنتظمة. وبخلاف سحوبات اليانصيب الاخرى، من المضمون اشتراك رابحي الجوائز الفورية وبصورة متتابعة في جميع السحوبات الشهرية.

كيف تعرف انك ربحت؟

في كل شهر تتسلم نشرة رسمية تتضمن الارقام الرابحة خلال الاسابيع الاربعة الاخيرة. وما تربحه لا يخضع لأي ضريبة، وفي امكانك تقديم ورقة اليانصيب الرابحة الى المصرف آو آي عنوان تختاره. وتتم معاملة القبض بالكتمان، ويبقى اسمك غير معروف. وتبقى جميع البطاقات الرابحة صالحة للاشتراك في السحوبات لمدة سنة واحدة.

★ يجرى دفع المبالغ التي تربحها بالعملة الكندية الثابتة. وارباحك تكون معفاة من الضريبة وترسل مكتومة الى المصرف او اي عنوان تختاره. وقد تخضع هذه الارباح لقوانين الضرائب في مكان اقامتك

تسلم ارباحك المعفاة من الضرائب بسرية تامة

اشترك فيه الآن واستمتع بالاثارة طوال العام!

لا يمكنك ان تربح من دون بطاقه. اشترك اذن الان. ولن يكلفك الاشتراك لمدة سنة اكثر من ٦٠٠ دولار امريكي وهذه القيمة تشمل جميع رسوم الخدمات بما فيها اجور البريد وغلافات البطاقات وفوائم الارقام الرابحة المصادق عليها. ولكي تحصل على فرصة العمر للربح الوفير. املا القسيمة وارسلها مرفقة بشيك (بالدولارات الامريكية فقط)

الشيك مدفوع لامر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى

Capital Distribution Services 1009
220 Portage Avenue
Winnipeg. Manitoba R3C OA5 CANADA
TELEX 07-55-871 PHONE 204-947-6743

او ادفع بواسطة بطاقة **AMERICAN EXPRESS**

املا القسيمة. وارفق شيكا مدفوعا لامر **International Lottery Distributors**

ارسل الشيك والقسيمة الى **Capital Distribution Services 1009**
220 Portage Avenue
Winnipeg, Manitoba R3C OA5 CANADA

- ■ ٦٠٠ دولار لمدة ١٢ شهراً للاشتراك في برنامج السحب الكندي.
- ■ ٣٥٠ دولاراً اشتراكا تجريبيا لمدة ٦ اشهر.

الرجاء الكتابة بوضوح او على الآلة الكاتبة

الاسم الكامل ____________________

____

الشارع ____________________

____

ص ب ________ المدينة ________

هاتف ________ تلكس ________

او ادفع بواسطة بطاقة

American Express
☐ **Card N°** ____________________

Expiration
Month ________ **Year** ________

Signature ____________________

ARRD 08 85

DISTRIBUTION SERVICES
OF CANADIAN GOVERNMENT LOTTERIES.

▶ واجتمعت بصديقين قديمين هما ديماري بس من صحيفة "ساترداي ايفنينغ بوست" وولتر كير من صحيفة "هيرالد تريبيون" الصادرة في نيويورك. وهما المراسلان الأمريكيان الوحيدان اللذان لم يتبعا الحكومة الفرنسية في فرارها الى بوردو. ومما جاء في مفكرتي:

"قال ديماري ان الذعر في باريس كان يفوق الوصف. وعجزت الحكومة عن استخدام نفوذها. ولم يقلّ عدد الذين هربوا من المدينة عن ثلاثة ملايين من أصل ملايينها الخمسة. وهم فروا على أقدامهم نحو الجنوب من غير حقائب ولا أمتعة."

وبعد إصغائي الى صديقيّ انطلقتُ الى الشوارع ورحت أتحدث الى الفرنسيين القلائل الذين بدأوا يظهرون هنا وهناك. وخرجت بالنتيجة الآتية:

"ما نشهده هنا في باريس هو الانهيار التام للمجتمع الفرنسي. أجل، انه انهيار الجيش والحكومة ومعنويات المواطنين. وهو أمر جلل يفوق التصديق."

وفي اليوم التالي سرت الى فندق كريون الذي اتخذه الالمان مقراً عسكرياً لهم، علّي أحصل على أخبار. وعرفت من الضباط الالمان المتهللين أن الهدنة ستعلن سريعاً. وقال أحد أصدقائي انه قد يتمكن من تزويدي بعض الأنباء الأكيدة في الغد. وقد وفى بوعده. وعوّلتُ على ما أعطانيه كي أستهل مفكرتي لمساء ١٩ يونيو (حزيران):

"سيتم توقيع الهدنة في بلدة كومبيان. وهذا سيجرى في القاطرة نفسها حيث وقع الماريشال فوش هدنة الحادي عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ في غابة كومبيان. لكن الالمان لم يعلنوا هذا الأمر بعد."

انه الثأر بالنسبة الى الزعيم النازي.

ولن أنسى ما حييت عصر الحادي والعشرين من يونيو (حزيران) ١٩٤٠ حين وقفت في غابة كومبيان لأراقب عن كثب انتصار هتلر الأخير والأعظم. وغمرت المكان شمس قوية ملأت المعابر ظلالا جميلة. وهي معابر متفرعة من خلاء دائري صغير تقوم في وسطه قاطرة الماريشال فوش. ها هو المسرح اذاً، هُيىء لكي يتذوق هتلر طعم انتصاره الكبير.

سبق صحافي

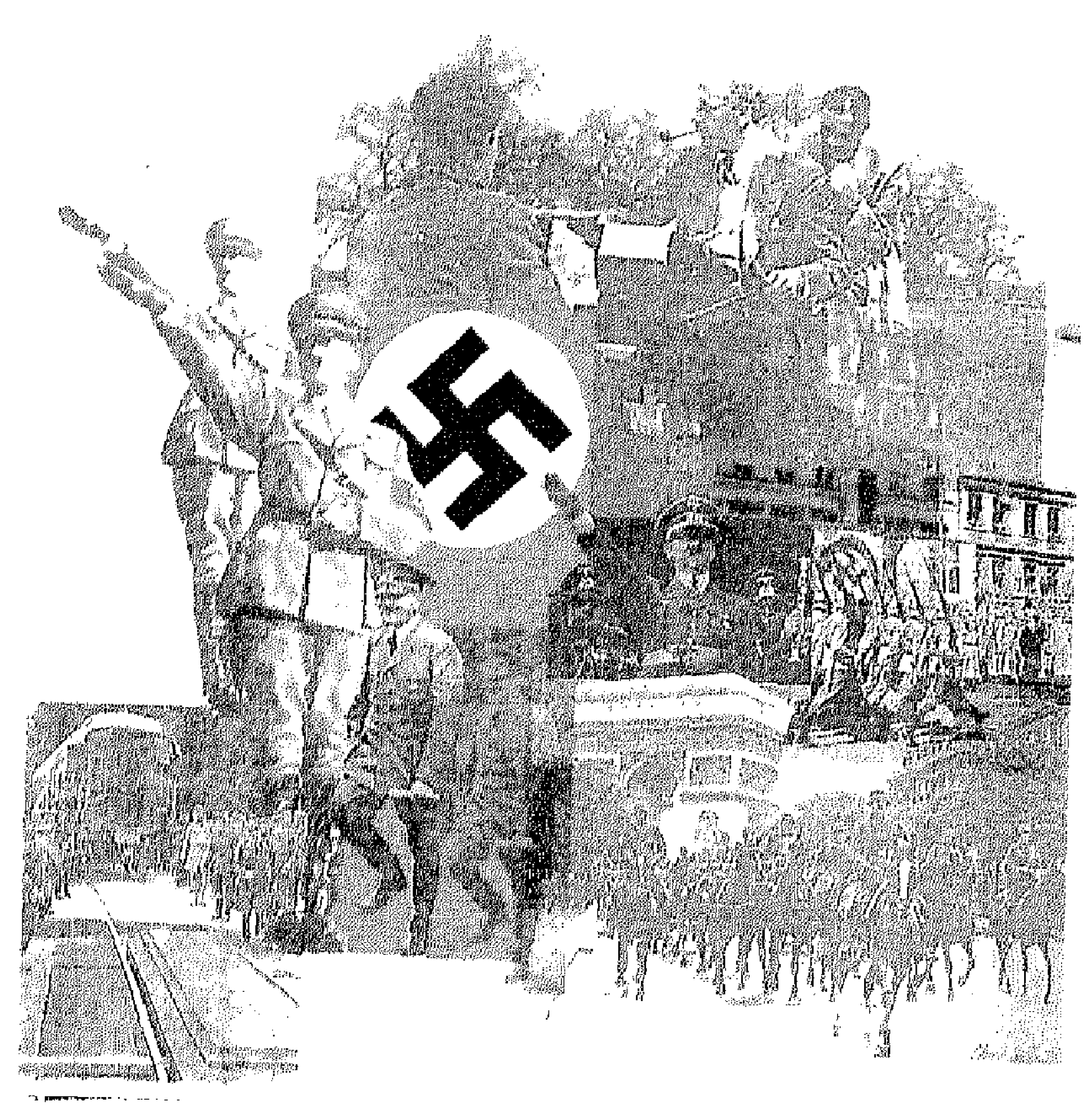
في الثالثة والربع عصراً وقفت أراقب الفوهرر وأتباعه وهم يفدون في قافلة من سيارات المرسيدس. ووصل هتلر الى وسط الخلاء بينما رايته الخاصة تُرفع على عمود. ثم رأى حجر صوّان ضخماً مع كتابة عليه، فاتجه نحوه. وتساءلت عما يكون رد فعله وهو يسمع ترجمة ما كُتب عليه (بالفرنسية). أما أنا فقد حفظت تلك الكلمات البسيطة عن ظهر قلب. وكانت، كلما تذكرتها، تثير فيّ رعشة:

"هنا في الحادي عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٨ انهارت كبرياء الامبراطورية الالمانية الجائرة بعد دحرها على أيدي الشعوب الحرة التي حاولت استعبادها."

ودوّنتُ في مفكرتي ما يأتي:

"هتلر قرأ تلك الكتابة، كما قرأها مرافقوه جميعاً وهم واقفون هناك بصمت تحت شمس يونيو (حزيران). ونظرت الى وجه هتلر عليّ أعرف انطباعه. وطالما راقبت ذلك الوجه في ساعات حياته الكبيرة. لكنه اليوم ملتهب حقداً وغيظاً ومقتاً وثأراً... وانتصاراً.

هتلر أمر بإعادة جميع المراسلين الأجانب والألمان الى برلين حيث كان سيذهب هو نفسه لاحقاً، على أن يصدر الخبر الرسمي من هناك عما حل بالهدنة. وجميع مراسلي الصحف الأمريكية الذين تحدّثت اليهم قالوا انهم سيتقيدون بالتعليمات ويعودون أدراجهم الى العاصمة الالمانية. أما أنا فارتأيت البقاء.



وسر أحد أصدقائي الضباط لقراري إذ وجد فيه تحدياً للفوهرر الذي يمقته. لكنه نبّهني الى أن هتلر أمر بمراقبة جميع المراسلات الاذاعية ذلك اليوم في برلين، وعدم إرسالها الى الولايات المتحدة قبل اعطاء موافقته الشخصية.

ومهما يكن فان تقريري قائم على شهادة عيان.

وفي الثامنة والربع مساء باشرت قراءة التقرير بعدما فتح الجيش والاذاعة الالمانية الخط الى برلين. وجاءت رسالتي ارتجالا من نقاط دوّنتها في نصف ساعة بعد توقيع المعاهدة. وأنساني الموقف الحماسي أن ما أفعله لا يتجاوز تسجيلا صوتياً ستتم مراقبته في برلين. ولكن ربما ألهمني حدسي ان السلطات الالمانية ستتساهل في الأمر وتبث الرسائل من غير مراقبة.

ونمت طويلا في الصباح التالي واستيقظت على قرع الباب. وكان زائري

"وفجأة ارتعش جسمه كله ليعكس مزاجه في تلك اللحظة. ومرر يديه على شفتيه وهز كتفيه وباعد بين قدميه... انها وقفة التحدي الكبير لهذا المكان وما جسّده طوال السنوات الاثنتين والعشرين التي أعقبت إذلال الامبراطورية الالمانية."

بهذه النفسية قاد هتلر وفده الى القاطرة وجلس في مقعد الماريشال فوش. وبعد خمس دقائق وصل المبعوثون الفرنسيون. وعلى رغم الارتباك الظاهر على وجوههم فهم حافظوا على كبريائهم. وكان هتلر يقصد تحقيرهم.

وفي اليوم التالي توجهت باكراً الى كومبيان بعدما زوّدني صديق من القيادة الالمانية العليا معلومات مفادها أن المدنة التي ستضع فرنسا خارج الحرب ستوقع في وقت باكر من هذا اليوم. وهناك سبب آخر دفعني الى الذهاب باكراً. فقد علمت وأنا أتناول الفطور أن

الزميل ولتر كير الذي بادرني: "لقد حققت سبقاً صحافياً عالمياً أمس. واني أهنئك من صميم قلبي."

وأوضح أنه لبث في مكتب "الهيرالد تريبيون" يصغي الى اذاعات نيويورك، خصوصاً شبكة «CBS» ، على الموجة القصيرة. وأضاف أن تقريري حول توقيع الهدنة ووصف ما جرى في كومبيان كان سبقاً من حيث محتواه وتوقيته، وأن التقارير التي تلته جاءت بعده بساعات.

والحق أن ما أنجزته كان ضربة حظ. فالمراقبون في برلين بثوا رسالتي خطأً على الموجة القصيرة فور قراءتها من كومبيان. لكن أصدقاء لي في القيادة العليا لمّحوا لاحقاً بأن هتلر نفسه شاء نقل أخبار الهدنة الى الولايات المتحدة في أسرع وقت ممكن لكسب الشعبية هناك.

وتلبثت قليلا في باريس. وكانت أيام يونيو (حزيران) الأخيرة على ضفاف السين مشرقة جميلة. الا أن كآبة أتت عليّ، مصدرها أني لم أعد أفهم الفرنسيين الذين أُعجبت بهم وأحببتهم خلال إقامتي الماضية وعملي في باريس. أجل، لم أفهم لماذا لم يحاربوا كما فعل آباؤهم في الحرب الماضية ضد الغزاة الالمان. ولم أفقه ترحيبهم أو ترحيب غالبيتهم بالهدنة وغفلتهم عن الذل الذي لن يلبثوا أن يختبروه تحت النير النازي.

وبعد ٤٣ سنة عادت بي الذكريات الى تلك الايام الجميلة من يونيو (حزيران) في باريس، حين استسلم الفرنسيون للألمان من أجل الحفاظ على وجه عاصمتهم الفاتن. وكنت عصر ذلك اليوم المشمس والبارد الواقع فيه الحادي والثلاثون من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٣ في مقبرة بيسكاريوفسكوي التذكارية في لينينغراد. هذه المدينة كانت هي أيضاً فاتنة، لا بل كانت أجمل مدن روسيا على الاطلاق. ولكن حين اقترب منها الالمان بعد سنة، في سبتمبر (أيلول) ١٩٤١، عقد الروس العزم على الدفاع عنها. وقد استماتوا فعلا في دفاعهم خلال أيام الاحتلال التسعمئة التي شهدت ثلاثة فصول شتاء لا يذكر الناس مثيلا لقسوتها والتي قضى فيها السكان جوعاً وبرداً كما يقضي الذباب. ودفن نصف مليون منهم في مقبرة بيسكاريوفسكوي. وفيما أنا أسير بين تلك المدافن الجماعية، لم أملك الا أن أتساءل: ما الذي دفع هؤلاء الناس الى الدفاع ثلاث سنوات عن مدينتهم ورفض الاستسلام؟ ومن ذا الذي يفعل فعلهم على أرضنا هذه؟ بالطبع، الفرنسيون الذين شاهدتهم في باريس صيف ١٩٤٠ لا يفعلون شيئاً من هذا القبيل. هل يفعله بنو قومي إذاً؟"

الوداع

في ١٦ يوليو (تموز) ١٩٤٠ أعلن على الملأ للمرة الاولى في برلين أن هتلر بات مستعداً لغزو بريطانيا. غير أن الالمان ترددوا حيال تنفيذ ذلك الأمر. فجيشهم المنتصر لن يستطيع سحق القوى البريطانية الضعيفة ما لم يعبر بحر المانش أولا. وهذا البحر ضيّق جداً بين بلدة كاليه الفرنسية وبلدة دوفر البريطانية بحيث يتمكن المرء في الايام

الصافية الجو من رؤية الجهة المقابلة. واضطر الالمان الى إرجاء ذلك الاجتياح الى أجل غير محدد بعد إخفاق محاولتهم في ١٧ سبتمبر (أيلول) التي سموها "عملية النسر". وهي محاولة حشدوا لها أضخم قوة جوية مغيرة عرفها العالم.

وكانت معلومات موثوق بها وردتني، مؤداها أن هتلر سيستولي على مضيق جبل طارق في اسبانيا اذا أخفق هجومه على بريطانيا واضطر الى تأجيله. وهذا يعني أن عائلتي في جنيف لن تستطيع الفرار منها. والطريقة الوحيدة الباقية لبلوغ الولايات المتحدة هي اختراق الجزء غير المحتل من فرنسا وصولا الى اسبانيا، ومنها الى العاصمة البرتغالية لشبونة. ووافقت زوجتي على مضض انه من المفضل اغتنام الفرصة المتاحة ومغادرة جنيف مع طفلتنا آيلين. ورافقتهما الى الحافلة السويسرية التي أقلتهما الى مطار جنيف فجر ٢٣ اكتوبر (تشرين الثاني).

كان ذلك كل ما أمكنني فعله ليتسنى لي الذهاب الى المانيا في اليوم التالي. وفي الآونة الأخيرة راودني شعور بأنه لم يعد في مقدوري قول الحقيقة من ذلك المكان، الى شعوري بأن السلطات الالمانية تضيّق الخناق عليّ. ولم يكن ذلك بالوهم. فقد حصل صديق ألماني حميم يعمل في الاذاعة على برقيات عني وردت من السفارة الالمانية في واشنطن، كما حصل على ردود الفعل التي أثارتها تلك البرقيات في برلين. وأهم ما جاء فيها أن سفارة المانيا في العاصمة الأمريكية، ولاسيما ملحقها العسكري، على قناعة بأني جاسوس يستخدم بعض الكلمات الرمزية في تقاريره الاذاعية.

ولم تكن لدي نية السماح للنازيين بتصنيفي في خانة الجواسيس.

ولأسبوع كامل لم أسمع خبراً من تس. وأخيراً في مطلع نوفمبر (تشرين الثاني) اتصلت بي سفارتنا لتقول انها وصلت الى البرتغال سالمة. وذلك طمأنني كثيراً.

وفي الخامس من نوفمبر (تشرين الثاني) أضفتُ الى مفكرتي المزيد من الأخبار الطيبة: "اذا سار كل شيء حسناً، فسأغادر هذا المكان بعد شهر."

وظللت أسبوعاً أنعم النظر في طريقة تهريب الدفاتر التي دونت فيها يومياتي. وهي تحوي من المعلومات ما يكفي لتعليقي على عود مشنقة. وفجأة اتضح لي الحل صباح تسلمي جواز سفري مع تأشيرة الخروج، وإن كان ينطوي على خطر.

أنوار أوروبا

وضعت دفاتري في حقيبتين كبيرتين من معدن، وفوقها تقاريري الاذاعية التي ختمت الرقابة العسكرية والمدنية كل صفحة من صفحاتها. ووضعت فوق ذلك كله بعض خرائط القيادة العامة التي حصلت عليها من أصدقائي. ثم اتصلت بمقر الشرطة السرية في ساحة الكسندر، وقلت ان لدي حقيبتين مليئتين بالمراسلات والتقارير التي أريد إخراجها معي. وأضفت اني مسافر فجر اليوم التالي، وان ضباط الشرطة في المطار لن يكون لديهم الوقت للتدقيق في المحتويات. وسألتهم ما اذا كان في

استطاعتهم مراقبة الحقيبتين وختمهما ان أنا حملتهما اليهم في تلك اللحظة.

وجاءني جواب أحد المسؤولين: "احمل الحقيبتين وسنلقي نظرة عليهما."

وبعد المكالمة قلت لنفسي: "أليس ما أفعله تحدياً للأقدار؟ وكيف لجماعة الغستابو الصارمين إلا أن يتشمموا اليوميات تحت الأوراق المختومة؟" واذا حصل ذلك فهو يعني نهايتي. وربما كان أفضل حل أن ألقي تلك الدفاتر في المرحاض وأفتح عليها الماء. ومن ناحية أخرى خمنت أن الغستابو لن يسمحوا بأخراج الخرائط من البلاد، خصوصاً في ظل الحرب، لأنها تحمل ما يعد أسراراً عسكرية. وهكذا تركت الخرائط فوق المواد جميعاً حتى يكون لضباط الشرطة ما يصادروه فيشفي غليلهم.

وتم كل شيء كما توقعت. وبادر المسؤولان اللذان استقبلاني الى مصادرة الخرائط. واعتذرت على حملها قائلا اني نسيت تركها في اللحظة الاخيرة. وبعد ذلك دقق الاثنان في أختام الرقابة على الاوراق. وبدا عليهما التقدير. أما انا فقلت لنفسي انهما لن يلبثا حتى يصلا الى تحت.

وسأل أحدهما: "ان رسائلك تدور على الجيش الالماني... أليس كذلك؟"

وأجبت: "أجل، فأنا رافقت الجيش الالماني الى باريس ومن هنا الى كومبيان حيث تم توقيع الهدنة. وهو جيش عظيم حقاً، وقد استوحيت منه أعظم التقارير التي ستدخل صفحات التاريخ."

ويبدو أن ذلك حسم الأمر.

وقال أحدهما: "أوكي." وبدا فخوراً بنطقه تلك العبارة الانكليزية، فيما أحضر الآخر سلكاً معدنياً وربط الحقيبتين اللتين مهرهما بأختام كثيرة. وحاولت ألا اسرف في التعبير عن شكري. وفي الخارج أوقفت سيارة أجرة أقلّتني الى المطار. وهناك أرسلت الحقيبتين فوراً الى الطائرة.

ومن مفكرتي:

"استوريل، جوار لشبونة، ٧ ديسمبر (كانون الاول) – لشبونة والنور والحرية والصحة... أخيراً!"

وأعلمتني شركة "بان أميركان" ان الاحوال الجوية السيئة تمنع إقلاع طائرتها. ونصحني المسؤولون بأخذ باخرة "اكسبورت لاين" الاسبوعية، وبجعل رحلتي في الثالث عشر من ذلك الشهر اذا شئت بلوغ نيويورك قبل عيد الميلاد.

وكان ألوف اللاجئين ينتظرون دوراً لهم على تلك السفن الصغيرة. ووعد المدير المحلي للشركة بتأمين مكان لي، وان تعيّن علي النوم على مقعد في غرفة الجلوس. فقلت له ان ذلك لا يهمني.

وبدا القمر بدراً كاملا فيما السفينة تبتعد عن مرساها. ووقفت طويلا على حافتها أراقب الانوار الخافتة في القارة الاوروبية التي كانت مأواي ومركز عملي لأكثر من خمس عشرة سنة والتي أمدتني بالكثير من السعادة الشخصية وتحقيق الذات. اما الآن فقد خيم عليها ليل طويل حالك وقاس. ولقد راقبت دنوه سنوات وحاولت وصفه وهو يتجاوز كل تعبير. ولكوني غريباً أسعفني الحظ في الهرب بعيداً عن ذلك السواد. لكن الذين خلّفتهم ورائي حُرموا نعمة الفرار. وكل ما أمكنهم



فعله هو الصمود من يوم الى يوم تحت قنابل النازيين واضطهادهم، علّ يوماً يأتي حاملا النور من جديد.

وبقيت مسمّراً الى حافة السفينة وقتاً لا بد من أن يكون استغرق ساعات حتى انحلّت انوار الشاطىء الى ظلام وغابت أوروبا عن الانظار.

بعد سنوات خمس، وكانت الحرب انتهت وحل العام ١٩٤٥، زرت المانيا. وكان "حكم الألف سنة" الذي طمح اليه هتلر تلاشى في بدايته ومات صاحبه بعدما خسر الحرب التي منحته انتصارات كثيرة. وغرقت المانيا في بحر من دمار. وبدا الناس في ذهول واستسلموا للبرد

والجوع. والقادة النازيون الذين لم يقدموا على الانتحار كما فعل الفوهرر باتوا أسرى في نورمبرغ، انتظاراً لمحاكمتهم على الجرائم التي ارتكبوها في حق الانسانية بعدما أفلتوا زمناً من قبضة العدالة.

وفي برلين، حيث راقبتهم عن كثب خلال حكمهم المتهوّر الطائش، رحت أجوس الشوارع وسط تلال الحطام وأنظر عن جانبيّ فأرى الأبنية المقصوفة وأتأسف لكل ما جرى. وسرّحت نظري الى أبعد مجال فلم أجد مبنى واحداً سالماً من الأذى. وكان الركام في كل مكان والغبار يتطاير. ورأيت الجرّافات تعمل على تنظيف الشوارع كيما يتسنى لسيارة واحدة المرور في كل اتجاه.

ولم يبقَ الكثير من مقر المستشارية حيث عاش أدولف هتلر وعمل ومات. ونتأت بعض القضبان المعدنية من بين الحطام. ووقف حارس من الجيش الأحمر في الباب المؤدي الى غرفة هتلر المحصنة تحت الارض. وتأكد لي أن هتلر لم يقضِ كما قالت أبواق الدعاية النازية "على نحو بطولي وهو يدافع حتى الرمق الأخير ضد البولشفية."

والواقع أن أدولف هتلر انتحر في غرفته المحصّنة بجانب عشيقته ايفا براون التي اتخذها زوجة شرعية في الساعات الأربع والعشرين الأخيرة من حياته. وهي تناولت السم وقضيا معاً. وقد انتحر هتلر عند إطباق القوات السوفييتية على المستشاريّة وقصفها من مسافة قريبة جداً. وكانت وفاته في الثالثة والنصف عصر الاثنين الواقع فيه الثلاثون من ابريل (نيسان) ١٩٤٥، بعد مرور عشرة أيام على عيد ميلاده السادس والخمسين واثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر على اليوم الذي أصبح مستشاراً لألمانيا.

■ وليم شايرر



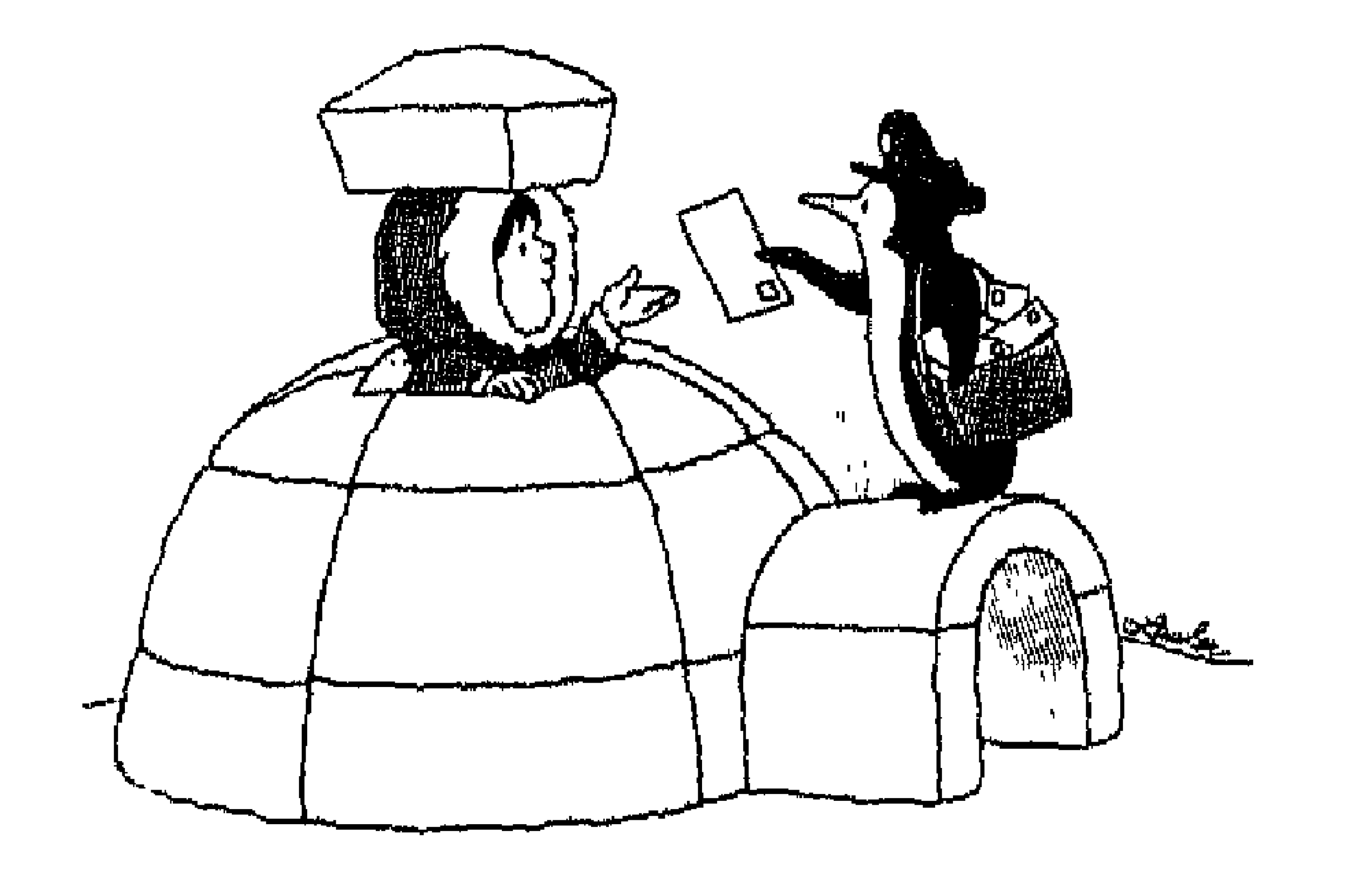
التعليق الصحافي

قال الصحافي الأمريكي رصل بيكر: "أصعب ما في التعليق الصحافي اليومي العثور على موضوع يهم القراء في يوم معين من غير ان يخرج عن اهتمام الكاتب. الا اني أحب كتابة التعليقات مهما بلغت مشقتها. فالذي يلقي همومه على مليون قارىء لا يحتاج الى طبيب نفسي."

مجلة "جيو"

سوف يبقى على الدوام من يقلق على العالم فيما بيته ينهار ومن يقلق على بيته فيما العالم ينهار.

ا.س.



حكايات من العالم

الاثنين في هنغاريا

مساء كل اثنين تغصّ شوارع هنغاريا (المجر) بالناس الذين يخرجون من بيوتهم لارتياد دور المسرح والسينما ومعارض الرسم والمطاعم والمقاهي. ولكن لماذا الاثنين بالذات؟ الجواب أن هذا اليوم هو يوم العطلة الاسبوعية الرسمية للتلفزيون.

ل.ب.

هاتف المسافر

درجت العادة لدى كثير من المسافرين أن يتصلوا بذويهم لطمأنتهم الى وصولهم سالمين.
وتسهيلا لهذا الأمر تولّت إدارة مطار لاغوارديا في مدينة نيويورك وضع أجهزة خاصة تمكن المسافرين عبر البرّ الامريكي وهاواي وبورتوريكو وألاسكا والجزر العذراء من الاتصال الهاتفي بذويهم في مقابل نصف دولار.
وحذا مطارا سان فرنسيسكو وبوسطن حذو مطار نيويورك، فوضعا أجهزة هاتف في أماكن عدة لنقل رسائل المسافرين الى ذويهم. ووضعت هذه الأجهزة الخاصة بالقرب من الأجهزة العادية، وجُعلت لها علامات خضراء وبيضاء ليكتشف المسافرون أمكنة وجودها بسرعة. وصُممت الأجهزة بحيث تنقطع المكالمة تلقائياً بعد نصف دقيقة.

صحيفة "نيويورك تايمس"

مصرف الشعر

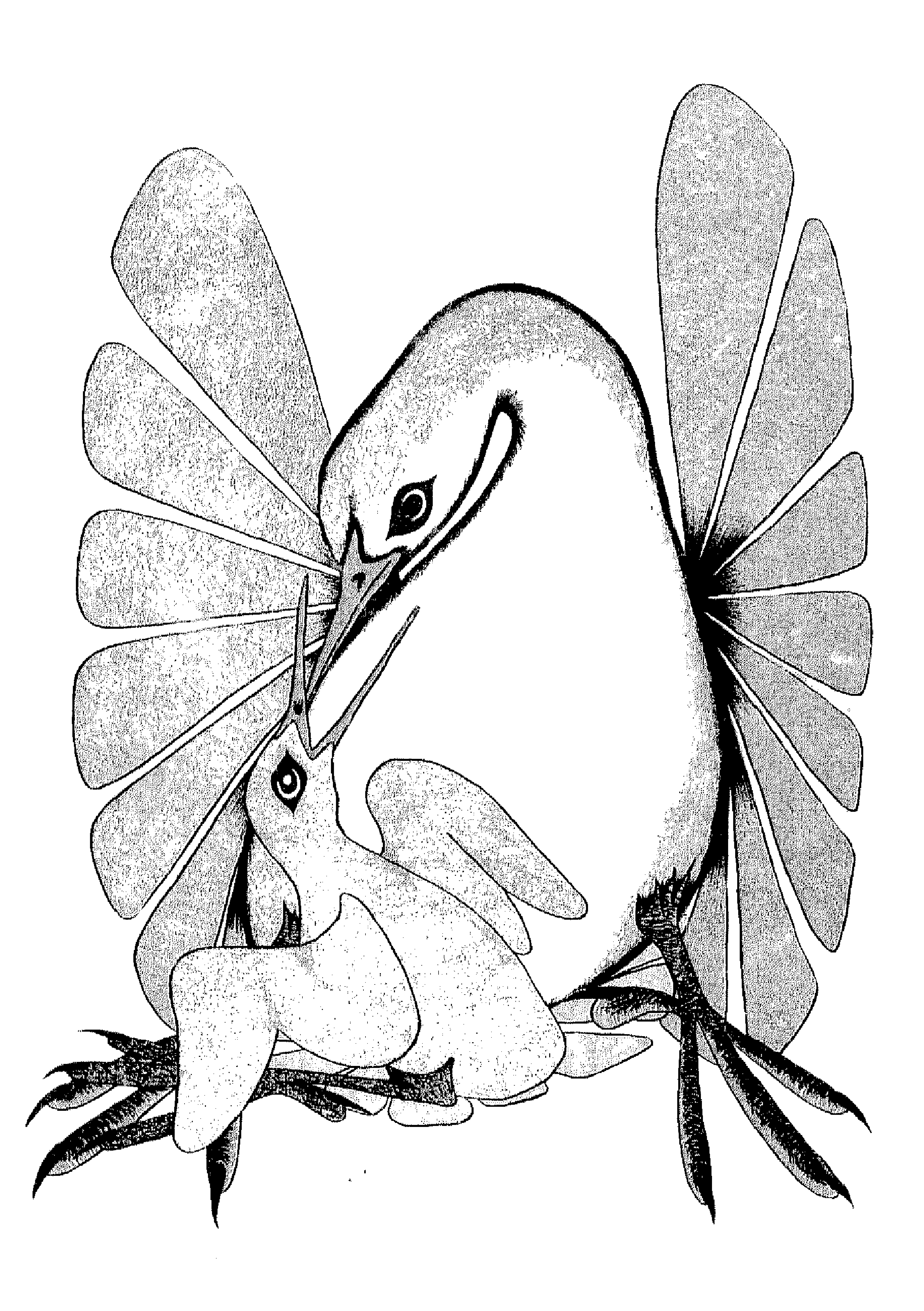
يخشى اليابانيون كثيرا تساقط الشعر والصلع. وهذا يفسر إنشاء مصرف ياباني للشعر، حيث يودع الراغب قصاصات شعره كلما شذّبه عند الحلاق. ويمكن ايداع القصاصات ثلاثين سنة، حتى اذا احتاج اليها صاحب العلاقة كان كمن يستعيد شعره الضائع.

مجلة "صنداي تايمس"، لندن

السيارات والناس

في العالم ٤٢٧ مليونا و٣٧٣ ألفا و٨٣٥ سيارة وشاحنة وحافلة. وللأمريكيين منها حصة الأسد، إذ يملكون ما عدده ١٥٨،٤٥٦،٠٥١١ أي سيارتين لكل ثلاثة أشخاص وفي الطرف الآخر تأتي الصين، حيث هناك سيارة واحدة لكل ١٠٥٩ شخصا.

مجلة "صو"



طعام للعصفور الصغير للكندية عدلى بودلات